خالد بن سليمان بن علي الخويطر

كون المليدا

ومعركة حريملاء

دراسة تاريخية شاملة لوقائع معركة المليدا عام 1308هـ
ووصيفتها معركة حريملاء عام 1309هـ



Jadawel جداول

كون المليدا

ومعركة حريملاء



خالد بن سليمان بن علي الخويطر

كون المليدا
ومعركة حريملاء

دراسة تاريخية شاملة لوقائع معركة المليدا عام 1308هـ
ووصيفتها معركة حريملاء عام 1309هـ

Jadawel جداول

الكتاب: كون المليدا ومعركة حريملاء

المؤلف: خالد بن سليمان بن علي الخويطر

جداول

للنشر والترجمة والتوزيع

رأس بيروت ـ شارع كراكاس ـ بناية البركة ـ الطابق الأول

هاتف: 746638 1 00961 ـ فاكس: 746637 1 00961

ص.ب: 5558ـ13 شوران ـ بيروت ـ لبنان

e-mail: d.jadawel@gmail.com

www.jadawel.net

الطبعة الأولى

شباط / فبراير 2015

ISBN 978-614-418-265-9

طبع في لبنان

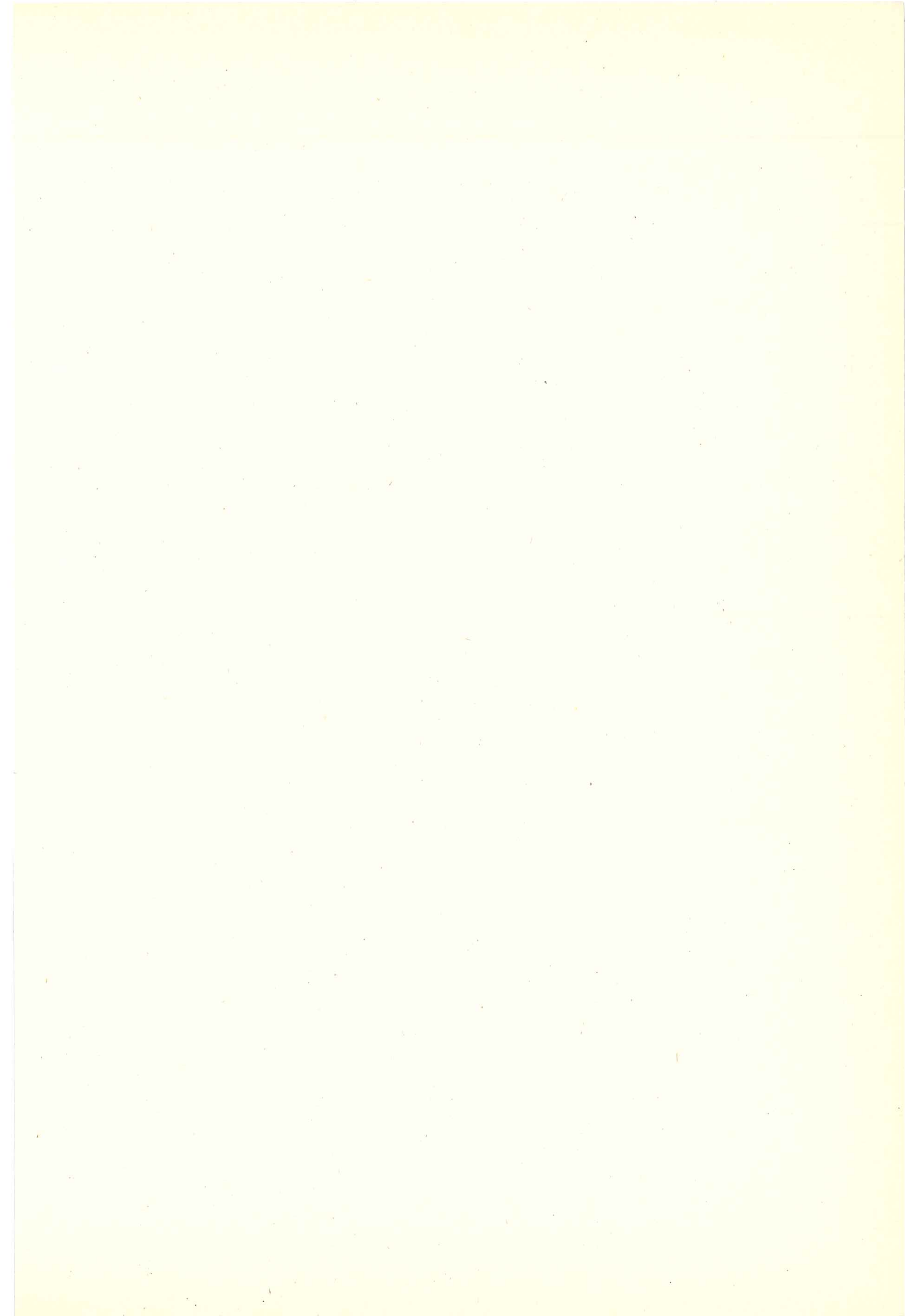
Caracas Str. - Al-Baraka Bldg.

P.O.Box: 5558-13 Shouran

Beirut - Lebanon

First Published 2015 Beirut

المحتويات



أهدي هذا الكتاب

إلى جدي (علي) رحمه الله تعالى

أهديك جدّي ما استجدّ بأحرفي

سفرًا جديدًا بالورود معطرَ

***

كَمْ قِصّةٍ عاصرتها ورِوايةٍ

قدْ أثمرت هذا الكِتاب مُسطرا

***

لولاك ما شَهِدَ الكِتابُ حياتَهُ

أحييتهُ.. لو كُنتَ ترقدُ في الثرَى

أحداث متنوعة تزامن وقوعها
مع وقوع كون المليدا (مرتبة أبجديًا)

أحداث محلية وخليجية وقعت عام 1308هـ

- اتفاق الأمير محمد ابن رشيد مع الإمام عبد الرحمن الفيصل خارج أسوار الرياض.
- اكتمال بناء مسجد الرديني في جنوب بريدة، وقد بني بأمر أميرها حسن المهنا.
- اكتمال بناء مئذنة الجامع الكبير بعنيزة، ويبلغ ارتفاعها 25 مترًا، ولا تزال قائمة.
- نشوب حريق في شهر ذي الحجة، في عشرات من البيوت في مدينة الكويت.
- نهب رجال من آل مرة وآل هاجر قافلة عثمانية للتمور خارجة من ميناء العقير.
- وفاة حسن بن حسين آل الشيخ، من علماء الرياض عن عمر 72 سنة.
- وفاة راشد الدباس الشاعر الشهير، المعروف بـ «أبو دباس».
- وفاة سليمان بن عبد المحسن، الوجيه في عنيزة، وهو من أهالي الزلفي.
- وفاة فجحان الفراوي المطيري، أحد شعراء كون المليدا، وأحد سعاة الصلح فيها.
- وفاة فيصل بن الإمام عبد الرحمن الفيصل، في أول السنة، أثناء حصار ابن رشيد للرياض.
- وفاة محمد بن حسن بن خاطر في المحرق في آخر العام، وكان يلقب (أبا المساجد).
- وفاة محمد بن عمر السليم، أكبر علماء بريدة، قبل وقوع كون المليدا بستة أيام.
- ولادة الشيخ عبدالله السليمان الحمدان في عنيزة، وهو وزير الملك عبد العزيز.
- ولادة الشيخ عثمان بن صالح القاضي، إمام مسجد أم حمار بعنيزة.
- ولادة عبد الله بن تركي بن عبد الله السديري، في بلدة الغاط .

- ولادة محمد طاهر مسعود الدباغ، أحد رواد النهضة التعليمية والوطنية في الحجاز.
- ولادة سعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، وهو الابن السادس للإمام عبد الرحمن.

أحداث عربية وعالمية وقعت في عام 1891م

- إجراء أول اتصال هاتفي بين لندن وباريس في 17 آذار/ مارس.
- اختراع أديسون جهاز (كنتو سكوب)، في 24، آب/ أغسطس لعرض أفلام لا تسمح بالمشاهدة إلا لفرد واحد.
- اعتماد البصمات في التحقيقات لأول مرة في الأرجنتين.
- افتتاح الخديوي محمد توفيق ابن الخديوي إسماعيل لأول حديقة حيوان في مصر بالجيزة.
- افتتاح جامعة ستانفور في ولاية كاليفورنيا الأمريكية في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر.
- تأسيس جمعية دائرة المعارف العثمانية الهندية في حيدر أباد الدكن في 24 كانون الثاني/ يناير.
- توقيع اتفاقية حماية بين بريطانيا وسلطان مسقط في 21 آذار/ مارس.
- ثورة شعبية في اليمن ضد الحكم العثماني.
- مد خط برقي في إيران بين الأهواز والمحمرة ومدن أخرى.
- نشأت رياضة كرة السلة لأول مرة في ولاية ماساتشوستس الأميركية.
- وفاة إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي، وهو شاعر وأديب لبناني.
- وفاة السير جون ماكدونالد، وهو أول رئيس وزراء لكندا .
- ولادة حامد أيتاش الآمدي، أشهر خطاط تركي معاصر.
- ولادة حسن مأمون الهضيبي، السياسي المصري، في شهر كانون الأول/ ديسمبر.
- ولادة سلطان باشا الأطرش، الزعيم الدرزي، في محافظة السويداء في سوريا.
- ولادة محمد أمين شيخو، وهو أحد مشايخ دمشق الكبار.

المقدمة

ليس أصعب على الباحث في التاريخ من إعادة تصوير حدث هام مثل (كون المليدا)، بَعُدَ زمانه وغابت شخوصه وتبدلت معالمه المكانية، مع ما يتطلبه الأمر من حيادية وشفافية واستقصاء للمصادر الأولية والموائمة بينها وبين ذاكرة شعبية أصابها الكثير من التآكل والنقص بسبب الموت أو النسيان، ولذا يحتم هذا الواقع على الباحث المجاهدة والاجتهاد للوصول إلى رؤية ما للحدث، عن طريق المقاربة بين عناصر معطيات المصادر التاريخية المختلفة في سردياتها وتوجهاتها.

ولا أزعم أني وصلت غاية التمام في تصوير الحدث ونقله للقارئ الكريم كما حدث، بل أزعم أني اجتهدت وبذلت ما في وسعي لأنقل للقارئ صورة مقاربة لما حدث، وآمل في نفس الوقت أن يأتي من بعدي من يسد الخلة ويمحو الزلة ويرقى الهفوة.

ولصعوبة مطلب الكمال في سرد وسبر كنه هذا الحدث الهام فقد اجتهدت لكي أعوض نقص التوثيق البصري للحدث، بتضمين الكتاب (رؤية بصرية) تعتمد على الإبهار في الألوان والتصميم، في محاولة لإحياء الحدث برسم خرائط متعددة تتبع مراحل القتال، وكذلك إعادة تمثيل شخوص الحدث البارزين، كابن رشيد وأميري القصيم حسن وزامل.

كما حرصت على وضع القارئ - بحسب المستطاع - في صورة شاملة (بانورامية) للحدث، ليتعدى كونه تصويرًا لمعركة محدودة المكان والزمان إلى تشخيص لعصر كامل محيط بحدث المعركة من قبله ومن بعده.

ولي همسة أخيرة في أذن كل من يظن أن البحث التاريخي قصيدة مدح لجانبه أو هجاء لخصمه، فإني أقول له هامسا إنك لن تجد مبتغاك في كتابي هذا، ولن يضيرني بعد ذلك من ساق التهم جزافًا تحدوه العصبية والحمية ليصرف غاية البحث عن نشدان الحقيقة، فليس لي كباحث أن أكون طرفًا في الحدث، كما لا يحق لي التحامل على أي طرف، كما أني لا

أملك إلا الحقيقة كما أقتنع بها وفق مصادري، وهي في كل الأحوال (حقيقة نسبية) قابلة للنقض والنقد والتحليل، فلا حقيقة مطلقة في الدراسات التاريخية، ومن هنا فكل يؤخذ من كلامه ويترك. ولكن عزائي الوحيد أني أتشرّف بخدمة التاريخ كعلم، فإن أصبت فمن كرم ربي سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فكل ابن آدم خطّاء.

التمهيد

أهمية كون المليداء:

في منطق التاريخ عندما نقرر أن هذا الحدث مهم ومصيري، فإن الأحداث لا تقاس أهميتها بتفاصيل مجرياتها وحسب، بل بما تتركه من آثار وعواقب سلبية أو إيجابية على الأفراد والمجتمعات والدول المشاركة في صنع ذلك الحدث. وبقدر ذلك الأثر نستطيع أن نقيس أهمية الحدث وخطورته، وأثره الإيجابي في طرف، وأثره السلبي في الطرف الآخر.

وتأتي كون المليدا في سياق هذا المعنى، فقد تركت المعركة بنتائجها أثرًا بالغًا في واقع ومستقبل منطقة نجد برمتها، وغيرت الوجه السياسي لها، وذلك لأنها في تاريخنا الوطني حددت مصير الدولة السعودية الثانية التي كانت تترنح بسبب تبعات الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل. وفي الجانب المقابل فإن هذه المعركة قد أذنت بتفرد آل رشيد بحكم عموم منطقة نجد لأكثر من أربع عشرة سنة تالية. ولكي ندرك أهمية كون المليدا في تاريخنا، فلنتذكر قول أحد شعراء الجانب المنتصر:

يوم جرى بالضلفعة له ظلالي يعده الأول لناس بالأصلاب

ومعنى البيت أن من حضر المعركة سيخبر بها ولده الذي في صلبه، وأن ذلك الابن سيُبلغ أخبار المعركة لحفيده. وهذا معنى عميق لمسه الشاعر وصوّره ببراعة، لأجيال ستختزل هذه التجربة المُرّة، وتفيض بها من جيل إلى جيل. وبهذا يكون الشاعر قد قرأ المستقبل البعيد بفراسته. وها نحن اليوم نستذكر هذه المعركة، محاولين توثيق أحداثها وإبراز شخوصها، ودراسة آثارها في محيطها المكاني والزماني القريب والبعيد. واستنادًا إلى البيت السابق فأنا (المؤلف) أمثل الجيل الرابع بعد المعركة، فقد كان جدي[1] في صلب أبيه حينما وقعت المعركة، ومع ذلك سمعت أخبارها منه حيث نقلها إليَّ عن من عاصرها.

(1) ولد جدي لأمي عام 1316 هـ، وولد جدي لأبي عام 1322 هـ، وهما أخوان شقيقان.

سياق كون المليدا:

يصعب أن ندرس كون المليدا في سياق معزول، وإن اتفقنا على ضخامة الحدث وخطورة أثره وعواقبه؛ إذ جاء في خضم صراع لم يهدأ لنصف قرن من الزمان بين إمارة آل رشيد في حائل وأمراء القصيم، في الفترة الممتدة بين معركتي (بقعا في 1257هـ) و(المليدا في 1308هـ)، وما بين هاتين المعركتين من معارك أخرى بين الطرفين، وأهم ما نلاحظه في تلك المعارك:

1- التفوق النوعي لحائل عسكريًا في مواجهة قوات أهل القصيم، في العدد والعدة والكفاءة القتالية، ووحدة الصف والهدف.

2- تطلع أمراء حائل إلى الاستحواذ على القصيم بما يمثله من ثقل بشري، وثقل اقتصادي (تجاريًا وزراعيًا)، ما يزيد في قوتهم إذا ما سيطروا عليه.

ومن هنا جاءت كون المليدا مكملًا لسياق تلك الصراعات السابقة، ولعل أهميتها أنها تتأتّى شكّلت الحلقة الأخيرة منها، فحسمت فيها المواجهة لمصلحة آل رشيد بشكل حاسم، فخضع إقليم القصيم - بل منطقة نجد برمتها - لآل رشيد خضوعًا مباشرًا لمدة زادت على عقد من الزمان.

كون المليدا في الذاكرة الشعبية:

في بحثي السابق عن كون الصريف، وعندما كنت أحاول جمع شهادة شهود العيان عبر رواة أدركوا ذلك الحدث. لمست أن هناك شحًا في الذاكرة النجدية في ما يمكن أن يروى عن أحداث الصريف، قياسًا بما عند الكويتيين من شهادات مسجلة وموثقة عن المعركة نفسها. وعلى النقيض كنت أسمع، وما زلت، الكثير من أهل القصيم يتناقلون جيلًا بعد جيل روايات وقصصًا ومواقف تدور حول كون المليدا، رغم حدوثه قبل كون الصريف بعشر سنوات، ما يدل على أنه أقرب إلى الذاكرة الشعبية لدى أهالي منطقة القصيم. والسبب في ظني هو أن درجة الألم الذي أحدثته كون المليدا في مجتمع أهل القصيم مباشرة، إذ كان أكبر من ذلك الأثر الذي تركته حادثة الصريف، حيث قتل في المليدا الكثير من رجالهم وأبنائهم، بما فيهم من أمراء وفرسان من أفذاذ الرجال، لذا حفرت المصيبة في نفوسهم جرحًا عميقًا، يصعب أن تبهت صورته في الوعي الشعبي الجماعي. وهذا الشاعر

محمد المناور العنزي يستحضر كارثة المليدا في أحداث معركة البكيرية عام 1322هـ، وبينهما 14 سنة، حيث قال:

نطلب الدين القديم اللي يذكر   دين بقعا والمليدا ما نسينا[1]

وكذلك جاء من قصيدة للشاعر إبراهيم بن عبد الله المرزوقي[2]، قوله:

وراعي الدين يستافي بدينه   بحد السيف شلاع الضرايب

وعلى صعيد آخر تكونت في أذهان الناس في القصيم أساطير وخرافات مرتبطة بالجن لها علاقة بكون المليدا، وسنذكر واحدة منها على سبيل النقل والتوثيق ولا على سبيل إجازتها أو تصديقها، بل نسوقها لبيان مدى ما تركته هذه الحرب في العقل الباطن لمن عاصرها من العوام وأحفادهم، إذ لم تخمد جذوتها في الذاكرة الشعبية على مر السنوات الطوال.

تقول الحكاية الشعبية إن أهل بلدة من جنوب نجد رأوا مجموعة رجال من الجان فوق منطقة مرتفعة يرقصون ويغنون ابتهاجًا بما حصل من كثرة القتلى في كون المليدا، ويقولون:

ضراس ضراس[3]

يا ما نزت جثة عن راس.

وفي المقابل، بقي نصر المليدا عالقًا في الذاكرة الشعبية لدى الجانب المنتصر فيها يوازي بشكل معاكس ما في ذاكرة المهزوم فيها، وهو هنا يرتبط بالفرحة والنشوة التي تلازم مثل هذه الحالة التاريخية في نهوض الدول وبناء العزة للممالك.

كون المليدا والسفر عبر الزمن:

قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]

قطعًا، لم يدر في عقل وقلب أي ممن شهد أو عاصر كون المليدا، ولا من جاء بعدهم

---

(1) ومطلع القصيدة [يا سحاب من عدان البصر ثور   سَنْد الوادي وحدر يمينا]

(2) انظر عن حياة الشاعر وشعره، الهطلاني والعقيل، كتاب شعراء عنيزة الشعبيون، (1/ 72)، والبيت من قصيدة يستحث فيها الشاعر عقيلات أهل القصيم لاسترجاع بلادهم من حكم آل رشيد.

(3) ضراس: بلدة صغيرة في القصيم، تقع غرب بريدة، وليست بعيدة عن موضع المعركة.

(4) سورة النحل آية 8.

لثلاثة أجيال آتية أن الحروب ستسجل وتشاهد نقلًا مباشرًا من موقع الحدث عبر شاشات التلفزيون كما يحدث اليوم[1]. ولكن إن كان أولئك الأجداد معذورين، إذ لم يدر في خلدهم إمكانية حدوث ذلك فلأن الحجب العلمية لم ترفع عنهم. فإن الحجب العلمية (التقنية)، ما زالت هي ذاتها تمنعنا اليوم من أن نتوقع إمكانية استرجاع صور أحداث ماضية بتقنية (السفر عبر الزمن) نسبق فيها الأحداث بحيث نراها ونرصدها مصورة بعد انقضائها في الماضي البعيد.

وإلى أن يأتي ذلك المستقبل سنسافر عبر الزمن لتصوير (كون المليدا)، ولكن بالكلمات المعبرة، ونعيد تجسيدها باستنطاق الرواة وشهادتهم، واستخراج الوثائق وارتياد مواقع القتال، أي أن سفرنا سيكون عبر البعد الزمني (التاريخ) والبعد المكاني (الجغرافيا) لنقل أحداث هذه المعركة الشهيرة الحاسمة.

المليدا في ذاكرة المكان:

تحتفظ المواضع الهامة التي جرت فيها أحداث كون المليدا عام 1308هـ بذاكرة تاريخية للعديد من المواجهات المسلحة التي سبقت كون المليدا بسنوات بعيدة، والتي حفظها لنا التاريخ الشفهي والمدون، ولعل في استرجاعها ما يضفي على المكان الذي وقعت فيه كون المليدا أهمية خاصة، بدلالة تلك الأحداث التي وقعت في الماضي، ومن هذه الأحداث:

- **مناخ[2] الضلفعة عام 854هـ:** تناوخت عنزة والظفير على الضلفعة، واجتمعت قبائل عنزة بزعامة مسلط بن وضيحان وفهد بن جاسر الطيار وضيغم بن شعلان وصنيتان بن بكر، وزعماء الظفير مانع بن سويط ونايف أبو ذراع إضافة إلى الظفير من حرب سالم بن مضيان ومناحي الفرم. وأقاموا في مناخهم 34 يومًا، حتى أكلت الإبل أوبارها من الجوع، ومن طول المناخ، وكانوا في مناخهم يغادون القتال ويراوحونه طرادًا على الخيل، ثم مشى بعضهم إلى بعض واقتتلوا قتالًا

---

(1) حيث ظهر عام 1411هـ/ 1991م مصطلح الحرب التلفزيونية.

(2) المناخ هو نوع من أنواع حروب البادية، ويقصد به أنهم ينوخون إبلهم ويعسكرون متقابلين لفترة طويلة ويغادون بعضهم بالمناوشات وطراد الخيل، وذلك لفترة طويلة قد تمتد لشهر أو أكثر، وقد ينتهي مناخهم بحرب شاملة أو بالمصالحة.

شديدًا وصارت الهزيمة على الظفير واستولت عنزة على محلهم وأغنامهم، وأخذوا كثيرًا من إبلهم، وقتل من الفريقين خلق كثير، ومن مشاهير القتلى في عنزة: ضيغم بن شعلان ونايف بن وضيحان، وقتل من الظفير: مانع ابن سويط وماجد ابن كنعان ودوخي ابن حمود، وقتل من حرب سالم بن مضيان وشافي بن رومي وخلف بن جاسر وسرور بن فاضل[1].

- **وفي عام 1088هـ غزا الشريف محمد آل حارث على نجد، وأخذ الظفير وهم على (الضلفعة) في القصيم.** وصارت الدائرة على الظفير، ثم اصطلحوا وأخذ الشريف عليهم العقال، وأنزلهم من جبل سلمى في ديار شمر[2].

وفي عام **1274هـ** وقع مناخ **المليدا** قرب جبل ساق بين عتيبة وحرب، وحصل بينهم قتال، وقتل من عتيبة (60 رجلًا) ومن حرب قتل (50 رجلًا) ودارت الدائرة على عتيبة[3]، وقد حفروا حفرًا يتترسون بها طوال المناخ، وسميت (جفر المناخ) وتقع شمال شرقي جبل ساق[4].

---

(1) عبد الله بن محمد البسام، **تحفة المشتاق**، إصدار الدارة، مصدر سابق، صفحة 14 -15.

(2) المصدر السابق ص 75. وانظر أيضًا: ابن عيسى بعض الحوادث، مصدر سابق ص 67، وابن بشر، عنوان المجد، أحداث، سنة 1088هـ.

(3) ابن عيسى، **عقد الدرر المطبوع**، مصدر سابق، ص 21.

(4) العبودي، **المعجم الجغرافي لبلاد القصيم**، (1138/3).



كون المليدا في المصادر الأصلية والدراسات السابقة

تعتبر هذه الدراسة التي بين يديك أيها القارئ الكريم أول دراسة تاريخية مفصلة ومستقلة لهذه المعركة الفاصلة في تاريخنا الوطني.

ولكن هذا لا يعني عدم وجود دراسات جادة ظهرت في الفترة السابقة، ساهمت في توثيق دوافع المعركة وأحداثها ونتائجها، ولكنها دراسات جاءت في سياق بحث تاريخي عام ولذا كانت جزءًا من كل وليست دراسة مستقلة.

ومن أجود هذه الدراسات الحديثة عن كون المليدا ما سطره الدكتور محمد السلمان في كتابه **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**. وقد أثنى الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن البسام على هذه الدراسة، ولكنه استدرك بعض الملاحظات التاريخية على ما رواه الدكتور محمد السلمان، وأبدى ما لديه حيالها.

وقد استفدت كثيرًا مما دوّنه الدكتور السلمان، خصوصًا أنه اعتمد على الرواية الشفهية كأحد مصادر دراسته، حيث سجل شهادات سمعية لكبار السن من الجيل الثاني بعد المعركة من الذين لم يحضروها ولكنهم أدركوا من أدركها.

ومن هذه الدراسات الحديثة عن المعركة ما أورده الباحث حمد العنقري في رسالته العلمية عن حكم محمد بن رشيد، وكذلك ما تفضّل به الباحث محمد السلامة في رسالته العلمية عن موقف أهل القصيم من المواجهة بين آل سعود وآل رشيد، ومنها أيضًا بحث رصين عن كون المليدا نشره الدكتور عبد العزيز الشبل على الشبكة العنكبوتية.

وبالإضافة إلى هذه الدراسات الحديثة هناك المدونات التاريخية الكلاسيكية لمؤرخين كبار، كالشيخ إبراهيم بن عيسى وعبد الله المحمد البسام ومقبل الذكير وإبراهيم القاضي، وعبد الرحمن بن صالح البسام، وعبد الرحمن بن ناصر الشبانة، ومحمد بن علي العبيد. وكل هذه المدونات الآنفة هي من المصادر الأساسية لهذا الكتاب. وتبدو أهمية ما سجله هؤلاء المؤرخون من أن جميعهم قد عاصروا حدث المعركة؛ وإن لم يشاركوا فيها.

ومن المصادر المهمة لكون المليدا التي وظفتها في هذا الكتاب قصائد الشعر الشعبي التي

قيلت في المعركة، والتي كانت بمنزلة نوع من الرواية الشفهية، ولكنها بأسلوب الشعر لا النثر، لكونها قيلت ممن شهد القتال بنفسه أو حضر الكون بذهنه وسمعه، فكانت تلك القصائد مصدرًا هامًا لتفاصيل الحدث، وملمّحة بشكل صادق إلى الجو العام للأحداث آنذاك.

ومما لاحظته أثناء جمع مادة الكتاب أن هناك عدم توازن في توفر المصادر عن المعركة بين طرفي الصراع، فهناك غلبة لمصادر طرف على آخر، وهذا بالتاكيد ليس له ضرر على حيادية تلك المصادر كما لا ينبغي أن يكون طعنًا فيها.

فبالنظر إلى الجانب الحائلي نجده مقلًّا في مصادره في المدونات التاريخية السردية، ولكنه قدم مساهمة شعرية ملموسة تفوّق فيها على الطرف الآخر، وذلك - بطبيعة الحال - يرجع سببه إلى كونه هو الطرف الكاسب المنتشي بالنصر.

وفي السياق نفسه فقد وجدت عنتًا شديدًا بسبب ندرة المصادر المكتوبة لجمع أسماء قتلى جيش حائل، إلى جانب شح شديد جدًا في المحفوظات الشعبية الشفهية لأسماء أولئك القتلى، وفي هذا الصعيد اتصلت بعدة باحثين ورواة كبار من أهل حائل، ولم أظفر إلا بالنزر اليسير جدًا وهو (أسماء أربعة قتلى فقط)، مع أن عدد القتلى يبلغ المئات من جيش حائل. وفي المقابل حفظت لنا السجلات الكثير من أسماء قتلى أهل القصيم بوفرة ملحوظة، والتي سيطلع عليها القارئ الكريم في ملاحق هذا الكتاب.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها؛ محفوظات القوى الأجنبية في المنطقة حول أحداث المعركة، مما دوّنه الساسة أو الرحالة الأجانب، وما تركوه من وثائق رسمية ومقالات صحفية.

كما رجعت إلى عدد وافر من الوثائق العثمانية المتماسة مع حدث المعركة، والتي جاءت على شكل تقارير عن مجريات أحداث وما قبلها وما بعدها، والتي دوّنها رجال الدولة العثمانية من موظفين مدنيين وعسكريين وولاة مناطق.

كما لم أغفل عن اقتناص ما سنح من الوثائق المحلية النجدية التي قدمت عن المعركة إشارات قريبة مباشرة أوضمنية بعيدة، ما ساهم في تبديد شي من الغموض عن بعض جوانب المعركة.

وفي الختام كانت الرغبة في جلاء الضبابية عن الكثير من تفاصيل هذا الحدث الكبير المؤثر هو الهدف الذي حدا بي لطرق موضوعه وتخصيص هذه الدراسة وإخراج هذا الكتاب، للمساهمة في إثراء مكتبة تاريخنا الوطني الذي عانى من الإهمال دهرًا طويلًا. ولعل مما يحز في نفس كل باحث عن الحقيقة ضياع الكثير من المعلومات المهمة بضياع أو احتجاز الكثير والمثير من الوثائق، وفوات الأنفس التي شهد أصحابها المعركة أو عاصروها فقضوا ولم يتم تسجيل شهاداتهم وخبراتهم المكتنزة حولها.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في نجد
في مطلع القرن الرابع عشر الهجري

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

شاعر مجهول

أولًا: الوضع في الرياض وضعف حكم آل سعود:

بعد مضيّ سنة واحدة على وفاة الإمام فيصل بن تركي عام 1282هـ انفجر الصراع بين أبنائه الأربعة عبد الله الأكبر ومحمد من جهة، وسعود وعبد الرحمن الأصغر من جهة أخرى. وقد تفاقم هذا الصراع سنة بعد سنة، وكاد أن ينتهي الخلاف بوفاة الأمير سعود الفيصل في الرياض عام 1291هـ، حيث بدا أن رياح السياسة جاءت مواتية لمصلحة الإمام عبد الله الفيصل. ولكن لم يلبث أبناء سعود أن استمروا في الخلاف مع عمهم الإمام عبد الله، وقد تزامن هذا مع بداية تفوق حكم آل رشيد وتدخلهم السياسي والعسكري في المنطقة، وكانت بواكير ذلك التدخل الرشيدي في منطقة القصيم، وقد انكشف ضعف آل سعود، وذلك عندما تدخل الإمام عبد الله لمصلحة آل أبو عليان أمراء بريدة السابقين ضد خصومهم آل مهنا عام 1293هـ، ما دفع حسن المهنا إلى التحالف مع محمد ابن رشيد ضد الإمام عبدالله وحليفه أمير عنيزة زامل السليم، وكادت تقع مواجهة عسكرية، ولكن الأمور آلت إلى المصالحة في ربيع الأول عام 1293هـ[1].

(1) عبد الله البسام، تحفة المشتاق (المخطوط)، ورقة 155.

وقد أسفرت الحادثة رغم نهايتها السلميّة عن خروج القصيم من تبعيته الشكلية لآل سعود. ووصل الأمر إلى أن الإمام عبد الله وهو في طريق عودته من القصيم إلى الرياض بعد الصلح عرج على مدينة المجمعة فأظهر أميرها العصيان فغضب عليه الإمام عبد الله فأحرق بعض نخيل البلدة قبل أن يتوجه إلى الرياض[1]، ولا ريب في أن حادثة القصيم الآنفة قد أغرت أمير المجمعة بالتمرد على الإمام عبد الله والتحالف مع ابن رشيد، مستلهمًا تلك الخطوة من سلوك أمير بريدة الذي طلب حماية ابن رشيد. فغزاها الإمام عبد الله من دون جدوى[2]، ثم أعاد الكرة وزحف عليها مرة أخرى في عام 1301هـ، حيث وقعت المعركة الشهيرة (بأم العصافير) في 28/ 4/ 1301هـ، الموافق 25/ 2/ 1884م. وذلك بين جيش الرياض بقيادة الإمام عبد الله وبادية عتيبة من جهة، وبين جيش ابن رشيد وحليفه حسن بن مهنا من جهة أخرى نجدة لأمير المجمعة[3]. وكانت النتيجة انتصار حلفاء المجمعة ضد جيش الإمام عبد الله الذي فقد نهائيًا نفوذه - الهش - على سدير والوشم كذلك. وقد توج هذا الواقع الجديد بتفاهم سياسي بين ابن رشيد والإمام عبد الله حول تسوية الخلاف[4] وترك المجمعة وشأنها.

هذا الوضع المتردي لنفوذ الإمام عبد الله أمام تنامي سلطة آل رشيد في نجد قد عزز الخلاف بين أبناء سعود الفيصل وعمهم الإمام عبد الله، مما حدا بعمهم الأصغر عبد الرحمن إلى منابذتهم والالتحاق بأخيه الإمام عبد الله[5]. وبهذا أصبح الإمام عبد الله وأخواه محمد وعبد الرحمن حلفًا واحدًا في مواجهة أبناء أخيهما سعود الفيصل. وبهذا زاد شق الخلاف داخل البيت السعودي لمصلحة المتربصين، كابن رشيد لتوسيع نفوذه، وكأمراء القصيم لتعزيز استقلالهم. وفي لحظة صحوة من أبناء سعود الفيصل، حاولوا تناسي خلافهم مع عمهم الإمام عبد الله، وعرضوا عليه التحالف ضد ابن رشيد عسكريًا، ولكن الإمام عبد الله لم يستجب لرغبتهم، فاضطروا إلى خوض المواجهة منفردين بمساندة قبيلة عتيبة لهم،

---

(1) العبيد، مصدر سابق، ورقة 102.

(2) عبد الله البسام، **تحفة المشتاق**، ورقة 157، انظر هناك تفاصيل أكثر. وابن عيسى، **عقدالدرر**، ص 91، وبعض الحوادث... ص 191.

(3) المصدر السابق، ورقة 158، انظر هناك تفاصيل أكثر.

(4) العنقري، مصدر سابق، ص87 - 88.

(5) العبيّد، مصدر سابق، ورقة101.

وجرت بين الطرفين معركة عروى[1] عام 1300هـ[2] وكاد ابن رشيد أن يهزم فيها، لولا ثبات حلفائه أهل القصيم بقيادة حسن المهنا ، وفي ذلك يقول شاعر عتيبة:

لـولا حسن نـوخ بذربـين الأيمان   راحـت عليكم يا أبـو ماجـد كسيرة

وبعد هذه الهزيمة المرة لعتيبة وحليفهم محمد بن سعود آل سعود، نقم محمد بن سعود على عمه الإمام عبدالله. وزادت تلك النقمة بعد أن وقعت في يد محمد بن سعود خطابات تحريضية كتبها عمه عبدالله ضده[3]، ما دفعه إلى الزحف على الرياض قادمًا من جنوبها في آخر المحرم من عام 1305هـ، واستولى على الرياض وسجن عمه الإمام عبدالله[4].

أمام هذا الوضع المتأزم وجد الأمير محمد ابن رشيد فرصته للتدخل في عرين آل سعود (الرياض) ذاتها لأول مرة. ولم يعدم ابن رشيد إيجاد المبرر تلو الآخر ليسوق جيشًا يحرر فيه الرياض وسيدها الإمام عبدالله من قبضة أولاد سعود الفيصل ـ الذين كانوا أقوى منافس له من آل سعود ـ ومن هذه المبررات أن (طرفة بنت عبيد الرشيد) وهي ابنة عم للأمير محمد بن رشيد كانت زوجًا للإمام عبدالله، وتقول بعض الروايات إنها سجنت معه[5]. ويقول البارون نولده الذي قابل ابن رشيد عام1310هـ، أن (طرفة) أرسلت بالسر رجلًا على جواد إلى محمد بن رشيد الذي كان نازلًا حينها بجيشه قرب شقراء، تخبره بما جرى عليها وعلى زوجها الإمام[6]. فتقدم ابن رشيد نحو الرياض وحاصرها وكان مطلبه الرئيسي وهدفه المعلن إطلاق الحاكم الشرعي من سجنه، وتأديب من اغتصبوا حكم الرياض منه. وقد انتهت المشكلة على النحو الآتي:

1- يطلق سراح الإمام عبدالله ومن معه.

2- يخرج أبناء سعود من الرياض، ويتوجهون إلى الخرج جنوب الرياض بأسلحتهم ودوابهم.

---

(1) وعروى: ماء لعتيبة جنوب شهيلان، مسيرة يوم واحد للراكب المجد.

(2) عبدالله البسام، **تحفة المشتاق**، ورقة 158، والعبيد ورقة 105، أما إبراهيم القاضي فيجعلها عام 1301 هـ ورقة 2.

(3) **دليل الخليج** ، القسم التاريخي، (3/ 1689).

(4) عبدالله البسام، **تحفة المشتاق**، ورقة 160. وانظر **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، (4/ 1124).

(5) دلال الحربي، **نساء شهيرات**، ص 102.

(6) **رحلة نولده**، ص73.

3- اقترح ابن رشيد على الإمام عبدالله أن يذهب معه إلى حائل، وأعرب عن تخوفه على حياته من أبناء أخيه سعود.

4- جعل ابن رشيد محمد الفيصل آل سعود أميرًا على الرياض، يسانده سالم ابن سبهان[1] في الإدارة والنفقات المالية [2].

5- ترك حامية مسلحة ترابط في الرياض بقيادة سالم ابن سبهان[3].

قال المؤرخ إبراهيم القاضي في تصوير مشهد الحادثة: (فلما وصل (أي ابن رشيد) الرياض، قال أنا جاي فزاع لهذا الشايب (أي الإمام عبدالله) والرياض ما أبيها لو تهيا لي دون سبب). ثم يعقب المؤرخ القاضي قائلًا: (والله أعلم بالحقيقة). ثم يواصل القاضي (ابن رشيد لما طلع عبدالله الفيصل وواجهه قال ما أقدر أبقيك بالرياض هذولا ما يؤمن فيهم أخاف يذبحونك قبل آصل حايل...)[4]. وعن ترتيب محمد ابن رشيد لأوضاع الرياض قبل عودته لحائل يقول القاضي إن ابن رشيد قال للإمام عبدالله: (أنا أكفيك كل أمر، والعارض نخليه بيد أخيك محمد هو الأمير، ونبقي عنده سالم السبهان يذلل عنه ويشيل أكثر المواد عنه مصاريف وغيرها)[5].

لقد كانت لهذه الغزوة من جهة ابن رشيد أهدافًا مبطنة حققها على أرض الواقع، ولنستبين الغرض المتحقق من غزوته تلك، فلنقرأ هذا النص التاريخي: (واستولى محمد بن رشيد على بلد الرياض، وجعل فيها أميرًا سالم السبهان، وأقام في الرياض مدة أيام، وقدم عليه فيها أمراء بلدان العارض والمحمل وبعض أمراء بلدان الجنوب، وبايعوه على السمع والطاعة)[6].

ماذا يعني هذا؟ يعني أن ابن رشيد غلب على الرياض وإقليم العارض وما حوله، وأخذ لنفسه البيعة على السمع والطاعة كسيد لنجد بلا منازع. إذ لم يكن تحركه إلى الرياض

---

(1) هو سالم بن بن علي آل سبهان الشمري، توفي عام 1328هـ، وله أربعة أبناء زامل وإبراهيم وعلي وعبدالكريم. إفادة مشكورة من الأخ الباحث سبهان بن عبدالعزيز بن عبد الكريم السبهان.

(2) موسيل، الدولة السعودية ، **مجلة العرب**، رمضان/ شوال 1396 هـ ، سنة 11، ص241.

(3) المصدر السابق.

(4) القاضي، مصدر سابق، ورقة 2

(5) المصدر السابق.

(6) عبدالله البسام، **تحفة المشتاق**، ورقة 160

نصرة للإمام المظلوم (عبدالله الفيصل) ولا لحفظ حقه في الحكم، بل تحرك لاستغلال الفراغ السياسي والضعف العسكري الذي كان يعاني منه آل سعود.

بعد ذلك تم لابن رشيد ما أراد، ورجع إلى حائل مصطحبًا معه الإمام عبدالله، بعد أن أقنعه بأن ذهابه معه إكرام له وقيام بحقه وحفظ له من أبناء أخيه المتربصين به، ولا نعلم حقًا هل كان الإمام عبدالله في تلك الظروف لديه حرية الاختيار بين الذهاب لحائل أو البقاء في الرياض. لقد سار الإمام عبدالله في ركاب ابن رشيد إلى حائل ومعه طائفة من آل سعود، ومنهم: عبدالله بن جلوي وسعد بن جلوي وعبدالعزيز بن تركي وهذلول بن ناصر بن فيصل وتركي ابن الإمام عبدالله[1]. أما عبدالرحمن الفيصل فقد سكتت بعض المصادر عن مصيره[2]، وبعضها ذكر أنه كان مرافقًا لأخوه الإمام عبدالله[3]، وهناك من ذكر أنه لحق به فيما بعد[4].

إلى جانب ما سبق فإن هذه الغزوة قد كشفت حجم نفوذ ابن رشيد في نجد وكثرة حلفائه، فقد استنفر لهذه الغزوة بحسب المؤرخ ابن عيسى الذي قال: (استلحق معه حسن المهنا أمير بريدة بجنوده وساروا إلى الرياض واستحلق غزو أهل سدير والوشم معه)[5]. وهذا يعني أن شمالي نجد ووسطها نهض مع ابن رشيد، ما يؤكد علو نفوذ ابن رشيد السياسي والعسكري آنذاك.

كل الأحداث الآنف ذكرها وقعت في النصف الأول من سنة 1305هـ. وفي آخرها[6] قام ابن سبهان بغزو الخرج وقتل أبناء سعود الفيصل، هم محمد وعبدالله وسعد، وذلك يوم الخميس أول شهر ذي الحجة من عام 1305هـ[7]. وقد سارت خطة قتلهم وفق ترتيب محكم يصعب معه التصديق أنها وقعت كأحداث عفوية أو أنها اجتهادات فردية لرجل

---

(1) سعود بن هذلول، **ملوك آل سعود**، ص50.

(2) القاضي ، المصدر السابق، ورقة 2.

(3) عبدالله البسام، المصدر السابق، ورقة 160. وانظر **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، (4/ 1124).

(4) فؤاد حمزة ، ص14.

(5) ورقات غير منشورة من تاريخ إبراهيم بن عيسى، تحقيق أحمد البسام، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود**، عدد36، شوال 1422هـ، ص305،306.

(6) وانظر **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، (4/ 1124)، وقد جاءت الأحداث لديه على هذا النحو: في آخر المحرم ثار أبناء سعود على عمهم عبدالله، وفي جمادى الأول رحل ابن رشيد عن أسوار الرياض، وفي ذو القعدة قتل سالم السبهان آل سعود في الخرج.

(7) عبدالله البسام، ابن عيسى، **المجموع في التاريخ النجدي**، الخزانة (9/ 140)، الذكير، تاريخه الخزانة (7/ 288). ويفهم من رواية المؤرخ إبراهيم القاضي في تاريخه المخطوط ورقة 2: أن مقتل أبناء سعود وقع بعد ثمانية أشهر من غزو ابن رشيد للرياض.

واحد، بل لا ريب أنها حلقات متتابعة وفق سياسة عليا مبنية على التدرج. فقد تمت تهيئة الأمور بترحيل كبار آل سعود ـ أولًا ـ إلى حائل، ثم فرض عليهم هناك ما يشبه الإقامة الجبرية، حسب ما ذكرناه آنفا. ثم ارتحل ـ بعد ذلك ـ عبدالعزيز بن سعود الفيصل من الخرج لسبب غير معروف إلى حائل، ومعه ثلاثون من خلص أتباعه وخدامهم، ونزل على ابن رشيد [1]، قبيل مقتل أخوته.

كل ما سبق ساعد في تهيئة الأجواء لقتل أبناء الأمير سعود الفيصل على يد سالم السبهان، الذي أتم خطته تلك بأن اتصل ببعض آل تويم في الدلم من خصوم أبناء سعود ثم قدم بنفسه إلى الخرج لإكمال خطته، وتآمر معهم على قتلهم فور خروج أخيهم عبدالعزيز ابن سعود يقول المؤرخ البسام في ذلك: (واستقر سالم السبهان أميرًا في بلد الرياض ، وأخذ يدبر الحيلة في قتل عيال سعود، ويكاتب أعداءهم من أهل الخرج آل تويم المعروفين في بلد الدلم من بني تميم، وغيرهم...ويطلب منهم المواطأة على قتلهم، فواطأوه على ذلك)[2]، وبذلك أقدم سالم على قتلهم بطريقة كشفت تدبيره المحكم والمسبق للنيل منهم[3]. **ولكن ما يهمنا بالدرجة الأولى لماذا سعى ابن رشيد بيد أميره على الرياض سالم سبهان للتخلص من أبناء سعود الفيصل؟**

لا ريب أن السبب يعود إلى أن أبناء سعود الفيصل كانوا منافسين شرسين لأعمامهم، ولابن رشيد على حد سواء، وقد حلف الأيمان على براءته من دمهم لعمهم الإمام عبدالله وفق ما ذكره ضاري الرشيد، بأن ابن رشيد قال للإمام عبدالله وهو عنده في حائل، بعد وصول خبر مقتل أبناء أخيه سعودًا، قال: (والله وبالله وتالله فلا عندي مما سوى ابن سبهان خبر لا دقيق ولا جليل، وأشهد أني لم آمره به)[4]. وإذا صدقنا قسمه المغلظ هذا، فإن حاله تلك تنطبق عليها مقولة (لم آمر بها ولم تسوؤني) والدليل إجراءاته الشكلية بعزل ابن سبهان ثم إرجاعه بعد فترة قصيرة إلى حامية الرياض[5]، وكذلك قول ابن رشيد لأخي المقتولين (عبدالعزيز) الذي كان عنده في حائل، (أخوانك الله يعافينا

---

(1) عبدالله البسام، تحفة المشتاق، ورقة 160.

(2) المصدر السابق، ص 160.

(3) لمزيد من تفاصيل قتلهم، راجع المصدر السابق.

(4) ضاري بن فهيد، مصدر سابق، ص109.

(5) عزل ابن رشيد ابن سبهان، وعين مكانه (فهاد بن عيادة بن رخيص).

مفسدة غزو على ابن سبهان وذبحهم الله)[1]. والذي أرجح أن عزل ابن رشيد لابن سبهان كان بهدف امتصاص غضبة آل سعود وأهل الرياض والخرج، كما أن في إبعاد ابن سبهان عن الرياض وعودته إلى حائل خوفًا عليه من الانتقام بعد قتله لأبناء سعود الفيصل.

كان ابن رشيد الطامع في حكم نجد مستعدًا في سبيل ذلك لسحق أي قوة تقف حجر عثرة في تحقيق طموحاته، كأبناء سعود الفيصل، أضف إلى ذلك أن ابن رشيد يعلم أن قتل أبناء سعود لن يجلب عليه المتاعب، خصوصًا وهو يعلم أن فرع آل سعود المقيمين عنده في حائل لن يأسفوا كثيرًا على قتلهم لما بينهم من الخلاف والعداوة، وإذا أخذنا برواية ضاري فإن موقف الإمام عبدالله المؤيد للفتك بهم جاء سارًا لابن رشيد الذي حقق هدفه بأقل التبعات.

ومما يعزز ما ذهبنا إليه أن ابن رشيد وابن سبهان قد اتبعا خطة محكمة لإضعاف آل سعود بقتل أبناء سعود الفيصل خصمهم العنيد، أن ابن رشيد أذن للإمام عبدالله بالرجوع إلى الرياض بعد مقتلهم وقال له (العيال اللي ينخاف منهم ذبحوا). وتقول بعض الروايات أن عبدالرحمن الفيصل قدم لزيارة أخيه في حائل فوجده مريضًا، فأمر ابن رشيد بعرضه على طبيب الحملة الفارسية للحج النازلة آنذاك حول حائل، فقال لهم الطبيب أنه مريض بالاستسقاء، فحمله عبدالرحمن سريعًا إلى الرياض[2]، فمات بعد يومين من وصوله إليها وذلك في 2/ 4/ 1307هـ[3]. **ويستحسن هنا أن نورد تحليلًا ساقه الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن في نقده لسياسة عمه عبدالله، فقد أورد ثلاثة أسباب لعدم استقرار حكم عمه وهي:**

1- وجود أبناء أخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه.

2- مناصرته لآل عليان ضد خصومهم آل مهنا، فتحزب لبيت مغلوب فضعضع نفوذه في القصيم.

3- ظهور محمد بن رشيد الطامع في حكم نجد الذي تحالف مع آل مهنا، وكانوا يدًا واحدة عليه[4].

---

(1) المصدر السابق، ص109.

(2) فؤاد حمزة، ص14.

(3) المجموع، الخزانة (9/ 141)، الذكير (الخزانة 7/ 278).

(4) الريحاني، تاريخ نجد ص 101

وهنا أريد أن أتوقف عند ظاهرة تستدعي الملاحظة في خضم هذه الأحداث، وهي تعدد وتلاحق الوفيات في البيت السعودي بين سنتي 1306هـ و1307هـ. ففي عام 1306هـ توفي في الرياض سعد بن جلوي بن تركي[1] بعد عودته إليها من حائل، وفي عام 1307هـ توفي في حائل أيضًا تركي[2] ابن الإمام عبدالله قبل سفر الإمام إلى الرياض. وفي العام نفسه مرض الإمام عبد الله في حائل ثم عاد إلى الرياض وهو مريض، فلما وصلها مات فيها بعد يومين من وصوله إليها. وعن سبب وفاة الإمام عبدالله خرجت شائعات وقتها أنه مات مسمومًا، يقول المؤرخ الذكير (والمتوافر على ألسنة الناس أنه مات مسمومًا)[3]. والمدقق يرى أن هناك توافقًا زمنيًا بين قتل أبناء سعود الفيصل في الخرج في أواخر عام 1305هـ، وحدوث الوفيات الغامضة لبعض أعيان آل سعود في حائل في العامين التاليين. وبهذا فإن الوفيات لا تبدو طبيعية وفق هذا السياق المتوالي، بل هي مريبة بحق، وهناك مجموعة قرائن تدل على وجود خطة مسبقة للتخلص منهم ومن هذه القرائن:

1- تزامن هذا الموت الغامض بُعيد مقتل أبناء الأمير سعود الفيصل.

2- لا يمكن اتهام تقدم السن أو المرض كعاملين مشتركين في موتهم.

3- أنه سرى بين الناس همس بأن (سقوة سم) كانت سبب موت بعضهم.

4- أن تتابع وفيات آل سعود المتقاربة زمنًا تدل على أن هناك استهدافًا جماعيًا لحياتهم، وإذا افترضنا أن السم كان هو السلاح الفعال لقتلهم، فإنه من المحتمل أنه أعطى لهم في مجلس واحد في سقوة قدمت لهم، وربما كان ذلك السم من النوع البطيء المفعول الذي لا يفتك بصاحبه سريعًا بل يظهر على شكل مرض يستمر أيامًا ثم يقضي على صاحبه، فتضيع بذلك التهمة الجنائية وتتوارى الشبهة. وهذا يفسره أن الذين ماتوا كانوا متلازمين في تحركهم في حائل، خاصة الإمام عبدالله وابنه تركي.

وللشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت: 1329هـ) قصيدة يشخص فيها تلك الحالة التي وصل إليها الوضع السياسي والعسكري لآل سعود في آخر دولتهم الثانية، وقد

(1) ابن عيسى، بعض الحوادث، ص194.

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها. محمد بن رشيد يكون خالًا لتركي بن عبدالله الفيصل، لأن أمه هي نورة العبد الله الرشيد.

(3) الذكير، **تاريخه**، الخزانة (7/ 278). وانظر سعود التركي (محقق) **مطالع السعود**... للذكير، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 251 هامش 1.

نظمها في عام 1302هـ، وفيها يعاتب آل سعود ويحثهم على النهوض ويشتكي من سوء الأحوال في نجد. وجاء مطلعها[1]:

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر ... متى ينتهض للحق منكم عساكر

متى تنتهوا من غمرة النوم والردى ... وينهض لنصر الدين منكم أكابر

متى تتجدد دعوة حنفية ... يكون لها بالصدع ناه وآمر

متى ترعوي منكم قلوب عن الردى ... متى ينقضي هذا القلا والتهاجر

نهضة الإمام عبد الرحمن الفيصل في الرياض:

بعد وفاة الإمام عبدالله الفيصل في الرياض في مطلع عام 1307هـ، كتب الإمام عبد الرحمن إلى ابن رشيد يطلب منه تنفيذ وعد سابق بسحب حاميته من الرياض، ولكن ابن رشيد يبدو أنه خشي من طموح عبد الرحمن فعزل فهاد بن رخيص قائد حامية الرياض، وعين ناصر الشمري لمدة شهر واحد[2]. ثم بعد ذلك أعاد سالم بن سبهان إلى الرياض كحاكم عسكري[3]، ومعه قوة تبلغ 18 رجلًا[4]، إضافة إلى القوة التي كانت مرابطة في الرياض، والتي يقدر عددها بالعشرات.

وربما كان هدف ابن رشيد من إعادة تعيين ابن سبهان مراقبة الإمام عبدالرحمن[5]، وقد ساء الإمام هذا الإجراء الرشيدي الذي اعتبره تحديًا سافرًا لسلطة آل سعود في حاضرتهم وقاعدة ملكهم. فجمع عبدالرحمن هذه الإساءة إلى ما سبقها، خاصة مقتل أبناء أخيه سعود. ولذا أخذ الإمام عبدالرحمن يمتعض من نفوذ آل رشيد المتسلط في الرياض ممثلًا في شخص سالم بن سبهان المسئول الأول عن مقتل أبناء سعود الفيصل. ولذا كان عبدالرحمن ينتظر فرصة سانحة لمحاسبة ابن سبهان ورجاله على هذه المقتلة التي تبرأ منها ابن رشيد في حينها.

---

(1) القصيدة بطولها أوردها المؤرخ بن عيسى في تاريخه، **عقد الدرر**، ص86. وهي تقع في 37 بيتًا.

(2) حمد العنقري، **حكم محمد بن رشيد**، ص89. وكان ناصر الشمري قد أبقاه ابن رشيد مساعدًا لمحمد الفيصل بعد أن اصطحب معه الإمام عبدالله وبعض آل سعود معه إلى حائل.

(3) لنتذكر أن ابن رشيد عزل ابن سبهان بعد أن قتل أبناء سعود الفيصل.

(4) **دليل الخليج**، القسم التاريخي (3/ 1692)

(5) عبدالله فلبي، **تاريخ نجد**... ص362.

فبحلول عيد الأضحى المبارك من عام 1307هـ[1] نما إلى علم الإمام عبدالرحمن أن ابن سبهان يخطط للفتك به وبمن بقي معهم من آل سعود في الرياض، عندها احتاط الإمام عبدالرحمن فلم يذهب للسلام على ابن سبهان بمناسبة العيد، وإنما أوعز إلى ابنه فيصل ابن عبدالرحمن ليذهب إلى سالم للسلام عليه صبيحة يوم العيد وتظاهر هو بالمرض والعجز، فأخبر فيصل سالمًا بأن والده يعتذر عن المجيء لمرضه، فقال سالم: نحن سنأتي للسلام عليه، وهذا ما كان يريده الإمام عبدالرحمن، حيث تظاهر بالمرض لاستدراج سالم ورجاله إلى قصره للإيقاع بهم، ويبدو أن سالم الذي كان ينوي فعلًا الفتك بآل سعود في مجلسه قد عدّل من خطته، فبدل أن يوقع بهم وهم ضيوف عليه، عزم على الإيقاع بهم وهو ضيف عليهم. وعندما استقر المجلس بسالم هو ورجاله طلب حضور وجوه آل سعود لإبلاغهم توجيهًا من سيده ابن رشيد، عندها كان الإمام عبدالرحمن قد أخذ أهبته واتفق مع ابنه الأكبر فيصل وعمه فهد بن جلوي وعبدالعزيز بن جلوي وفهد بن مشاري آل سعود ورجالهم بالقبض على سالم ورجاله الذين كانوا أربعين رجلًا مسلحًا[2]، فهجموا عليهم دفعة واحدة وجردوهم من سلاحهم.

فأمر الإمام بحبس سالم ورجاله، وقتل بعضهم كما تذكر بعض المصادر، إلا أن تلك المصادر لا تصرح لنا إلا باسم واحد فقط من هؤلاء الذين قتلوا من رجال ابن سبهان، وهو (خلف بن مبارك الأسلمي الشمري)، وذلك لأنه باشر قتل محمد بن سعود آل فيصل[3]، فقتله الإمام عبدالرحمن قصاصًا. أما ابن سبهان فلم يشأ عبدالرحمن قتله لأنه ربما خشي رد فعل عنيف من ابن رشيد الذي قد ينتقم لمقتله بقتل آل سعود الذين عنده في حائل تحت الإقامة الجبرية هناك[4].

ولكن بعض المؤرخين ذكر خلاف الرواية السابقة، وصرحوا أن سالمًا فر من مجلس عبدالرحمن عندما هم آل سعود بالقبض على أتباعه، فقد ذكر المؤرخ الذكير أن سالم لم يقبض عليه بل هرب. واختفى في الرياض، ثم خرج في الحيلة قبل قدوم ابن رشيد[5]،

---

(1) ابن عيسى **عقد الدرر**، المطبوع ص89. البسام، **التحفة**، المخطوط ورقة 162.

(2) فؤاد حمزة، **تاريخ البلاد السعودية**، ص14. وانظر: سعود بن هذلول، **تاريخ آل سعود**، ص49.

(3) عبدالله البسام، **تحفة المشتاق**، المخطوط، ورقة 162. وانظر: ورقات غير منشورة من تاريخ إبراهيم بن عيسى، مصدر سابق، ص311

(4) سعود بن هذلول، مصدر سابق، ص50.

(5) مقبل الذكير، **تاريخ الذكير**، ص50، الخزانة (7/ 280).

وتقول بعض الروايات أن سالمًا هو الذي استنجد بابن رشيد، ويميل إلى هذا الرأي عبدالله فلبي، حيث يرجح أن سالمًا نجا ولم يقبض عليه[1]. بينما يؤكد عامة المؤرخين، وعلى رأسهم شيخهم ابن عيسى، أن سالم قبض عليه وصحبه بقوله بعد الصلح مع ابن رشيد، (أطلق عبدالرحمن سالم ومن معه من الحبس)[2].

لقد كانت حركة عبدالرحمن بعثًا للأمل في نفوس آل سعود لاستعادة نفوذهم الذاهب بسبب تزايد نفوذ حائل السياسي والعسكري في عقر دارهم الرياض. وسواء كانت هذه الثورة السعودية بتنسيق مع أمراء القصيم، أو أن هؤلاء الأمراء استفادوا منها وشجعوها بعد حدوثها فالأمر سيان، حيث التقت مصالح الرياض والقصيم في استثمار هذه الضربة السعودية التي وجهت للتمثيل الرشيدي في الرياض، ولذا نجد الإمام عبدالرحمن يبادر إلى أميري القصيم حسن المهنا وزامل السليم يخبرهما بما حدث ويطلب منهما النصرة[3]. ومن هنا وجد أمراء القصيم أن ثمرة التحالف مع عبدالرحمن قد أصبحت ناضجة، فأيقظت همتهم وزادت من عزيمتهم لمقاومة ابن رشيد، ولهذا الاعتبار يميل بعض المؤرخين إلى جعل ثورة الإمام عبدالرحمن على نفوذ ابن رشيد في الرياض جرت بحسب اتفاق مسبق بين ذلك الإمام وأمراء القصيم الذين حسنوا له القبض على سالم ورجاله، وقد كتب حسن المهنا بهذا المعنى للإمام عبدالرحمن ووعده النصرة والقيام معه بحسب ما رواه لنا المؤرخ عبدالله البسام في تاريخه[4]، بل إن هذا المؤرخ أكد أن الرسل ترددت بين الطرفين في ذلك الأمر. كما ذكر ابن عيسى أن حركة الإمام عبدالرحمن كانت بممالأة من أميري القصيم حسن المهنا وزامل السليم.[5]

غزو ابن رشيد للرياض مطلع عام 1308هـ:

عندما وصل إلى ابن رشيد خبر إطاحة عبدالرحمن برجاله في الرياض غضب وأخذ يستعد لغزو الرياض، محيطًا تحركه بسرية لتحقيق عنصر المفاجأة، ولذا بادر إلى إرسال

---

(1) عبدالله فلبي، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، ص363.

(2) ابن عيسى ، **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام (4/ 1134).

(3) عبدالله البسام، **تحفة المشتاق**، المخطوط ورقة (163).

(4) المصدر السابق، ورقة 162. وقد تفرد هذا المؤرخ بذكر تفاصيل عن حادثة القبض على ابن سبهان لا نجدها عند غيره.

(5) ابن عيسى، **تاريخه المجموع**، المخطوط، ورقة 246 في أحداث عام 1307 هـ.

سرية لاسترجاع آل سعود الذين كان قد أذن لهم بالرجوع إلى الرياض، فأدركتهم تلك السرية خارج حائل وأرجعتهم، ونقرأ من حركة ابن رشيد هذه رغبته في كتمان الأمر ليتحرك بسرعة وسرية[1]. والأمر الآخر أن ابن رشيد أراد أن يساوم بهؤلاء الرهائن من الأسرة السعودية في أي مفاوضات متوقعة مع الإمام عبدالرحمن قد تحصل في الرياض، ولذا اصطحبهم معه عندما توجه إلى الرياض غازيًا لها.[2]

وأثناء مسير ابن رشيد من حائل بقواته كتب إلى أهل القصيم ـ الذي خشي أن يعترضوا طريقه إلى الرياض ـ يستعطفهم تسكينًا وخداعًا لهم[3]. بل إن بعض المؤرخين ذكر أن ابن رشيد تصالح مع أهل القصيم على ألا يشتركوا معه في غزو الرياض، كما ذكر المؤرخ إبراهيم القاضي في تاريخه[4].

كان خروج ابن رشيد من حائل قاصدًا الرياض في أول المحرم عام 1308هـ[5]، ولما وصل إلى مشارف الرياض ضرب عليها حصارًا عسكريًا واقتصاديًا، ولكنه لم يستطع اقتحامها لأنه وجد أهلها قد انتذروا به فتحصنوا بها، وذلك في الخامس من صفر من العام نفسه [6]. وعند ذلك ثارت الحرب بين الجيش المحاصر وقوة الرياض[7]، ويبدو أن حصاره لها كان من جهة الجنوب الغربي من جهة (ظهرة البديعة)، حيث أحرق من نخيلها ما يقارب ثمانية آلاف نخلة[8]، واستمرت حالة الحصار على هذا النحو ما يقارب الأربعين يوما[9]. ورغم إطالة ابن رشيد حصاره للرياض واستخدامه المدافع لضرب أسوارها[10]، فإن هذا كله لم يجد نفعًا، ما اضطره إلى رفع الحصار والجلوس للمفاوضة مرغمًا، وذلك لوجود أسباب موضوعية أجبرته على قبول الصلح ، منها:

(1) عبدالله البسام، **تحفة المشتاق**، مصدر سابق، ورقة162.
(2) المصدر السابق، ورقة 163.
(3) عبدالرحمن ابن ناصر، **عنوان السعد**.... ورقة 38.
(4) إبراهيم القاضي، **تاريخه**، ورقة 4.
(5) البسام، **التحفة** ، المخطوط ، ورقة 163
(6) العبيد، **النجم اللامع**، (2/ 252).
(7) عبدالرحمن بن ناصر، مصدر سابق ، ورقة 38، وعبدالله البسام، **التحفة**، ورقة 163.
(8) المصدران السابقان، وقد ذكر عبد الله البسام اسمين لرجلين من ملاك هذه النخيل المحروقة من أهل الرياض، هما عبد العزيز الشميسي وابن جابر.
(9) أجمعت أغلب المصادر المعتبرة على تقدير مدة الحصار هذه.
(10) **دليل الخليج** 3/ 1692

1- بوادر حركة أمراء القصيم ضده وشكه في نواياهم تجاهه[1].

2- تخلي بعض البادية عن حلفهم معه وهو تحت أسوار الرياض[2].

3- خوفه على رجاله الذين ما زالوا في قبضة الإمام عبدالرحمن من أن يمسهم سوء.

وقد وقع الصلح في شهر ربيع أول عام 1308هـ[3]، وتم بواسطة بعض زعماء البادية مثل (ابن ربيعان العتيبي)[4]، ولإجراء المفاوضات خرج إلى معسكر ابن رشيد وفد من الرياض مكون من[5]:

- الأمير محمد بن فيصل آل سعود.
- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.
- الشيخ حمد بن فارس.
- الأمير (الملك) عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

ويلاحظ أن الإمام عبدالرحمن لم يترأس الوفد، واكتفى بإرسال ابنه (الملك) عبدالعزيز رغم حداثة سنه آنذاك كنوع من الحيطة والحذر.

وجرى الصلح وفق الشروط الآتية:

1- إطلاق سراح رجال ابن رشيد.

2- إطلاق ابن رشيد سراح من لديه من آل سعود الذين جلبهم معه من حائل ليساوم بهم.

3- تسليم الأسلحة والدواب التي صودرت من رجال حامية ابن سبهان في الرياض.

4- أن يكون العارض والمحمل والوشم وجنوب نجد تابعا للإمام عبدالرحمن[6].

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن صلح ابن رشيد لم يكن يتناسب مع قوته آنذاك،

---

(1) عبد الله المحمد البسام ، تاريخه (الخزانة 5/ 41).

(2) **دليل الخليج** (3/ 1693)، وقد ذكر هذا التعليل منفردًا، ولم أجد له ذكرًا في المصادر الأصلية المحلية، وذكر أيضًا أن الاغتيالات وقعت بين قواته.

(3) عبد الله البسام، **التحفة**، ورقة 163.

(4) فؤاد حمزة، مصدر سابق، ص15.

(5) سعود بن هذلول، مصدر سابق ص50 - 51.

(6) المصدر السابق، ص 51.

وأدركوا أنه اضطر إليه بسبب ضعف موقفه في تلك الأثناء، بحسب مقتضى الحال والمصلحة التي أجبرته على إمضاء هذا الصلح، وهو يعلم أن الصلح لا يلبي طموحه، وقد أدرك أحد المؤرخين هذا المعنى فوصف الصلح بأنه مموه، إذ قال ابن ناصر: (إلا أنه كان صلحًا مموهًا)[1].

ومما يؤكد أن ما فعله ابن رشيد كان مخاتلة للإمام عبدالرحمن، أن ابن رشيد كتب إلى أهل المحمل والشعيب: (أن صلحه مع عبدالرحمن، وترك قراهم له ليس إلا حيلة منه، وأنه سيعاونهم). فوقعت الكتب في يد الإمام عبدالرحمن فعلم أن ابن رشيد خانه، وأنه كان يخادعه[2].

لقد كان القصيم (الرقم صعب) في هذا الصراع، فكان بمثابة الغائب الحاضر في هذا الصلح ، فلم يرفع ابن رشيد الحصار عن الرياض، وأقرّ الصلح مع أهله لولا أن قلبه وعينه كانا على أمراء القصيم حذرًا وترقبًا، فقد أشارت وثيقة عثمانية إلى أن ابن رشيد أثناء توجهه إلى الرياض عثر على رسول برسالة من حسن المهنا إلى الإمام عبدالرحمن، وتستدرك الوثيقة أن ابن رشيد لم يشأ محاسبة حسن المهنا[3] حتى لا يضع نفسه بين خصمين. كما جاء المعنى نفسه عند المؤرخ الذكير، إذ قال عن تصرف ابن رشيد حيال اتصال حسن المهنا بالإمام عبدالرحمن (لأنه وهو السياسي المحنك لم يشأ أن يعلن الحرب عليهم جميعًا، لئلا يقفوا ضده فأصلح مع عبدالرحمن)[4].

وقد تأكد لنا بوضوح من سياق الأحداث الآنف ذكرها أن أمراء القصيم قد مالوا إلى كفة الإمام عبدالرحمن، وناصروه وتعاقدوا معه خفية، لكنهم في الوقت نفسه لم يقطعوا كل حبال الود مع ابن رشيد بعد، ما زال هناك خيط رفيع يربط بينهم، أقول ببقاء ذلك الخيط اعتمادًا على رسالة بعثها الأمير حسن المهنا بعد حادثة الرياض إلى أحد مسؤولي الحكومة العثمانية في بغداد يخبره فيها بما حدث، وقد لفت نظري أن حسن المهنا تحدث عن ابن رشيد في هذه الرسالة بكثير من اللباقة السياسية الواضحة كأنه يعتذر له عن ما فعله عند أسوار الرياض، وجاء في تلك الرسالة مثل قوله: (الأمير محمد العبد الله يسلمه)

(1) ابن ناصر، مصدر سابق، ص39، وقد وافقه على هذا التشخيص الريحاني، **تاريخ نجد**، ص 105.

(2) فؤاد حمزة، **تاريخ البلاد السعودية**، ص15.

(3) وثيقة عثمانية صادرة في عام 1308هـ من دون تحديد الشهر أو اليوم.

(4) سعود التركي (محقق)، **مطالع السعود**... للذكير، مصدر سابق، ص 254، هامش 1.

وقوله: (وأصلحهم على بلدانهم جزاه الله خيرًا)، وهذه اللغة في خطاب حسن توحي بوجود بقية من الاحترام لابن رشيد في نفس حسن المهنا، رغم أن الخلاف بينهما كان قد استحكم في تلك الفترة المتزامنة مع حصار الرياض، والتي تتحدث عنها الوثيقة[1].

ونلاحظ أن مسألة النفوذ على القصيم لم تكن مطروحة في (صلح الرياض)، وذلك لأنه كان يعالج أزمة بين آل سعود وآل رشيد محدودة بزمانها ومكانها، إلا أن إقليم القصيم كان هو الحاضر الغائب في هذا الصلح. كما أن الإمام عبدالرحمن لم يكن لديه من القوة ما يستطيع بها أن يضمن حماية القصيم من أطماع ابن رشيد، وفي الوقت نفسه لم يرد أن يكشف أوراق تعاطفه مع أهل القصيم وتعاطفهم معه، وكذلك أن ابن رشيد من جهته لم يكن في صالحه فضح مطامعه في القصيم الذي كان يتوثب للانقضاض عليه، وهذا الوضع الحرج والمتداخل هو ما جعل ابن رشيد غير مستعد لمواجهة[2] مسألة الرياض بحزم، ولذا فضل إجراء هذا الصلح المموه بحسب ما وصفه المؤرخ عبدالرحمن بن ناصر.

ثانيًا: الوضع السياسي لإمارة الجبل (حائل)

كان حاكم حائل آنذاك هو محمد العبد الله الرشيد الذي امتد حكمه ما بين عاميّ (1288-1315هـ). ويعتبر عهده أزهى عصور دولة آل رشيد، وواسطة عقد هذه الإمارة العربية[3]. اعتلى محمد الرشيد العرش بعد أن قتل ابن أخيه الأمير بندر بن طلال، وذلك لأن هذا الأمير قد قتل عمه متعب (أخو محمد) واستولى على الحكم[4]. ويمكن لنا أن نقسم عهد الأمير محمد العبد الله الرشيد إلى فترتين:

(الفترة الأولى): وهي التي كان فيها تابعًا لحكم آل سعود بالرياض تبعية اسمية، رغم الخلاف الذي وقع بين الإمام عبدالله الفيصل وأخوته، وقد أغراه - لاحقًا - هذا الصراع الذي احتدم بين الأخوة من آل سعود على التدخل في شؤونهم، حتى وصل الأمر إلى أن غزا الرياض واصطحب معه الإمام عبدالله الفيصل إلى حائل، ثم غزاها مرة ثانية.

أما (الفترة الثانية): فهي الفترة التي أخذ فيها نجم محمد الرشيد يعلو في سماء الجزيرة

---

(1) رسالة بعثها حسن المهنا إلى رئيس بلدية بغداد الثالثة، راجعها في ملحق الوثائق.

(2) لويس موسيل، آل سعود، ص 127.

(3) الذكير، الخزانة (7/ 318).

(4) كان هذا عام 1285هـ، انظر: الذكير، الخزانة (7/ 258).

العربية، مستفيدًا من ضعف الدولة السعودية الثانية، متوجًا عصره بانتصار ساحق في (كون المليدا) عام 1308هـ ضد أهل القصيم، و(معركة حريملاء) عام 1309هـ ضد الإمام عبد الرحمن وحليفه إبراهيم آل مهنا. وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين عن صعود نجمه السياسي: (استفحل ملكه عام 1308هـ بعد المليدا...وقد صار له في الحكم حظ كبير... حتى إنه غزا (52 غزوة) ما انهزمت له راية، وهيبته بالغة بالخواطر إلى أن توفي)[1].

وقد بلغ دخل إمارة آل رشيد في عهده ما يتراوح بين (80 و 90 ألف) جنيه استرليني، بحسب تقدير الليدي آن بلنت عام 1297هـ. وقد امتد حكمه على نجد كلها، قال حمود العبيد الرشيد:

يا اللي على وجهك كسرنا اليمامة   نجد ملكناها من الطاف للطاف

بل امتد حكمه في وسط الجزيرة العربية، من أقصاها (شمالًا) حتى مشارف جنوب الشام، إلى أقصاها (جنوبًا) حتى مشارف شمال نجران. وقد شهد الملك عبد العزيز - بحسب وثيقة بريطانية - لمحمد بن رشيد بالفطنة السياسية، حيث نقلت عنه الوثيقة قوله: (ولما مات محمد بن رشيد أخذت القبائل التي شد أزرها بفطنته السياسية العالية بالتفرق، ووجد آل سعود فرصتهم آنذاك)[2].

كما قدم تقرير بريطاني وصفًا موجزًا لشخصية الأمير محمد بن رشيد حيث جاء فيه: (ويبدو أن تاريخ أعمال محمد بن رشيد يثبت أنه كان رجلًا ذا طاقة وقدرة غير عاديتين... وكان محمد أقرب إلى القصر منه إلى الطول، لكنه كان قويًا متين البنيان، وكانت لحيته مهذبة على الطريقة التي نسميها الإسبانية)[3]، وقد شبهته الليدي آن بلنت بالملك ريتشارد الثالث البريطاني في وجنتيه وعينيه الغائرتين[4]. ووصفه الرحّال الفرنسي شارل هوبير عندما قابله عام 1298هـ قائلًا: يبلغ من العمر (46 عامًا) وطوله (1،65م) ووجهه ينضح بالعزم والتعبير، نظره ثاقب كثير الحركة ينتقل من شخص إلى آخر كأنه في قلق دائم، ذو ابتسامته سخية وعذبة

(1) عبد الرحمن البسام، تاريخه، الخزانة 5/ 80 - 81.

(2) نجدة فتحي، **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية** 1/ 160، جزء من خلاصة كتبها الكابتن شكسبير من خلال معلومات أدلى له بها الملك عبد العزيز.

(3) جاء هذا الوصف في رحلة البارون نولده عندما قابل ابن رشيد عام 1310هـ، مصدر سابق، ص 87. واقتبس **دليل الخليج** 3/ 1735 منه هذا الوصف.

(4) الليدي آن بلنت، **حج إلى نجد**، ص187.

جدًا ولحيته خفيفة الشعر سوداء وهو محدث يحب الدعابة، وذكر كذلك أنه كان من أشهر الرماة الماهرين[1]. وقد وصفه الشيخ مقبل الذكير (فخر التجار) عام1305هـ، بقوله: عمره خمسون سنة، مربوع القامة، إلى الطول أقرب، نحيف الوجه، وفي وجهه بعض الجدري، معتدل لا نحيف ولا سمين ولونه أيضًا معتدل[2].

وكان ابن رشيد يجيد القراءة والكتابة بدليل ما ذكره الرحالة الفرنسي شارل هوبير الذي قابله من أنه كتب له بيده بعض أسماء المواضع الجغرافية. كما كان مثقفًا عصريًا، حيث قالت عنه وثيقة عثمانية (إنه رجل يتمتع بذكاء حاد ومطلع على أحوال العالم وصاحب شخصية قوية)[3]، وكان مطلعًا على تجاذبات السياسة الدولية ومشاكل الدولة العثمانية على مستوى الولايات والإدارات، حيث كان يشترك في عدد من الصحف العربية والتركية التي تصل إليه بالبريد من مصر وسوريا وإستنابول[4]. كل هذا كوّن عنده وعيًا لمتابعة القضايا المحيطة به كقضية تمرد اليمن ضد الحكم العثماني عام 1308هـ(مثلًا). وإدراكه للترهل الإداري والفساد الحاصل في داخل الدولة العثمانية، ما جعله ينتقد رجالها الفاسدين بشده في مجالسه علنا، ولكنه في الوقت نفسه كان يحترم السلطان عبدالحميد ويراه مخلصًا كرجل دولة[5].

وقال عنه المؤرخ الذكير: كان بعيد النظر شديد الرمي، حكيمًا حليمًا عادلًا مبرزًا في سياسته، محمود السيرة، شديد الوطأة على البادية، عطوفًا على رعاياه من الحضر... عفيفًا عن أموال رعيته...لم يفتح عينه لشيء من الضرائب والمكوس...)[6]. وقال أحد المؤرخين عن سياسته (كان لا يستعمل القوة إذا أغناه اللين عن استعمالها، ولا يتأخر عن استعمالها إذا رأى لا فائدة في اللين)[7]. توفي الأمير محمد بن عبدالله بن علي آل رشيد

---

(1) شارل هوبير، مصدر سابق ص 52-54.

(2) رسالة مقبل العبد الرحمن الذكير للمعتمد البريطاني.

(3) كورشون، **آل سعود والعثمانيون**، مصدر سابق، ص 239.

(4) رحلة البارون نولده، مصدر سابق، ص 93.

(5) المصدر السابق، ص92.

(6) مقبل الذكير، تاريخه..، الخزانة، مصدر سابق (7/ 318).

(7) يوسف البسام، **الزبير قبل خمسين عامًا**، ص 180.

في الثالث من رجب عام 1315هـ[1]، عن عمر 63 سنة، حيث كانت ولادته عام 1252هـ[2]. وكانت وفاته بسبب إصابته بمرض (ذات الجنب)[3] الذي لم يمهله أكثر من 12 يومًا[4]. ومات عقيمًا، مع أنه تزوج الكثير من الحرائر والإماء. وكان يسمى أبو المساكين[5]. وقد كتب على شاهد قبره (محمد ابن عبدالله ابن رشيد رحمه الله سنة 1315، 3 ب)[6].

ولكن رغم توسع إمارة آل رشيد في عهد الأمير محمد العبد الله الرشيد، التي حكمت ما يقارب ثلث الجزيرة العربية، فإن دولة الرشيد لم تلامس الساحل ولم يكن لها مرفأ وكانت تتسلح اعتمادًا على المدن الساحلية والموظفين الأتراك في الإحساء والعراق وسوريا وتتحصل على معظم الذخيرة من الكويت ومرفأ العقير[7]. ولا شك أن هذا الوضع كان معضلة إستراتيجية كانت تعاني منه إمارة الرشيد في حائل.

النفوذ العثماني في حائل: ورث الأمير محمد العبد الله الرشيد الذي تولى الإمارة عام1288هـ[8]، علاقة راسخة بالعثمانيين كان قد أسسها أخوه الأمير طلال بن عبدالله بن رشيد (ت 1283هـ)، بسبب الجيرة والتجارة معهم، حيث أمر طلال بالدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة[9]. وفي تاريخ 11/ 6/ 1289هـ عينت الدولة العثمانية محمد العبدالله آل رشيد بمنصب (قائمقام) برتبة (مير ميران) أي أمير الأمراء[10]. وكما جاء في وثيقة عثمانية بتاريخ 26/ 4/ 1302هـ تأكيد أن الأمير محمد الرشيد لا يزال على الولاء والطاعة وملتزمًا

(1) شذ بعض المؤرخين في تاريخ وفاته سنة وشهرًا، فجاء في **القول السديد** (ص15) أنه توفي عام 1313هـ، وجاء في إحدى الروايات أنه توفي في شهر جمادى الثانية من عام 1315هـ، **أوراق في تاريخ نجد** لمؤلف مجهول، ص41.

(2) دلال الحربي، **نساء شهيرات**، ص159. وحسب تقدير نولده فيفترض أن يكون عمره عند وفاته 58 سنة لأن نولده قابله عام 1310هـ وقدر عمره ب 53 سنة. انظر نولده مصدر سابق، ص 87.

(3) مرض ذات الجنب: هو مرض يصيب الصدر، ويحدث بالتصاق الرئتين، ويصاحبه سعال وحرارة، ويسمى طبيًا (نيمونيا). ومن المشاهير الذي ماتوا به الشيخ عبدالله الخلف الدحيان شيخ الكويت وقاضيها ت 1349هـ.

(4) عبد الرحمن الصالح البسام، تاريخه، الخزانة 5/ 81.

(5) علي الصالح، **تاريخ حائل**، ص29، مجلة **العرب**، ملحق الجزء السادس السنة 3 ذي الحجة 1388هـ.

(6) أحمد العريفي، **مقامات حائلية**، (1/ 259)، في مقبرة البويضا بحائل. والمقصود ب (3 ب) أي اليوم الثالث من شهر رجب.

(7) موسيل، **في التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، ص29.

(8) **دليل الخليج** (3/ 1695).

(9) **دليل الخليج** (3/ 1728)، وانظر أيضًا (3/ 1690).

(10) سهيل صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة...**، دار جداول، ص462. وانظر للمؤلف نفسه، **الأوسمة العثمانية والحاصلون عليها من الجزيرة العربية**، مركز حمد الجاسر الثقافي، ط1، 1428هـ، ص 43.

بدفع الضريبة لخزينة الدولة العثمانية[1]، كما أرسلت في نفس العام خلعة سلطانية إلى الأمير محمد الرشيد بسبب ولائه للسلطان العثماني[2]. وكانت السلطات العثمانية تصرف ما يسمى الصرة السلطانية، وهي هبة مالية للأمير ابن رشيد الذي كان يرسل في كل سنة لجلبها وفدًا يمثله [3]. ومن أمثلة ذلك أن السلطات العثمانية أرسلت عام 1305هـ صرة سلطانية بها مبلغ 25 ألف قرش و31 خلعة قفطان لابن رشيد وأتباعه[4].

ولم تقتصر مظاهر التبعية على الشكليات بل امتدت إلى العمل الدبلوماسي، فقد جاء في بعض الوثائق العثمانية ما يفيد بأن الأمير محمد بن رشيد أرسل أحد رجاله سفيرًا إلى السلطان عبدالحميد الثاني لتعزيز الولاء للدولة العلية العثمانية وذلك عام 1306هـ[5]. وقد اعتاد الأمير محمد الرشيد أن تكون هداياه للسلطان خيولًا عربية أصيلة[6]. يقول المؤرخ الذكير عن تلك العلاقات: (أسّس روابط مع حكومة الترك فاتصل بالسلطان عبد الحميد المشهور وتقرب من رضا السلطان، وكان يرسل له في كل سنة عددًا كبيرًا من الخيل الجياد، فحظي عند السلطان بحظوة لم يبلغها أحد من أمراء العرب، فانتفع خلفه بهذه الحظوة واستغلها في حربه مع ابن سعود حيث أمدته بالجنود والعتاد)[7]. وكانت السلطات العثمانية تحاول أن تترجم هذه العلاقات إلى واقع ملموس وذلك عن طريق معرفة ومتابعة واقع هذه الإمارة، الحليف العربي الأهم، ففي عام 1293هـ رفع تقرير مفصل إلى السلطان عبدالحميد عن إمارة آل رشيد، وكذلك رفع تقرير مماثل في عام 1308هـ وهو العام الذي تغلب فيها ابن رشيد على نجد كلها ودانت له جميع أراضي وسط الجزيرة العربية[8].

كما أشار أحد المصادر البريطانية إلى محاولة الدولة العثمانية نشر نوع من القوة الناعمة لها في مجتمع حائل عاصمة إمارة آل رشيد. حيث ذكر المصدر أن الأمير محمد

---

(1) كورشون، **سواحل نجد**، ص84.

(2) المصدر السابق، ص 137. وثيقة عثمانية بتاريخ 5 رمضان 1302 هـ.

(3) أحمد العريفي، **مقامات حائلية**، (1/ 81).

(4) وثيقة عثمانية مؤرخة في 16 شعبان 1305هـ. صادرة عن مجلس الخصوص العثماني.

(5) كورشون، **سواحل نجد**، ص176، تاريخ الوثيقة 7/ 4/ 1306هـ.

(6) الزعارير، **تاريخ إمارة آل رشيد**، ص68، وقد ذكر أن الأمير يقدم 80 حصانًا سنويًا للسلطان. وجاء ما يفيد بهذا في **دليل الخليج** (3/ 1741).

(7) الذكير، الخزانة، مصدر سابق، 7/ 319.

(8) كورشون، **سواحل نجد**، ص157، ملخص وثيقتين إحداهما صدرت بتاريخ 8/ 2/ 1293هـ، والأخرى بتاريخ 3/ 7/ 1308هـ.

العبدالله الرشيد استقبل بحفاوة عام 1303هـ/ 1886م وفدًا تركيًا جاء لأخذ أذن من ذلك الأمير لبناء مسجد ومدرسة عثمانية في حائل، ولكن الأمير لم يستجب لطلبهم[1]. ويبدو أن سبب الرفض هو الخشية من توطين فكر دخيل ستجلبه مثل هذه المدرسة، ما يتعارض مع الفكر السلفي السائد في حائل. كما أن ابن رشيد لا يريد أن تتجاوز تبعيته للعثمانيين الحد الذي يقدره هو بنفسه، بحيث لا يتكرس أي نفوذ عثماني حقيقي على أرض إمارته، فهو يريد الاكتفاء بالمظاهر الشكلية فقط لتلك التبعية.

ثالثًا: الأوضاع العامة في منطقة القصيم:

يتميز إقليم القصيم بصفته مركزًا للصراع الذي يتناوله هذا الكتاب بعدة خصائص، والتي يمكن إيجازها في الاتي:

- يعد إقليم القصيم مستودعًا بشريًا لقبائل العرب وعشائرهم[2] من الحاضرة والبادية. وقد اتصف أهله بالشجاعة والصدق في السلم والحرب.

- موقعه الجغرافي المتوسط، حيث كان حلقة وصل بين شمال نجد وجنوبها.

- مرور طريق الحج البصري في أرض القصيم، ما مهد لظهور الاستيطان البشري الأول فيها.

- نزعة أهل القصيم الاستقلالية نحو حكم أنفسهم بأنفسهم.

- خصوبة أرضه ووفرة إنتاجه الزراعي، فاحتل مركزًا زراعيًا هامًا في نجد والجزيرة العربية.

- ممارسة أهله التجارة النشيطة عبر صيغ متعددة وأنشطة متنوعة، حيث أسسوا خطوطًا تجارية ومراكز اقتصادية داخل الجزيرة العربية وخارجها.

---

(1) **دليل الخليج**، القسم التاريخي 3/ 1691.

(2) اختلفت تقديرات السكان في القصيم بشكل متناقض يمنع الاعتماد عليها، ففي الفترة الزمنية نفسها التي يتناولها الكتاب نعطي المثال على ذلك التناقض، ففي وثيقة عثمانية صادرة في 5 صفر 1308هـ جاء فيها عبر تقرير رفعه عبدالله المغيرة إلى السلطات العثمانية أن سكان بريدة (30ألف) نسمة وسكان عنيزة (25ألف) نسمة. وأن إجمالي سكان القصيم يتراوح بين (70-80) ألف نسمة (سهيل صابان، **بحوث ودراسات من الأرشيف العثماني**، ص96 - 97)، بينما يقدم أحد الباحثين تقديرًا لسكان بريدة عام 1305هـ بلغ (12800نسمة)، انظر: **بريدة، محمد صالح الربدي**، الجزء الثاني، ص80.

وبهذه الميزات أصبح القصيم بموقعه الجغرافي وثقله البشري والاقتصادي مطمعًا لأي قوة مركزية تحاول الفوز به سياسيًا. وتتصدر بريدة وعنيزة بلدان القصيم في الزعامة السياسية والعسكرية والاقتصادية. ورغم النزعة الاستقلالية لدى أهل القصيم وأمرائه إلا أن قدرتهم على تحقيق تلك النزعة على أرض الواقع أخفقت في حالات كثيرة، وإن نجحوا في حالات محدودة في ضمان استقلاليتهم لفترة قصيرة. فقد كانت مدن القصيم قبل الحكم السعودي الأول تحكم نفسها بنفسها في عصر ما يسمى (دويلات المدن)[1]. إلا أنها لم تلبث أن دخلت في حظيرة الدولة السعودية الأولى. ثم عادت مجددًا ودخلت في العصر الثاني لـ(دويلات المدن) بعد انهيار حكومة الدرعية بسبب الغزو المصري الغاشم، ثم انضوت القصيم بعد ذلك تحت راية الإمام تركي بن عبدالله وابنه الإمام فيصل في الدولة السعودية الثانية. ومع ضعف تلك الدولة بفعل النزاع داخل البيت السعودي عادت مدن القصيم ودخلت في العصر الثالث لـ(دويلات المدن). ثم عندما اشتد الصراع السياسي والعسكري بين حائل والرياض كان القصيم أحد الميادين المهمة لهذا الصراع، حيث كان إقليم القصيم يمثل (حجر القبان) في ذلك الصراع المرير الذي انتهى بتفوق حائل على الرياض والقصيم سياسيًا وعسكريًا.

من خلال هذا الاستعراض التاريخي الموجز نكون قد خرجنا بأن مدن القصيم - خاصة بريدة وعنيزة - لم تكن قادرة على تحقيق الاستقلال التام لعجز قياداتها المحلية عن الانفراد بالسلطة وتحقيق الاكتفاء السياسي بنفسها، والاستغناء عن أي سلطة مركزية قوية، إذ لا تلبث تلك المدن أن تنخرط رغبًا أو رهبًا في ظل حكومة مركزية غالبًا ما تكون في الدرعية أو الرياض، ثم في حائل في الفترة التي نتحدث عنها.

وفي عهد الإمام فيصل بن تركي وأول عهد ابنه الإمام عبدالله، ظل القصيم تابعًا لآل سعود في الرياض، فقد ذكرت وثيقة عثمانية أن سكان القصيم كانوا يدفعون زكاتهم للرياض عن كل شخص منهم (ريالًا واحدًا) سنويًا[2]. كما ورد في وثيقة عثمانية مرفوعة من مدحت باشا إلى الصدر الأعظم، جاء فيها أن الإمام عبدالله (في عام 1288هـ) كان

---

(1) هذه الظاهرة السياسية لم تكن مقتصرة على إقليم القصيم، بل شملت جميع المدن النجدية قبل الحكم السعودي الأول.

(2) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، ص 230.

يحكم أربعًا وعشرين مدينة في نجد، وذكر منها الرياض وعنيزة وجبل شمر[1]. كما ذكرت وثيقة عثمانية أن القصيم كان يدفع عام 1289هـ إلى خزينة ولاية المدينة ضريبة سنوية تقدر بـ (40000 قرش)[2]. وعلى سبيل المثال أيضًا كانت بريدة تدفع ألف ريال كخراج سنوي للعثمانيين في الحجاز عام 1292هـ[3].

وفي الفترة التي نتحدث عنها والتي سبقت كون المليدا، حاولت مدن القصيم الاستقلال مستفيدة من ضعف الحكم المركزي في الرياض واستطاعت تحقيق استقلال محدود وقصير الأجل، ولكن الأحداث المضطربة جرتها إلى الانزلاق في أتون الصراع على السيادة والنفوذ في المنطقة، حيث كان هذا الصراع في أول أمره صراعًا داخليًا تمثل في النزاع على إمارة بريدة، بين أسرتي آل أبوعليان وآل مهنا، والذي تضامن فيه الإمام عبدالله مع أحقية مطالبة آل أبوعليان بحكم بريدة. وزاد من حدة الصراع حول إمارة بريدة دخول أطراف أججت ذلك الصراع، حيث أظهر زامل السليم أمير عنيزة تعاطفًا مع قضية آل أبوعليان، وقدم زامل مساندة لوجستية تمثلت في جعل عنيزة نقطة تجمع لجيش الإمام عبدالله وحلفائه من عتيبة ضد بريدة وأميرها حسن المهنا.

هنا كان تدخّل الرياض وعنيزة لمناصرة آل أبوعليان موجبًا لاستنجاد حسن المهنا بجاره الشمالي (ابن رشيد حائل)، فأصبحت المسألة كأنها حرب بالوكالة، ظاهرها صراع محلي حول حكم بريدة، وباطنها تنافس على النفوذ في نجد برمتها بين الرياض وحائل وميدانها أرض القصيم. وهذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها أطماع آل رشيد جلية واضحة في كسب المزيد من غنائم النفوذ الذاهب لآل سعود، والذي قدر له أن يتفاقم على نحو متسارع، ولم يكن القصيم سوى ميدانه الأول، ثم انتقل الصراع بعد ذلك حول إقليم سدير، ثم وصل بعد ذلك إلى الرياض ذاتها عاصمة الحكم السعودي.

بريدة في عهد أميرها حسن المهنا أبا الخيل:

هو الأمير حسن بن مهنا بن صالح بن حسين آل أباالخيل ولد في بريدة عام 1251 هجري[4]، وقد تولى الأمير حسن المهنا إمارة بريدة بعد مقتل والده مهنا في المحرم من

(1) المصدر السابق، ص236.

(2) وثيقة محضر مجلس ولاية المدينة المرفوع للسلطان العثماني، بتاريخ 1 شعبان 1308هـ.

(3) محمد السلمان، مصدر سابق، ص245.

(4) محمد بن إبراهيم أبا الخيل، **في تاريخ آل أبا خيل**، ص45.

عام1292هـ على يد جماعة من آل أبوعليان[1]، وكان حسن وقتها خارج بريدة، فحدثت مقتلة رهيبة في من قتلوا والده، رغم اعتصامهم في قصر بريدة، حيث حسمت مساندة الأهالي لحسن المهنا الأمور في نهاية المطاف لمصلحته.

ولكن الأمير حسن المهنا عندما استقر في السلطة لم ينس تحالف زامل أمير عنيزة مع خصوم والده وإغرائه لهم بقتله، ولذا نشأت علاقة من العداوة والريبة بين الأميرين، خصوصًا بعد أن أصبحت عنيزة ملاذًا آمنًا للفارين من آل أبوعليان بعد فشل ثورتهم، والذين كانوا يتربصون الدوائر بحسن المهنا، حيث اتخذوا من عنيزة مركزًا آمنًا للتخطيط ضد حسن المهنا، حتى أسفرت تلك الخطط عن حلف بين الإمام عبدالله الفيصل، وزامل أمير عنيزة وقبيلة عتيبة بعد أن عجز الأمير زامل عن إنجادهم بنفسه[2]. وبعد أن تكامل الحلف الثلاثي في عنيزة وحولها لمناصرة آل أبوعليان معلنين الحرب على أمير بريدة الجديد، لجأ حسن المهنا إلى أمير حائل يستنجد به، الذي سرعان ما استجاب من فوره لذلك النداء وزحف نحو القصيم، وعندما أصبحت المواجهة وشيكة والصدام العسكري قاب قوسين أو أدنى بين الطرفين، جرت مساعٍ للصلح بين الفريقين برعاية الوجيه (عبدالله ابن عبدالرحمن البسام) إذ تم الاتفاق على أن تسحب جميع الأطراف المتحاربة قواتها من القصيم وتعود إلى أوطانها، ويبقى الوضع كما هو عليه في بريدة ويكون الحكم فيها لحسن المهنا. **لقد كانت هذه المواجهة مواجهة سياسية بامتياز فقد كشفت عن واقع جديد بدأت ملامحه تتشكل في المنطقة، وهو ما مهد لظهور مرحلة جديدة وتشكلت معالمها على النحو الآتي**[3]:

1- كانت هذه أول مواجهة ـ مكشوفة بين آل سعود وآل رشيد الحلفاء السابقين لبعضهم البعض، وقد كشفت عن ضعف حقيقي لنفوذ الإمام عبدالله، ما لبث أن استشرى لاحقًا.

2- عززت هذه المواجهة الانقسام السياسي بين بريدة وعنيزة، حيث سلكت كل إمارة منها خطًا سياسيًا مخالفًا لجارتها.

---

(1) كان الإمام فيصل بن تركي قد أقر مهنا الصالح على حكم بريدة عام 1280هـ فأخرج، آل أبو عليان الأمراء السابقين من بريدة ، فلجأوا إلى عنيزة. انظر: محمد السلمان، **الأحوال السياسية** ص232.

(2) المصدر السابق ص233 - 234.

(3) المصدر السابق، ص236.

3- أسست هذه المواجهة لبداية تحالف سياسي وعسكري مطلق بين حسن المهنا وابن رشيد، وهو الذي استمر لأكثر من عقد من الزمان.

وهذا الوضع أدى بالدرجة الأولى إلى تكريس استقلال القصيم (المشوب بحذر) عن أي نفوذ خارج المنطقة، ولكن لفترة محدودة كما سنرى لاحقًا. فحسن المهنا الذي انسلخ من تبعية آل سعود لم يلبث أن سار في ركاب ابن رشيد سياسيًا وعسكريًا وتحالف معه، ورغم أن حسن كان ينظر لنفسه كندٍّ لابن رشيد، إلا أن ابن رشيد - في الغالب - لم يكن يبادله النظرة نفسها. ومما يؤكد ذلك ممارسة حائل لنفوذ ما على بريدة، حيث كان حسن المهنا يدفع لحائل ضريبة سنوية بعضها نقدي وبعضها عيني[1]. وقد ذكر الرحالة الفرنسي شارل هوبير أن حكم حسن المهنا كان يتمتع باستقلالية محدودة. وكان قرار الأمير حسن المهنا بمحالفة ابن رشيد يعتبر خلعا لبيعة الإمام عبدالله الفيصل الشرعية، كما كان يراها فقهاء بريدة، وكان هذا ما جعلهم ينتقدون الأمير حسن ويعارضونه، ما تسبب في وقوع خلاف بينه الأمير حسن وبين قاضي بريدة الشيخ (محمد بن عبدالله آل سليم) الذي خرج من بريدة إلى عنيزة مغاضبًا وذلك عام 1296هـ تقريبًا [2].

الأمير حسن المهنا[3]:

أثنى كل من كتب عن سيرته بأن الأمير حسن المهنا كان متدينًا قريبًا من الخير بعيدًا عن الشر، متواضعًا جدًا، في ملبسه ومظهره وتعامله. حيث ذكر الشيخ العبودي أنه كان يرضى أن يخاطب باسمه المجرد في الوثائق والمكاتبات الرسمية. ومن صفاته المشهورة أنه كان حريصًا على أموال الرعية جدًا، حتى وصفه البعض بالبخل كعادتهم في وصف من يدقق في الأمور المالية ولا يبذر.

ومما يدل على عفته المالية أنه مات مدينًا[4]، ومن المواقف الطريفة التي تدل على عدم ميله إلى التبذير والإسراف من دون وجه حق أن رجلًا مدحه شعرًا وابن رشيد حاضر، وكان الرجل المادح فلاحًا فقيرًا وقال تلك القصيدة متأثرًا بعدل حسن المهنا بعد

---

(1) شارل هوبير، **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى** (1878/ 2882م)، ص76. وكان هذا في أثناء زيارته سنة 1298هـ ، 1880م.

(2) صالح بن سليمان العمري، **علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم**، ط3، 1431هـ، ص 21.

(3) في الملاحق صورة لحسن المهنا.

(4) المصدر السابق.

أن أنصفه وبت في مظلمته. فلما انتهى الرجل من قصيدته أمر له حسن المهنا بـ(عشرة ريالات) كمكافأة له، فاستغرب ابن رشيد من ضآلة عطية حسن لذلك الرجل الفقير، فقال:(يا حسن خف ربك هاذي ما تثور الجمل اللي برك على رأسه، والله لو قاله لي لا أدفن فقره)[1].

وقد تحدث كاتبو سيرته عن خدماته الجليلة التي قدمها لبريدة والقصيم، ومن أشهرها تجديد وتوسعة قصر بريدة الشهير وتقوية تحصيناته، فقد كان قصرًا لحكم بريدة وحصنا يحمي المدافعين عنها، وساهم في بناء المساجد وتحسين الزراعة وتوفير المياه للأهالي بحفر الآبار[2]. كما قام عام 1307هـ بتجديد سور بريدة وتقويته[3] تحسبًا لمقبل الأيام. وقد وصف الرحالة شارل هوبير الذي زار بريدة في أوجها السياسي عام 1298هـ/ 1880م، بأن لبريدة مركزًا تجاريًا كبيرًا خاصة في موسم التمر، حيث ينزل البدو في موسمه بألف خيمة حول بريدة، وهم يشترون التمر والأرز والقمح والأقمشة. ثم قال: (وبإمكاني أن أجزم أن ثمن ثروات بريدة تفوق ثروات حائل عددًا وحجمًا)[4]. **وقد وصف هذا الرحالة الفرنسي هيئة الأمير حسن المهنا، فجاء وصفه كالآتي**[5].

- عمره 52 سنة. (عام 1298هـ)
- مبتذل المظهر، بسيط الملبس.
- لا ينم مظهره الخارجي عن ذكاء شديد[6].
- في عينه اليسرى بياض يمنعها من الرؤية.
- يتمتع بسيادة مستقلة، ولكنها محدودة.

امتد حكم حسن المهنا لبريدة مدّة 16 سنة، من عام1292هـ إلى عام 1308هـ، حيث وقع

---

(1) المصدر السابق (21/ 400)، وفي المصدر توجد القصيدة.

(2) راجع المزيد عن سيرته، ابن العبيد، **تذكرة أولى النهى والعرفان** (1/ 288). وانظر: محمد بن إبراهيم أبا الخيل، في **تاريخ آل أبا خيل**، ص56.
وانظر: محمد العبودي، **معجم أسر بريدة** (21/ 400) وما بعدها.

(3) محمد العبودي، معجم أسر بريدة (2/ 491). محمد السلامة، مصدر سابق، ص 186 (من مقابلة الباحث السلامة مع الشيخ سليمان بن حسن بن سليمان بن حسن المهنا).

(4) شارل هوبير، مصدر سابق، ص76.

(5) المصدر السابق ص75.

(6) أثبتت الأحداث اللاحقة عكس هذا الكلام.

في الأسر بعد كون المليدا، وامتد عمره 12سنة في سجن ابن رشيد، إلى أن توفي فيه عام 1320هـ، وقد جاوز السبعين عامًا.

عنيزة في عهد أميرها زامل العبد الله السليم:

تولى زامل إمارة عنيزة منفردًا[1] عام 1285هـ، بعد وفاة ابن عمه عبدالله بن يحيى السليم، واستمر في الإمارة حتى مقتله في كون المليدا 1308هـ، حيث امتد حكمه مدة 23سنة. وقد ذكر بعض الرحالة[2] الأجانب بعض أوصاف زامل وهيئته، ومنها:

- كان قصير القامة.
- به عرج يسير (بسبب إصابته في إحدى المعارك).
- جبهته عريضة.
- عيناه حيويتان، وشديدتا الذكاء.
- وافر شعر الرأس وله أربع ظفائر.
- كثيف اللحية والشارب.
- يجيد القراءة والكتابة.

وقد مرت عنيزة في عهد أميرها زامل بن عبدالله السليم في أزهى عصورها، ففي عصره حققت قدرًا لا بأس به من الاستقلال السياسي عن أي نفوذ خارجي، كما أصبحت في عهده طرفًا مهمًا في اللعبة السياسية والعسكرية. وتميزت سياسة الأمير زامل الداخلية بالانفتاح على الشعب والشورى مع الأعيان، حتى إن بعض الرحالة الأجانب وصفوا عنيزة بأنها (أشبه بالجمهورية، وأن أميرها زامل يبدو منتخبًا). وقد كان للظروف المحيطة آنذاك بمدينة عنيزة عامل مساعد في تحقيق استقلالية إمارتها، وذلك بعد أن ضعف مركز آل سعود السياسي في نجد، فتمتع الأمير زامل باستقلالية قراره السياسي والعسكري، رغم أنه أبقى على قدر من النفوذ الشكلي لحكومة الرياض.

---

(1) أقول منفردًا لأن زامل كان يشارك ابن عمه في الحكم، وربما غلبت شخصيته على شخصية ابن عمه الأمير.

(2) انظر وصفه: عند تشارلز داوتي، **ترحال في الجزيرة العربية** (ج3، م2، ص17)، وعند: كارلو جورماني، **نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم**. أبوظبي للثقافة والتراث، 2009م ص 70.

وقد وصف لنا الرحالة الفرنسي شارل هوبير أسلوب حكم زامل قائلًا: (إن زامل ليس أميرًا عظيم الشأن على غرار ابن رشيد في حائل، فعنيزة اليوم (1298هـ/ 1880م) هي مدينة شبه مستقلة، إنها جمهورية، وهو (أي زامل) مجرد رئيس منتخب فيها)[1]. وفي موضع آخر يذكر هوبير أن سبب استقلال عنيزة هو النزاع بين أمراء البيت السعودي، إذ يقول: (وفي الداخل استقلت عدة مدن كبرى منها عنيزة، وهي لم تدفع الضريبة للرياض منذ عام 1867م 1284 هـ)[2].

ومن ثمرة استقلالية عنيزة في فترة الاضطرابات أن الإمام عبدالله، وهو أحد أطراف الحرب الأهلية في النزاع بين أبناء البيت السعودي، طلب اللجوء إلى عنيزة عام 1290هـ بعد أن دخل أخوه سعود الرياض، ولكن زاملًا اعتذر عن طلب الإمام عبدالله[3]، لعدم رغبته في التورط في تلك الحرب الأهلية، ولضمان حيادية واستقلال إمارته، لكن ذلك لم يمنع أميرها زامل من لعب دور إقليمي لم يكن مرحَّبا به كثيرًا من قبل بعض الوجهاء في داخل بلدته، ومن ذلك تدخله في النزاع حول إمارة بريدة بين آل مهنا وآل أبوعليان، كما مر معنا آنفًا. ومن أبرز مظاهر استقلالية عنيزة وقوتها في تلك الفترة العصيبة قدرتها على تأديب البادية[4]، والتي حصل منها تعدٍّ على حمى عنيزة ومراعيها، ومن ذلك ما حدث مع بادية عتيبة عام 1289هـ. ومع بادية قحطان عام 1295هـ. أما بادية مطير فقد كانت حليفة لأمير عنيزة في هاتين الغزوتين[5].

وإلى جانب الاستقلال السياسي في عهد الأمير زامل أصبحت عنيزة مركزًا تجاريًا هامًا في نجد، فأقامت لها صلات تجارية بعيدة المدى، حيث أسس تجارها بيوتات تجارية في الحجاز العراق والشام والهند، وبذلك كان موقفها الاقتصادي متميزًا، كما أنها كانت ذات موارد غنية حققت من خلالها اكتفاءً ذاتيًا. وقد أشار الشاعر العنيزي عبدالله بن إبراهيم الجابر الخويطر في قصيدة يمدح بها الأمير زامل السليم إلى استقلاليته السياسية، ومنوّها ببلده عنيزة بقوله:

---

(1) شارل هوبر، **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى** (1878/ 2882م) ص83.

(2) المصدر السابق، ص 84. وهذا يعارض وثيقة مدحت باشا الآنفة التي تؤكد تبعية عنيزة عام 1288 للعثمانيين، وهي في كل الأحوال تبعية صورية.

(3) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، ص229.

(4) انظر: **العبيد** (3/ 272) قصة طريفة مع البادية في عهد زامل. وسعد الصويان، **الصحراء العربية** ص714 - 715.

(5) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، ص328.

إلا ولا ياطاه حكم السلاطين   ما وقّف الضباط فيها ولا داج[1]

ويشير الشاعر في صدر البيت السابق إلى أن ليس للسلطان العثماني أي مظهر من مظاهر النفوذ السياسي ولا العسكري في إمارة عنيزة، كما يشير في عجز البيت إلى أن بلده عنيزة لم يحتلها عسكر السلطان العثماني في عهد أميرها القوي زامل السليم. ولكن كل هذا لم يمنع السلطات العثمانية منح الأمير زامل السليم الوسام المجيدي من الدرجة الرابعة في 30 محرم 1289هـ، الموافق 21 كانون الأول/ ديسمبر 1870م[2].

رابعًا: تحالف بريدة وحائل أواخر القرن الثالث عشر

أفرزت الأحوال المضطربة في نجد بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي حالة من التحالفات السياسية الجديدة، أدت إلى إعطاء فرصة لبروز قوى جديدة في وسط الجزيرة العربية، كان من أبرزها إمارة آل رشيد في حائل، الذي التقت مصالح سيدها ابن رشيد مع زعيم القصيم حسن المهنا في عقد حلف، على خلفية الصراعات الدائرة آنذاك بين أقطاب النفوذ في نجد. وبرز هذا الحلف بشكل علني عندما استدعى حسن المهنا الأمير محمد العبدالله آل رشيد لمواجهة الحلف الثلاثي الذي تجمع في عنيزة، والمكون من الإمام عبدالله الفيصل آل سعود وأمير عنيزة زامل العبدالله السليم وقبيلة عتيبة، وذلك عام 1293هـ.

ورغم أنه لم يحدث صدام مسلح بين الأطراف المحتشدة، إلا أن هذه الأزمة أسفرت عن بداية حلف متين امتد سنوات بين أميري حائل وبريدة، إذ لم يرحل ابن رشيد عن بريدة إلا بعد أن ضمن جذب حسن المهنا إليه كحليف يمكن الاعتماد عليه. **ومن بنود هذا الحلف التي استقيناها من المصادر[3] ما يلي:**

1- أن العدو عدو للجميع، والصاحب كذلك.

2- أن بريدة والقصيم (حاضرة وبادية) لحسن المهنا.

---

(1) داج: أي مشى وتنقل فيها.

(2) سهيل صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة...**، دار جداول، ص124. وانظر للمؤلف نفسه، **الأوسمة العثمانية والحاصلون عليها من الجزيرة العربية**، مركز حمد الجاسر الثقافي، ط1، 1428هـ، ص 40. أوفد الأمير زامل ابنه عليًا إلى المدينة النبوية لاستلام الوسام وشهادته.

(3) إبراهيم القاضي، **تاريخه**، ورقة 2. وانظر العبيد، **النجم اللامع**، ورقة 101، وانظر حمد العنقري، مصدر سابق، ص82.

3- أن عنيزة مستقلة، وغير داخلة في هذا الحلف.

4- أن لابن رشيد ما استولى عليه من نجد (حاضرة وبادية).

وقد توثق هذا الحلف السياسي، بالمصاهرة بين آل رشيد وآل مهنا[1]؛ حيث تزوج الأمير محمد بن رشيد بـ(لؤلؤة المهنا) أخت الأمير حسن المهنا، وتزوج حمود العبيد الرشيد (منيرة) بنت الأمير حسن المهنا. وكانت معركة عروى عام 1300هـ تتويجًا عمليًا لهذا الحلف، إذ حسم حسن المهنا بدخوله بقواته الموقف لمصلحة ابن رشيد ضد عتيبة وحليفها محمد بن سعود آل الفيصل، وفي ذلك قال شيخ برقا من عتيبة (محمد بن هندي بن حميد) مخاطبًا حمود العبيد الرشيد[2]:

لولا حسن نوخ بذربين الأيمان ... صارت عليكم يا أبوماجد كسيرة

أولاد علي مطوعة كل فسقان ... عاداتهم هد الجموع الظهيرة

ربما يصعب علينا كشف أهداف هذا الحلف، ولكن نزعم أن الأحداث قد كشفت لنا بعضًا من تلك الأهداف إلى حد ما. إذ إن لكل طرف في الحلف هدفه الخاص، فبينما كان ابن رشيد يسعى إلى تأمين القصيم وتحييده ليضمن سهولة وسلاسة إحكام قبضته على نجد برمتها مستفيدا من ضعف آل سعود في الحاضرة والبادية.

وفي الوقت نفسه كان حسن المهنا من جانبه يهدف من هذا الحلف إلى الحصول على المزيد من النفوذ في القصيم حاضرة وبادية فكان له ما أراد، ولا أدل على ذلك من أنه حقق هدفين هامين: **(الهدف الأول)** أنه استطاع أن يطلق يده في قمع خصومه آل أبوعليان من دون أن يعترض ابن رشيد عليه. ومن ذلك أن جماعة منهم كانوا قد وفدوا على ابن رشيد في حائل، فلما خرجوا منها عائدين إلى منفاهم في عنيزة، وذلك عام 1294هـ، قام رجال الأمير حسن بقطع الطريق عليهم وقتلوهم، وذلك خشية من أنهم دبروا مكيدة ضد بريدة مع ابن رشيد. ونلاحظ أن المصادر لا تتحدث عن أي رد فعل من ابن رشيد تجاه ما أقدم عليه حسن المهنا، ما يعني أن حسن كان يتصرف بحرية مستفيدًا من ذلك الحلف من دون أن يغضب منه ابن رشيد، معززًا بذلك سلطته على القصيم لسنوات طويلة بعد تلك الحادثة. **أما (الهدف الثاني)** فقد كان حسن يجتهد في معارضة

(1) محمد أبا الخيل، في تاريخ أبا الخيل (مصدر سابق)، ص47.

(2) المصدر السابق.

رغبة ابن رشيد في إدخال زامل السليم أمير عنيزة في الحلف بينهما.[1] مما يدل على أن حسن كان يرى في هذا الحلف تعزيزًا لسلطته على القصيم (ما عدا عنيزة)، وأن دخول زامل في هذا الحلف سيزاحمه في الحظوة عند ابن رشيد وسيقاسمه في ما يغنمه من ذلك الحلف. إلا أننا لا نغفل أمرًا هامًا وراء معارضة حسن لإبعاد زاملًا، وهي أن زامل في نظر حسن كان خصمًا غير مأمون الجانب، خاصة وهو يأوي منافسيه آل أبوعليان في عنيزة.

وبالاستقراء لحيثيات عقد الحلف بين بريدة وحائل عرفنا أن ابن رشيد لم يكن هدفه من الحلف هو الاستحواذ على القصيم، وحسب، فإن هذه قراءة غير دقيقة للأحداث ونتائجها. ولذا نقول إن بداية الحلف في نظر ابن رشيد لم يكن لطمع ابن رشيد بموارد القصيم المالية، بقدر حرصه على تحييد القصيم للوصول إلى ما وراءه في إقليم العارض وحاضرته (الرياض). كما أن نظرة ابن رشيد إلى أهدافه كانت أبعد استشرافًا للمستقبل من حليفه أمير بريدة، وهذا ما جعل حسن المهنا بعد أن اصطدم بواقع لم يكن يحسب حسابه يعيد ترتيب أوراقه بابتعاده عن حليفه القوي(ابن رشيد) في حائل، والتوجه إلى عنيزة ليحالف خصمه (السابق) زامل السليم. ولكن خطوة الأمير حسن ربما جاءت متأخرة قد فات وقتها لإصلاح ما أفسده حلفه مع ابن رشيد(كما سنرى). وقبل أن نذهب إلى أسباب انفراط الحلف بين ابن مهنا وابن رشيد، فلنقف مع جردة حساب للخدمات التي قدمها كل منهما للآخر خلال سنوات الحلف التي امتدت لما ينيف على عقد من الزمان.

خدمات ابن رشيد لابن مهنا: هذه الخدمات يلخصها ابن رشيد في رسالة[2] بعثها قبل كون المليدا إلى رئيس بلدية بغداد الثالثة، بتاريخ 9 ربيع الثاني1308هـ، ومما جاء فيها: (أن الأمير حسن أنكر المعروف وممشانا معه أطيب من ممشاه معنا)، ثم أخذ يعدد جوانب ذلك المعروف ومنها:

1- فككناه سابقًا من ابن سعود.

2- وضعنا القصيم بيده.

3- خلصّناه من أهل البادية والحاضرة.

---

(1) محمد السلمان، مصدر سابق، ص237.

(2) حمد العنقري، مصدر سابق، ص92.

ويضيف الشيخ عبد الله البسام بعض الخدمات التي أسداها ابن رشيد إلى أمير بريدة:[1]

1- رد ابن رشيد غارتين عن حسن المهنا قام بهما عبدالله الفيصل.

2- أمده بالسلاح والمال.

3- ساعده في بناء قصر بريدة.

4- أشركه في غزواته وأعطاه من غنائمها[2].

5- قدم العديد من الهدايا في زواج أبناء حسن المهنا.

وفي هذا الصدد قال الشاعر محمد بن هويدي معددًا أفضال ابن رشيد على الأمير حسن:

لولا محمد يا حسن صرت شوده   ما قبلك أحد فك حدبا الجريدي
توك لقيت اللي تفكك هنوده   ما جاك جاء الشيخ سيدك وسيدي

خدمات حسن المهنا لابن رشيد:

يُجملُ المؤرخ مقبل الذكير خدمات أمير بريدة لحليفه ابن رشيد بقوله: (كان لحسن الفضل الأكبر في تأييد ابن رشيد ومساعدته في القضاء على بقية نفوذ آل سعود)[3]. ومنها المساندة العسكرية التي قدمها الأمير حسن إلى ابن رشيد في معركة عروى التي أنقذ فيها الشرف العسكري لابن رشيد عندما قلب الموازين في المعركة لصالحه ضد خصومه كما أسلفنا. كما اشترك حسن المهنا مع ابن رشيد في غزو العجمان في (مجمع البطنان) وغنموا غنمًا وإبلًا[4]. كما اشترك الأمير حسن بقواته إلى جانب الأمير محمد بن رشيد في غزوته على الرياض عام 1305هـ[5].

(1) عبدالله البسام، الخزانة (5/ 115).

(2) كما ذكر نولده أن ابن رشيد أعطى حسن عندما كان حليفه (600 جنيه إسترليني) نقدًا. انظر: البارون نولده، رحلته، ص76.

(3) مقبل الذكير، (الخزانة7/ 277).

(4) ابن ناصر، مصدر سابق، ص34. وانظر محمد السلامة، مصدر سابق، ص 171. ومجمع البطنان يقع في قاع صحراء الدهناء، انظر **تاريخ إبراهيم القاضي** (الخزانة ج 8 ص83).

(5) ورقات غير منشورة من تاريخ إبراهيم بن عيسى، مصدر سابق، ص305.

وفي رأيي أن أهم خدمة قدمها حسن المهنا لابن رشيد هو أنه ضمن له حياد القصيم في صراع حائل مع خصومها، بل وضع القصيم بين يديه، وبالتالي لم يعد القصيم عقبة في تحقيق طموحات ابن رشيد السياسية والعسكرية في نجد.

خامسًا: موقف عنيزة السياسي قبل كون المليدا

كنتيجة لضعف آل سعود واختلافهم، وتكالب الطامعين في بلادهم ومناطق نفوذهم، سعت مدينة عنيزة إلى الاستقلال بنفسها لحماية بيضتها، اعتمادًا على مقوماتها وإمكاناتها الداخلية، وقد كان لهذا الاستقلال مظاهر عديدة، عسكرية وسياسية. ومن تلك المظاهر أن عنيزة قد أصبحت مركزًا للتحالف ضد جاراتها بريدة على خلفية الصراع بين أميرها حسن المهنا وأسرة آل أبوعليان حكام بريدة السابقين. إذ تحالف أمير عنيزة في هذا الصدد مع الإمام عبدالله الفيصل وزعماء عتيبة، وذلك عام 1293هـ. ومن مظاهر استقلال عنيزة آنذاك قدرتها على تأديب سكان البادية عسكريًا إذا ما اعتدوا على نفوذها وحماها، وجبايتها لزكاة البوادي في محيطها الجغرافي.

كما يلاحظ أن عنيزة في هذه الفترة - تبعًا لتمتعها بالاستقلال - أصبحت واحة آمنة وملجأً سياسيًا فإليها حاول الإمام عبدالله الفيصل اللجوء عندما اشتد الخلاف بينه وبين أخيه سعود، وبعد انتصار الأخير في معركة جودة عام1287هـ، كما لجأ إليها آل أبوعليان خصوم أمير بريدة مهنا الصالح، وإليها لجأ الشيخ (محمد بن عبدالله آل سليم) عندما ترك مدينته بريدة مغاضبًا لأميرها حسن المهنا، ومكث فيها بين عاميّ (1296 - 1301هـ).

ولكن أبرز ما طبع هذه الفترة التي استقلت عنيزة فيها سياسيًا، هو تلك العلاقة المتوترة مع جارتها بريدة، على خلفية الصراع بين أسرتي المهنا وآل أبوعليان على حكم بريدة، وما جره ذلك من تبعات لاحقة وفّرت مبررًا موضوعيًا جعل أمير بريدة حسن المهنا يعادي أمير عنيزة زامل السليم، ويضعه في خانة خصومه بسبب مساعي زامل الحثيثة لإرجاع آل أبوعليان إلى أمارة بريدة. وكان مما جره ذلك الصراع السياسي في القصيم تدخل ابن رشيد لمصلحة حسن بن مهنا، ما فتح الباب واسعًا لتطور العلاقة بينهما إلى تحالف سياسي وعسكري مطلق لسنوات مقبلة. ولكن عندما أراد ابن رشيد توسيع هذا التحالف وإدخال عنيزة فيه كطرف مستقل وقف حسن المهنا ضد هذه الرغبة، لأنه إضافة إلى عدائه لأمير عنيزة كان لا يريد لذلك الأمير أن يشاركه في ما يحصل عليه من فوائد من حلفه مع

ابن رشيد سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية. كما كانت عين حسن المهنا على خصومه آل أبوعليان الذين اتخذوا من عنيزة ملجأً لهم، فخشي أن يكون دخول زامل كطرف في حلفه مع ابن رشيد مشجعًا لآل أبوعليان على المطالبة بحقوقهم في إمارة بريدة. ومع ذلك كله كان الأمير زامل، وهو خارج ذلك الحلف، تضره مغارمه ولا تصله مغانمه. إلا أن ابن رشيد سعى أمام رفض حسن إلى دخول زامل في حلفهما للتعامل مع زامل كأمير مستقل، وأخذ يخاطبه على هذا الأساس.

وفي بداية التنافر السياسي الذي حصل تاليًا بين ابن رشيد وحسن المهنا أخذ ابن رشيد يعزز سياسة التقارب مع عنيزة، كلما أحس أن حليفه حسن المهنا يبتعد عنه. وكان ابن رشيد يطبق سياسة التقارب تلك لكي يقطع الطريق على نوايا حسن المهنا لعقد أي تحالف محتمل ضده مع عنيزة، وتجلى ذلك في عام1305هـ عندما عسكر ابن رشيد بجيشه في المستوى (شرق القصيم)، عندها أرسل ابن رشيد رسالة إلى زامل أمير عنيزة يطلب منه المشاركة في غزوته تلك، وذلك حين قال له (حنا غازين قاصدين الجنوب ونبي منكم غزو لأجل يكون الدرب واحد لعقد المحبة والصداقة بيننا)[1]. وكان هذا الطلب من ابن رشيد لأمير عنيزة - الذي لم يكن حليفًا له - ذا دلالة هامة، ربما تكمن في جس نبض رد فعل زامل لقياس مدى استجابته لطلب ابن رشيد، وكأن ابن رشيد يريد بهذا الاستدعاء مضايقة حسن المهنا حتى لا ينفرد به كحليف وحيد، وربما أراد ابن رشيد أن يقيس ويكشف مدى قوة عنيزة العسكرية والسياسية. وهناك احتمال آخر بأن ابن رشيد - بما أن وجهته كانت غزو جهات عمان - فقد كان يريد الاستفادة من خبرة زامل السليم الذي كان قد غزا تلك الجهات - سابقًا - في جيش الإمام فيصل بن تركي قبل توليه إمارة عنيزة. وفي نهاية المطاف استجاب زامل السليم لطلب ابن رشيد، ولم يستطع المخالفة نظرًا إلى قوة ابن رشيد، ولا أظن أن زاملًا كان في ظرف يسمح له بالتخلف عن المشاركة.

وقد وصف أحد المؤرخين المحليين عنيزة بأنها كانت مستقلة، ويفهم من كلامه أن هذا الاستقلال كان يقلق ابن رشيد، فهي لم تتبع له، ولم تدخل معه في حلف، ولم تكن عدوة ظاهرة العداوة له، وبهذا المعنى كتب المؤرخ عبدالله بن محمد البسام: (بعد مقتل عيال سعود (الفيصل) تم لابن رشيد الاستيلاء على جميع نجد، إذ لم يبق له فيها

(1) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة3.

منازع سوى بلد عنيزة، فإنهم قد أعطوه الطاعة، ولكن لم يتمكن فيها كل التمكين، بل هي مستقلة، وجميع منافعها لأهلها ليس له إلا رسم الطاعة)[1]. وقد كان لبقاء تلك الحالة السائلة لعلاقة عنيزة بحائل عاملان، أولهما: أن عنيزة قد حافظت على استقلالها وتجنبت الدخول في سياسة التحالفات. والعامل الثاني: أنه كان في عنيزة جناح شعبي مؤثر له مصالح حية مع ابن رشيد، وكان قد أسس معه علاقات تجارية قديمة ونشيطة. وبالتالي فهو موالٍ له.

وعندما نجح حسن المهنا في كسب زامل السليم إلى صفه كحليف جديد بعد مفارقته لحليفه القديم ابن رشيد، بدأ ابن رشيد في جهد دبلوماسي مكثف لثني زامل السليم عن مسايرة حسن المهنا في خططه، ولذا بعث له رسائل ودية بصورة مباشرة، وتطمينات أخرى عن طريق الوجيه عبدالله عبدالرحمن البسام، إذ جعل آل بسام كفلاء بأن لا يمس زامل أو عنيزة أي مكروه، بشرط أن يفك ارتباطه بحسن المهنا[2].

وقد بسط المؤرخ مقبل الذكير[3] الحديث حول محاولات ابن رشيد مع زامل السليم لإبعاده عن محالفه حسن المهنا، ونقل أن ابن رشيد في هذا السبيل كاتب الإمام عبدالرحمن يوضح له تعديات حسن المهنا، وكتب في نفس الوقت والمعنى إلى زامل السليم، موضحًا أسباب نقمته على حسن المهنا، وطلب من زامل تجنبه وعدم التدخل في ما بينهما، وأن لزامل في المقابل أن لا يتعرض (ابن رشيد) لعنيزة وأطرافها. كما أردف ابن رشيد رسائل أخرى إلى عبدالله العبدالرحمن البسام يتعهد فيها بعدم المساس بعنيزة وأميرها إذا تجنبوا الدخول في الخلاف بينه وبين ابن مهنا. وقد حاول عبدالله البسام ثني زامل عن المضي في التحالف مع حسن المهنا، مصورًا له أن الخلاف هو بالأساس بين بريدة وحائل، أما عنيزة فلا ناقة لها ولا جمل في هذه الحرب، وأوضح البسام أن عنيزة لن تجني إلّا الغرم من هذه الحرب، ولغيرها الغنم.

أما المؤرخ العبيد فيقول: (وكان محمد بن رشيد حريصًا على أن يفصل زامل عن حسن (المهنا) فما يفتر عن طلبه لوداده وصحبته، وينفض يده عن صحبة حسن (المهنا)، وقد ضمن له إمارة بلاده (عنيزة)، وما وضع يده عليه من سائر القصيم أن يدخل تحت إمارته،

(1) عبدالله البسام، التحفة، مصدر سابق، ورقة 161.

(2) عبدالله البسام، الخزانة (5/ 117)، وانظر هامش تحقيق أحمد البسام لتاريخ ابن عيسى (5/ 1195).

(3) مقبل الذكير، مصدر سابق، (7 280).

ووسّط له الوسائط وأعطاه العهود والمواثيق على ذلك)[1]. في هذا النص ينفرد المؤرخ العبيّد عن غيره من المؤرخين بالقول إن ابن رشيد تعهد بالاعتراف لزامل بكل ما يحويه من بلدان القصيم، مع ما له من سيادة على عنيزة؛ فإن صدقت هذه الرواية فإن العرض مغرٍ بحق، ولكن زامل السليم مع ذلك لم يفك ارتباطه بحسن المهنا، واستمر حليفًا له حتى آخر لحظة من حياته. **وهنا أود أن ألخص ما أراه من الأسباب التي جعلت الأمير زامل السليم يتمسك بحلفه السياسي والعسكري مع الأمير حسن المهنا.**

1- كان لزامل السليم حسابات لا تتطابق بالضرورة مع حسابات حسن المهنا، وبالتالي فله أهدافه الخاصة لدخول هذه الحرب، ولعل أهمها رغبته الجامحة في الانتقام من آل رشيد الذين قتلوا جده وأباه وأعمامه في مواجهات دموية سابقة، وقد صرح زامل بهذه الرغبة لصالح الحمد البسام، عندما كان يحاول إقناعه بترك حلفه مع حسن وتجنب الحرب، فقال له زامل: (شفايانا عند الرشيد نريد أن نأخذ ثأرنا منهم)[2]. وقد تناول الشعراء في شعرهم هذه المسألة التي كانت تؤرق الأمير زامل. قال أحدهم معاتبًا زاملًا على تقصيره في أخذ الثأر:

أبـوك وعـمـك غـدوا بالطعاميس   يا حيف راحـوا ولا جـاء لـهـم ثـار

كما جاء في المعنى نفسه قول أحد شعراء الرشيد عن زامل السليم:

أطـاع حـكـي.... رجـوان بـالـثـار   و.... قـبـل مـا يـتـم جـوابـه

وقال أيضا:

و.... دلاهـم بـئـس الـمـدالـي   وزويـمـل يبي القضا عقب ما شاب

2- لم يغب عن ذهن الأمير زامل السليم أن الأمير ابن رشيد إذا انفرد بحسن المهنا وتخلص منه، سيعدو عليه، ويستولي على عنيزة سلمًا أو حربًا، وهذه الحجة كان زامل يسوقها لمن يعترض على محالفته لحسن المهنا وخروجه إلى الحرب.

(1) محمد العبيّد، النجم اللامع، مصدر سابق، المخطوط، ورقة 36 .

(2) عبدالله البسام، الخزانة 5/ 118.

3- يعتبر الأمير زامل أن حلفه مع حسن سيحفظ له استقلال عنيزة تحت زعامته كندٍّ لحسن المهنا الذي بيده سائر القصيم، ولن يطمع ببلده عنيزة، أما حلفه مع ابن رشيد فإنه سيحوله إلى مجرد تابع صغير لمحتل كبير.

4- شعور أمير عنيزة (زامل السليم) ومن شايعه من أهل عنيزة، أن القصيم يواجه مصيرًا واحدًا في وجه أطماع ابن رشيد، وأن هذا يقتضي وحدة الصف، وأن ابن رشيد لن يترك القصيم من دون أن يستولي عليه كله سلمًا أو حربًا. ومن هنا رأى زامل أن المصير المشترك يقتضي الدفاع المشترك.

سادسًا: تحالف قوى القصيم ضد ابن رشيد

انفراط الحلف بين حائل وبريدة: خاض كثير من الباحثين والمؤرخين في أسباب الخلاف بين الأميرين حسن المهنا ومحمد العبدالله الرشيد، ولكنهم غفلوا روح هذا الخلاف والجو العام الذي وفر بيئة خصبة تفاعل فيها العديد من الأسباب الموضوعية، حيث كانت الحالة النفسية التي حكمت علاقة حسن المهنا بابن رشيد جعلتهما أشد تنافرًا بعد أن كانا أوثق حلفًا، لأن العلاقة بينهما بنيت على دخَن وريبة، ولذا عندما انكشفت النوايا أظهر كلٌّ منهما مشاعره الحقيقية تجاه الآخر. ويصور لنا المؤرخ إبراهيم القاضي المعاصر لهذه الأحداث جانبًا من هذه الحالة النفسية التي اعتملت لدى الجانبين، فبعد أن عسكر ابن رشيد في المستوى (شرق القصيم)، وبعد أن وفد عليه حسن المهنا وزامل السليم هناك، يقول القاضي: (ثم وقع بين ابن رشيد وبين حسن (المهنا) الشك وصار يزيد معهم وكل خاف من الثاني. ابن رشيد نغر[1] من حسن لأنه حط خيل وجيش، وفداوية وزاغة وآلة حرب)[2].

ومما يعبر عن هاجس الريبة بين الحليفين، ما ذكره الرحالة الفرنسي (شارل هوبير) الذي التقى ابن رشيد في حائل عام (1298هـ/ 1880م) حيث قال بعد أن أبدى رغبته لابن رشيد في زيارة القصيم إن ابن رشيد قال له: لا يمكن تحقيق ذلك فتلك بلاد سيئة من كل الأوجه. ثم قال (هوبير) رغم أن ابن رشيد حاول أن يثنيني عن الذهاب إلى القصيم إلا أنه أمام إصراري زودني بتوصيات. والجدير بالذكر هنا

(1) نغر كلمة عامية، معناها: غار منه وحسده.

(2) إبراهيم القاضي، تاريخه، ورقة 3.

أن هوبير وصف ابن رشيد بأنه سيد ابن مهنا. ويلاحظ أن نظرة ابن رشيد السلبية تلك جاءت في الفترة الذي كان فيه حلفه مع حسن ابن مهنا قائمًا على سوقه. ومما يؤكد تلك النظرة السلبية رسالة بعثها الأمير ابن رشيد إلى والي مكة المكرمة يؤلبه فيها على أهل القصيم، ويتهمهم أنهم يكفرونه ويكفرون الدولة العثمانية وولاتها، وأنهم لا يسلمون على من يأتي من طرف الدولة العثمانية، ويقولون إنه مشرك[1].

وقد حدد المؤرخان عبدالله البسام وابن عيسى[2] عام 1306هـ كبداية لوقوع الخلاف بين الأميرين ابن رشيد وحسن المهنا، حيث قال المؤرخ عبدالله البسام: (وفي هذه السنة وقعت المنافرة بين الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد وبين حسن آل مهنا أبا الخيل أمير بلد بريدة)[3]. **ثم أخذ ذلك المؤرخ في مناقشة أسباب الخلاف بين الأميرين المذكورين بحسب وجهة نظره، وهي كالآتي:**

1- أن ابن رشيد كان قد حسم معارضة أبناء سعود الفيصل له بقتلهم في الخرج.

2- أن ابن رشيد تمكن من بسط نفوذه على نجد كافة.

3- بقاء ولاء مدينة عنيزة لابن رشيد معلقًا.

4- الخلاف حول أحقية جمع الزكاة في المناطق الرعوية بين حائل والقصيم[4].

أما المؤرخ مقبل الذكير[5] فيتجاوز الأسباب الظاهرية للخلاف لينفذ إلى العوامل العميقة لحيثيات أصل الصراع بين الطرفين، حيث قال:

1- يعلم ابن رشيد أن حسن المهنا يملك قوة كبيرة.

2- يرى ابن رشيد أن حسن صار حاجزًا بينه وبين امتداد مملكته الجديدة.

3- أن حسن المهنا كان يحكم القصيم الذي هو سقام تلك المملكة الجديدة لابن رشيد.

---

(1) الرسالة لا تحمل تاريخًا، ولكن فحواها يدل على أنها كتبت بين معركتي المليدا وحريملاء، ولذا أرجح أنها كتبت أواخر عام 1308هـ.

(2) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص309

(3) عبدالله البسام، التحفة... مصدر سابق، ورقة 161.

(4) جعل المؤرخ ابن عيسى هذه المشكلة السبب الرئيسي لوقوع الخلاف بين الأميرين. ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص309.

(5) مقبل الذكير، الخزانة، مصدر سابق (7/ 277).

وبعد سنة من وقوع المنافرة يقول المؤرخ ابن عيسى: (وفي هذه السنة 1307هـ استحكمت العداوة بين ابن رشيد وحسن..)[1].

أمير بريدة يبحث عن تحالفات جديدة: بعد أن شعر الأمير حسن المهنا بخطورة مستقبل حلفه مع ابن رشيد، وأن هذا الحلف مضر بمصالح بلاده بدأ في البحث عن حليف جديد، وقد كان أمامه آنذاك ثلاثة أطراف مرشحة ليتحالف معها:

1) الأمير زامل السليم في عنيزة.

2) الإمام عبدالله الفيصل في الرياض.

3) أبناء الأمير سعود الفيصل في الخرج.

لقد كان الحلف مع زامل السليم خيارًا مؤجلًا بالنسبة إلى حسن المهنا مع أنه يعتبر هو الحليف الأنسب والأقرب لحسن المهنا؛ لأن الأمير حسن كان يفضل في ما يبدو طرفًا خارج منطقة القصيم. ولم يكن هذا الطرف سوى آل سعود، ولكن المعضلة أن آل سعود منقسمون على أنفسهم، فالإمام عبدالله كان مركزه السياسي ضعيفًا، إذ كان ابن رشيد قد حمله معه إلى حائل أواخر سنة 1305هـ، بعد أن خلصه من سجن أبناء أخيه سعود الفيصل، ولذا فهو حليف غير مناسب للأمير حسن المهنا في تلك المرحلة. أما الطرف الآخر من آل سعود، وهم أبناء سعود الفيصل، في الخرج فقد كانوا أقوياء وما زالوا في خندق مقاومة نفوذ ابن رشيد على بلادهم، ولذا وجد حسن المهنا فيهم خير حليف يستبدله بحليفه الذاهب (ابن رشيد) الذي بدأ ينسلخ من عباءته. وفعلًا فقد جرت اتصالات سرية بين الطرفين، ولكنها لم تنكشف إلا بعد مقتل أولاد سعود في الخرج على يد سالم السبهان الذي أطلع سيده على تلك المكاتبات بينهم، وبذا عرف ابن رشيد أن حسن المهنا كان يحرضهم على الثورة ضده، فأضمرها في نفسه ولم يواجه حسن المهنا بها[2]. ومما جاء في بعض التواريخ النجدية، ما يلي: (ولما قتل سالم السبهان أولاد سعود الفيصل وجد عندهم كتابًا من حسن المهنا يرغّبهم فيه القيام على محمد بن رشيد، ولما علم حسن أن الأمير محمد بن رشيد قد تحققت خيانته خاف منه وتظاهر بالخلاف ضد ابن رشيد، وكان قد رمى في التقرب من زامل العبدالله أمير عنيزة وصاهره سنة 1302هـ، ليستعين بعضهم

(1) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص310.

(2) عبدالله البسام، وابن عيسى، **المجموع في التاريخ النجدي** (الخزانة 9/ 140).

ببعض على ابن رشيد، وأما كتاب حسن المهنا فقد أخفاه محمد بن رشيد ولم يعاتب حسن رغبة منه في عدم نفوره عنه)[1]

ويبدو من سياق الأحداث أن زامل السليم أمير عنيزة كان على علم بتلك الاتصالات وإن لم يكن مشاركًا فيها، إلا أن تأزم العلاقة بين بريدة وحائل، وإفساد حائل لمشروع حلف حسن المهنا مع أبناء سعود الفيصل جعل بريدة تقترب أكثر من ذي قبل نحو جارتها عنيزة. خصوصًا بعد حادثة المستوى عام1306هـ التي نفهم من سياق أحداثها أنها آخر مظهر شكلي للحلف بين حسن المهنا وابن رشيد من جهة، وأنها كانت من جهة أخرى بداية التقارب بين عنيزة وبريدة. لأننا نلاحظ أن أحداث تلك الغزوة أثبتت للرأي العام في القصيم قوة ابن رشيد، بحيث لم يستطع أميري القصيم آنذاك (حسن وزامل) أن يرفضا المشاركة في غزوته تلك. وبعد انفضاض تلك الحملة من دون إكمال مهمتها زاد الوعي السياسي لدى (زعماء القصيم) بوجوب الوحدة ضد نفوذ ابن رشيد المتصاعد في منطقة نجد.

نعم لقد كشفت غزوة المستوى لكل طرف من الحلفاء المشاركة فيها عن حجم قواته وقدرة كلٍّ منهم على الجمع والحشد، ما عزز الشك الموجود أصلًا بين أمراء القصيم وابن رشيد، الذي رأى في هذه الغزوة مدى تنامي قوة أهل القصيم بزعامة حسن المهنا، ولنستمع لمؤرخ معاصر لتلك الأحداث حيث يقول: (ثم وقع بينه (أي ابن رشيد) وبين حسن الشك وصار يزيد معهم وكل خايف من الثاني...ابن رشيد نغر[2] من حسن لأنه حط خيل وجيش وفداوية وزاغة وآلة حرب)[3]. كما كشفت هذه الغزوة لأهل القصيم ـ في المقابل ـ عن مدى قوة ابن رشيد الذي لم يستطع أمير مستقل (كزامل السليم) ـ وهو خارج الحلف ـ أن يمتنع عن المشاركة في غزوته تلك.

بداية الحلف بين الأميرين حسن وزامل:

قبل عقد حلف الصداقة بين قطبي سياسة القصيم (حسن وزامل)، كان قد حدث تقارب طفيف بينهما لم يلبث أن نما وتطور مع مرور الوقت وتوالي الأحداث.

---

(1) المصدر السابق (9 - 140).

(2) نغر كلمة عامية، أي: غار منه وحسده.

(3) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

وكانت بداية ذلك التقارب قد حدثت في عام1301هـ، حيث ذكره المؤرخ عبدالله ابن عبدالله البسام الذي أفرده في تاريخه تحت هذا العنوان: (صداقة حسن آل مهنا مع زامل بن سليم) ثم قال: إنه في آخر سنة 1301هـ صارت مبادئ الاتفاق بين زامل وحسن[1]. وكان هذا التقارب قد مهد للمصاهرة بين الرجلين[2].

وقد ذكر الوجيه مقبل بن عبدالرحمن الذكير في تقرير له عام 1303هـ أن الوحدة جرت بين عنيزة وبريدة، حيث قال: (توحدوا راعي بريدة وراعي عنيزة وتصافت خواطرهم وصار حالهم واحد)[3]. كما حدث في نفس العام أن ساهم زامل السليم في إقناع الشيخ محمد بن سليم الذي لجأ إلى عنيزة مغاضبًا للأمير حسن المهنا، بالعودة إلى بريدة وتولي القضاء والتدريس فيها[4]. ثم حدث بعد ذلك الخلاف بين الأمير حسن ورجال ابن رشيد، حول من له أحقية جباية زكاة بوادي القصيم، والتي رجح بعض المؤرخين أن الوحشة تفاقمت بعدها بين حسن المهنا وابن رشيد، ولكن المؤرخ البسام الذي رصد لنا قبل سنوات بداية التقارب بين حسن وزامل أعاد تأكيد حدوث التقارب مرة أخرى بعد وقوع النزاع بين القصيم وحائل على زكاة البوادي، ولكنه صاغ عبارته بذكاء، بحيث يفهم منها القارئ أن هناك قيمة إضافية لهذا التقارب الجديد بعد مضي سنوات على التقارب الأول، فقال: (ثم أنها أوجبت زيادة التقرب بين حسن بن مهنا وزامل بن عبدالله السليم...وتحالفًا على من قصدهما بحرب)[5]. وبعد غزوة المستوى وإحساس كل من زامل وحسن بتزايد خطر ابن رشيد عليهما بشكل مباشر، حدث الاتفاق المبدئي الأول بينهما، والذي يصوره لنا المؤرخ إبراهيم القاضي بقوله: (حسن خاف على نفسه وكاتب زامل وحسن له الأمر وإذا زامل، هم (أيضًا) خايف ووافق حسن، وعقدوا علم إن الدرب واحد)[6].

---

(1) عبدالله البسام، **التحفة** ، ورقة 159، **والمجموع في التاريخ النجدي**، مصدر سابق، (الخزانة 9/ 140).

(2) **المجموع في التاريخ النجدي**، مصدر سابق، الخزانة (9/ 140). وقد ذكر مقبل الذكير في إحدى نسخ تاريخه المخطوط: (أن حسن تقرب من زامل وصاهره، ولكن زامل لم يبعده ولم يقربه) ويجعل ذلك سنة 1306هـ بعد ذكره لغزوة المستوى. انظر سعود التركي، مصدر سابق، ص 250، هامش 4 - 5. وانظر، العبيد **النجم اللامع**، مصدر سابق، ورقة 36.

(3) رسالة من مقبل العبدالرحمن الذكير إلى المعتمد البريطاني في الخليج.

(4) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق، ص251.

(5) البسام ، التحفة ، مصدر سابق، ورقة 161.

(6) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

اجتماع حسن وزامل بالجربوب[1] في الغميس:

كان استحكام الخلاف بين بريدة وحائل[2] مما استدعى التنسيق بين أميري عنيزة وبريدة لتوثيق حلفهما وتفعيله بدرجة أسمى ضد خصمهم المشترك، فتواعدا في (نفود الغميس)[3] في منتصف المسافة بين بريدة وعنيزة، وضربا معسكرًا اجتمعا فيه لمدة ثلاثة أيام[4]. ويبدو أن الاجتماع حصل في أواخر عام 1307هـ، بدليل أن المؤرخ ابن عيسى عندما ذكره ذكر بعده مباشرة حادثة بطش الإمام عبدالرحمن بسالم السبهان ورجاله في الرياض في شهر ذي الحجة من العام نفسه، وكان حسن المهنا قد بادر قبل هذا الاجتماع إلى مراسلة الأمير زامل في طلب المصالحة بينهما، ثم تواعدا للاجتماع في الغميس، ويقول ابن عيسى عن اجتماعهما: (فركب زامل ومعه عدة رجال من خدمه، وركب حسن بمثل ذلك، واجتمعوا في الموضع المذكور وتعاهدوا على التعاون والتناصر وأن لا يخذل بعضهم بعضًا وأقاموا هناك ثلاثة أيام)[5].

وما يهمنا بالدرجة الأولى هو نتيجة هذا المؤتمر الذي أسفر عن حلف وثيق بين بريدة وعنيزة في وجه أطماع ابن رشيد. ولكن المصادر لا تمدنا بتفاصيل ما جرى في ذلك الاجتماع المطول، ولا بما اتفق عليه زعيما القصيم من بنود أو ترتيب لخطط مستقبلية في مواجهة السياسة التوسعية لابن رشيد. إلا ما ورد من وصف عام للاتفاق على التناصر ضد خصم واحد.

لقد أدرك ابن رشيد التبدلات الجديدة في خريطة التحالفات في المنطقة، وأصبح بالتالي لا يتعامل مع حسن المهنا على أنه حليف موثوق به، بل أصبح ينظر إلى تحركاته

---

(1) قال الذكير (اجتمعوا في نخل ابن سليمان الجربوب في وادي عنيزة)، انظر سعود التركي، مصدر سابق، ص 253. **وبعد سؤال كبار السن تم تحديد ذلك الموضع، وهو في المنطقة التي تقع مباشرة إلى جهة اليسار بعد اجتياز جسر وادي الرمة الذي يقع على الطريق الواصل بين عنيزة وبريدة، إذًا فمكان الاجتماع في النفود يقع يسار المتجه من عنيزة وبريدة على ذلك الطريق.**

(2) البسام، **التحفة**، مصدر سابق، ورقة 161. أما المؤرخ مقبل الذكير فقد جعل الاجتماع في أول عام 1308هـ، وذكر أن هدف الاجتماع هو صد ابن رشيد عن التقدم إلى الرياض، الخزانة (7/ 270).

(3) ذكرت المصادر أن اجتماعهما في الغميس، والغميس يطلق على عدة مواضع ، إلا أن المؤرخ الذكير ذكر أن اجتماعهما كان في وادي عنيزة (الخزانة 7/ 270)، ويجعل زمنه بعد ثورة الإمام عبدالرحمن ، ويجعل هدفه ضد ابن رشيد على غزو الرياض.

(4) ذكر المؤرخ مقبل الذكير أن الاجتماع استغرق يومين فقط. الذكير المصدر السابق.

(5) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق ص310، و**تاريخ ابن عيسى** (تحقيق أحمد البسام)، مصدر سابق 4/ 1128.

بكثير من الريبة والشك، ويراقب من كثب ذلك التحالف الجديد بين أميري القصيم، وكان يقلقه اتحادهما ضده، وخير دليل على ذلك أنه أخذ يخاطبهما معًا كندّين وحليفين لبعضهما البعض، حيث وجه خطابين منفصلين لحسن ولزامل، أثناء مروره بالقصيم متوجهًا إلى غزو الرياض في مطلع عام 1308هـ، وكانت فحوى الخطابين تؤكد رغبة ابن رشيد في مشاركة القصيم في غزو الرياض، ولكن المفاوضات[1] بين الطرفين أسفرت عن رفض أهل القصيم المشاركة بعد أن عاهدوا ابن رشيد أن لا يعترضوا طريقه ولا يعينوا عليه عدوًا[2].

ثم بعد أن حسم ابن رشيد ملفات كثيرة كانت تقلقه في الرياض والخرج والبادية، وأوشكت نجد أن تصفو له، التفت إلى أهل القصيم الذين ما زالوا بالنسبة إليه جيبًا مشاكسًا ومعارضًا، حيث كان يرى وجوب تصفيتهم، ولكنه حاول جهده أن لا يواجههم مجتمعين فسعى إلى بث الفرقة بينهم، ووفق سياسة (فرّق تسد) حاول ابن رشيد تفكيك حلف أمراء القصيم ضده، وركز جهوده الدبلوماسية باتجاه زامل السليم أمير عنيزة لإبعاده عن حسن المهنا بالترغيب والترهيب، وبالرسائل والوسائط لكن من دون جدوى، حتى قيل إنه عرض على زامل السليم حكم ما وقع تحت يده من بلدان القصيم[3]، في تحريض مبطن لزامل ضد حسن المهنا، وجعل أعيان أسرة البسام كفلاء ضامنين لصدق وعوده للأمير زامل[4]، ولكن زامل لم يلتفت إلى ذلك كله لأنه كانت تحركه رغبة الانتقام من آل رشيد الذين قتلوا أكابر آل سليم في وقائع حربية قديمة[5].

وقد كان الأمير ابن رشيد قد رام من اتصالاته تلك مع الأمير زامل بن عبدالله السليم ما يلي:

1- أن ابن رشيد كان يحفظ الكثير من التقدير الخاص للأمير زامل.

2- أن ابن رشيد يجامل آل بسام الذين هم أكبر أعيان عنيزة وتجارها الموالون له، وبالتالي لا يريد أن يتسبب حلف عنيزة مع بريدة بجرها إلى حرب لا تُبقي ولا تذر.

---

(1) تاريخ ابن عيسى، تحقيق أحمد البسام، مصدر سابق، (4/ 1135).

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

(3) العبيد، مصدر سابق، ورقة 36.

(4) عبدالله العبدالرحمن البسام، (الخزانة 5/ 117).

(5) فصلت هذا تحت عنوان: موقف عنيزة السياسي قبل كون المليدا.

3- رغبة ابن رشيد في الإنفراد بحسن المهنا، وبالتالي يريد أن يضعفه سياسيًا وعسكريًا بتحييد زامل السليم، لأنه لا يريد مواجهتهم جميعًا، حيث كان بعض المتابعين للشأن العام آنذاك يرون عدم قدرة ابن رشيد على ضرب قوة أهل القصيم المتحدة[1].

وفي النهاية تبخرت جهود ابن رشيد في تحييد زامل السليم عن الدخول في المواجهة القادمة[2] مع حسن المهنا، واستمر زامل في محالفته لحسن المهنا، رغم إلحاح الجناح المعارض لاستمرار الحلف في عنيزة ممثلًا بأسرة البسام وآل يحيا الصالح. وذكر المؤرخ الذكير أن (ابن مهنا ما زال يوغر صدر زامل على ابن رشيد ويصور له مطامع ابن رشيد في القصيم، وأنه يريد التفريق بيننا ليسهل عليه تقليع كل منا على حدة)[3].

سابعًا: تحالف الإمام عبدالرحمن الفيصل مع أمراء القصيم:

مع تداعي سلطة آل سعود آلت الأمور إلى عبدالرحمن (الابن الأصغر) للإمام فيصل بن تركي الذي شهد نفوذ أسرته يتلاشى أمام اتساع سلطة ابن رشيد، ولذا كان عليه في هذا الوضع الحرج البحث عن حليف قوي يمكنه الاستناد إليه، ولم يكن في المنطقة حليف مناسب للإمام عبدالرحمن الفيصل سوى أمراء القصيم، وقد توفرت عدة مبررات منطقية لعقد هذا التحالف بين الرياض والقصيم، منها:

1- أنه لا يزال لدى أهل القصيم ولاء للأسرة السعودية الحاكمة.

2- الخطر المشترك الذي يمثله ابن رشيد على نفوذ آل سعود في إقليم العارض ومنطقة القصيم.

3- أن تحالف أمراء القصيم مع الإمام عبدالرحمن الفيصل جاء مكملًا للتحالف الذي انعقد بين أمراء القصيم أنفسهم مما جعلهم جبهة سياسية وعسكرية واحدة ضد ابن رشيد، فكان دخول الإمام عبدالرحمن دفعة قوية ودعمًا نوعيًا لحلف نجدي واسع ضد ابن رشيد.

---

(1) رسالة من الوجيه مقبل بن عبدالرحمن الذكير، وقد كتب هذا الكلام قبل كون المليدا بسنوات. انظر الملاحق.

(2) تناولنا هذه الجزئية في الحديث عن موقف عنيزة من الصراعات والتحالفات في المنطقة.

(3) مقبل الذكير، **مطالع السعود**... تحقيق سعود التركي، مصدر سابق، ص 255، هامش8.

4- جاء حلف أمراء القصيم مع الإمام عبدالرحمن كمظهر لصحوة شعبية نجدية تقودها الزعامات التقليدية في كل من إقليمي العارض والقصيم هدفها وقف تنامي سلطة ابن رشيد في نجد، وكبح جماح أطماعه على حساب مصالح تلك الزعامات وشعوبها.

إذًا جاء الاتصال والتحالف بين الإمام عبدالرحمن وأمراء القصيم كاستجابة منطقية لمعطيات سياسية وعسكرية غاية في الحرج والتأزم، ولكننا لا نعلم على وجه الدقة متى تكوّن الوعي عند تلك الأطراف المتحالفة بضرورة الوقوف صفًا واحدًا أمام نفوذ ابن رشيد المتزايد. ولا نعلم على وجه التحديد متى بدأت تلك الاتصالات، ولكن يمكننا اعتبار حادثة نكبة ابن سبهان على يد الإمام عبدالرحمن في الرياض هي المؤشر الأقرب لبدء ذلك التحالف، حيث يرى بعض المؤرخين أن الثورة جاءت كنتيجة لتحالف سري بين ذلك الإمام وأمراء القصيم، ومن هؤلاء المؤرخ (إبراهيم القاضي) الذي يجعل ذلك التحالف سببًا في تشجيع الإمام عبدالرحمن للبطش بسالم بن سبهان ورجاله في الرياض، فقال: (وفي آخر السبع (1307هـ) زامل وحسن كاتبوا عبدالرحمن بن فيصل، وحسنوا له الأمر وقام على ابن سبهان وحبسه وأخذ العارض)[1]. أما ابن عيسى فقال بعبارة صريحة: (وكان سبب القبض على سالم ابن سبهان وأصحابه المنافرة التي وقعت بين ابن رشيد وابن مهنا كما تقدم، والاتفاق بين زامل السليم وحسن المهنا، وكتب ابن مهنا إلى الإمام يطلب منه القبض على ابن سبهان والاستيلاء على الرياض ويعده النصرة والقيام معه، وصارت الرسل تترا منه إلى الإمام في ذلك)[2].

وكان لهذا التحريض - بالمساندة - سوابق مبكرة جرت بعد حادثة المستوى عام1305هـ، حيث وعد زعماء القصيم الإمام عبدالرحمن النصرة، والشاهد على ذلك أن ابن رشيد اعترض رسالة بهذا المعنى من حسن المهنا إلى الإمام عبدالرحمن، ومع تلك الرسالة هدية للإمام عبارة عن (ساعة يد)[3]. كما تفيد بعض الوثائق بأن الاتصال بين الرياض والقصيم تم قبل القبض على سالم السبهان. حيث ذكرت وثيقة عثمانية أن حسن المهنا أحس بتدبير ابن رشيد له وحرض عبدالرحمن الفيصل ضد ابن رشيد

(1) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.
(2) تاريخ ابن عيسى، تحقيق أحمد البسام، مصدر سابق، 4/ 1129.
(3) حمد العنقري، مصدر سابق، ص94 - 95.

ووعده بالمساندة، ولذا قام عبدالرحمن بالبطش بحامية ابن رشيد[1]. كما ذكر تقرير عثماني آخر أن الإمام عبدالرحمن كان على اتفاق مع مشايخ القصيم[2]. ويؤيد كل ما سبق مصدر بريطاني، حيث ذكر أن ما فعله الإمام عبدالرحمن بابن سبهان كان بإيعاز من أمراء القصيم الذين حذروه من خطة ابن رشيد للقضاء على نسل الإمام فيصل[3].

ولذا لا أستبعد أنه قد يكون حصل لقاء وتفاهم بين حسن المهنا والإمام عبدالرحمن عندما مر الإمام بالقصيم عائدًا من حائل إلى الرياض مطلع عام1307هـ برفقة أخيه الإمام عبدالله، وهذا الاحتمال يأتي منسجمًا مع رواية القاضي- الآنفة الذكر-التي نصت على حدوث المراسلة بين الطرفين في آخرعام1307هـ، وذلك بعد وفاة الإمام عبدالله وانفراد الإمام عبدالرحمن بسلطة الرياض.

وهناك فريق آخر من المؤرخين يرى أن تحالف الرياض مع القصيم جاء كنتيجة لبطش الإمام عبدالرحمن بابن سبهان ، فكانت الحادثة مما شجع على تعزيز ذلك التحالف. وهذا يعني أن التحالف حدث بعد نكبة ابن سبهان على يد الإمام عبدالرحمن وليس قبله. وهذا ما ذهب إليه (المؤرخ الذكير) حيث ذكر بعد ذكره لحادثة ابن سبهان أنه دارت مراجعات بين الإمام عبدالرحمن وأمراء القصيم، وتعهد كل منهم بمساعدة الآخر في ما لو دهمه ابن رشيد[4]. ثم جعل رفع ابن رشيد للحصار عن الرياض ومصالحة الإمام عبدالرحمن بسبب علمه بالاتفاق بينه وبين أمراء القصيم[5]. وفي نفس السياق أكد (المؤرخ ابن ناصر) إن أمراء القصيم كاتبوا الإمام عبدالرحمن الفيصل بعد الحادثة يدعونه لنصرتهم ويعاهدونه على السمع والطاعة فأجابهم إلى ذلك[6].

وفي كل الأحوال فإن المكاتبات لم تتوقف بين الإمام عبدالرحمن وحسن المهنا، قال

---

(1) وثيقة عثمانية صادرة في عام 1308هـ من دون شهر أو يوم. وانظر: ضاري الرشيد، مصدر سابق، هامش المحقق ص112.

(2) تقرير كتبه إسماعيل باشا والي الحجاز إلى المابين العثماني، بتاريخ 16 رجب 1308هـ، ووثيقة أخرى جاءت مؤكدة لذلك الاتفاق، بتاريخ 3 رمضان 1308هـ.

(3) لوريمر، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، (3/ 1692).

(4) الذكير، الخزانة (7/ 280).

(5) المصدر السابق.

(6) عبدالرحمن بن ناصر، مصدر سابق ، ورقة 38. وانظر الريحاني، مصدر سابق ص 104.

ابن عيسى: (وصارت الرسل تترا منه (أي حسن) إلى الإمام في ذلك)[1]. كما جاء ذلك على لسان ابن رشيد نفسه، حين قال للوجيه عبدالله بن عبدالرحمن البسام عندما جاء يتشفع في حسن المهنا بعد كون المليدا: (إني لا آمن حسن، فقد وجدت بينه وبين عبدالرحمن مكاتيب فيها مواعيد عليّ)[2]. وقد حاول ابن رشيد عبر الجهد الدبلوماسي المكثف ضرب أي تحالف سياسي بين أمراء القصيم أنفسهم، أو بينهم وبين الرياض، حيث اعتمد مبدأ سياسة(فرق تسد)، عن طريق الوشاية مرة، وعن طريق الترغيب والترهيب مرة أخرى. في سعيه إلى تفكيك ذلك الحلف بين أمراء نجد ضده، وقد حاول تحييد أهل القصيم للتفرد بالإمام عبدالرحمن. ولذا عندما فشل في اقتحام الرياض مطلع عام 1308هـ صالح أهلها ثم التفت إلى أهل القصيم ليصفي حساباته معهم، بتحييد الإمام عبدالرحمن ليبعده قدر الإمكان عن نجدة أهل القصيم، وفي هذا الصدد ذكر المؤرخ الذكير[3]: أن ابن رشيد كتب (قبيل كون المليدا) إلى الإمام عبدالرحمن كتابًا يوضح فيه سبب عداوته لحسن المهنا، وأنه تعدى على مملكته، وأنه كان يدفعه بالتي هي أحسن، ولكن حسن (بحسب زعم ابن رشيد) تمادى في غروره. كما حاول ابن رشيد تحييد عنيزة فكتب لزامل السليم أمير عنيزة بنفس معنى رسالته السابقة للإمام عبدالرحمن وطالبه صراحة بالابتعاد عن حسن المهنا وعدم مناصرته، وأعطاه المواعيد والمواثيق والضمانات عبر الوجهاء أن لا يمسه ولا مدينته (عنيزة) بمكروه.

وعلى الرغم من ذلك الجهد الدبلوماسي الذي بذله ابن رشيد في تخذيل ذلك التحالف ضده داخل القصيم وخارجه، إلا أنه لم يحصل على طائل، واستمر ذلك الحلف في تنسيق سياساته وتنفيذ خططه بحسب البرنامج المتفق عليه بين زعمائه.

---

(1) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، مصدر سابق، 4/ 1129.

(2) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص112، وذكر ضاري أن عبدالرحمن علم باطلاع ابن رشيد على مكاتيبه تلك ص113.

(3) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 281).

الفصل الثاني

عوامل وأسباب كون المليدا

الدهر كالدهر والأيام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

أبو العلاء المعري

عندما نريد أن نناقش العوامل الكامنة وراء حدوث هذه المعركة لا بد من وقفات منهجية لمعرفة تلك العوامل ودراستها وربطها ببعضهما، وفق المعطيات الزمانية والمكانية آنذاك. وذلك وفق الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة قبل حدوث المعركة. وقبل الشروع في ذكر عوامل المعركة، لا بد من التنبيه إلى أنه من الخطأ المنهجي تفسير الأحداث التاريخية بالعامل الواحد، إذ لا بد أن تكون هناك عدة عوامل ظاهرة وأخرى مستترة بين ثنايا الأحداث والمواقف نستخلصها من سياق الأحداث وجوها العام.

وبخصوص كون المليدا هناك عدة دوافع للحرب، منها العوامل غير المباشرة، وهذه العوامل تمتد عمقًا إلى سنوات قبل المعركة، وهي متنوعة سياسية وعسكرية واقتصادية ونفسية أيضًا. وهي أشبه ما تكون بروافد الوادي العريض التي تجمعت حتى سالت في مجراه فأدت إلى وقوع المعركة. وإلى جانبها هناك الأسباب المباشرة التي قدحت شرارة نار الحرب وأشعلتها.

1) التنافس التجاري:

كان هناك تنافس شديد بين حائل والقصيم في النشاط التجاري، ممثلًا بنوعيه: القوافل التجارية العابرة، وتجارة العقيلات التي نشط فيها أهل القصيم جدًا. بالإضافة إلى نشاط ثالث ذي صبغة دينية ولكن كان له دخل مادي كبير، وهو قيادة وحماية قوافل الحج القادمة من العراق وفارس.

فبعد بروز آل رشيد كقوة سياسية تابعة لآل سعود ثم مستقلة عنهم، بنوا لهم قوة اقتصادية وعسكرية موازية، مكنتهم من قيادة القوافل التجارية وتوفير الأمن للحجاج، إذ استطاعوا تحويل أغلب طرق الحج والقوافل التجارية لتمر بحاضرتهم حائل، وجنوا من ذلك دخلًا ماليًا وفيرًا. يقول المؤرخ موسيل في هذا الصدد: (إن محمد بن رشيد استغل بمنتهى البراعة مركزه لإقناع قادة القوافل بالمرور في حائل، فأصبحت قوافل الحج من البصرة لا تمر بالإحساء والرياض بل بحائل، بل حتى القوافل القادمة من القصيم عليها أن تمر بحائل... ويتعين على الحجاج البالغ عددهم (10000حاج) دفع (30مجيديًا) عن كل حاج في الذهاب إلى مكة، و(15مجيديًا) في العودة منها، إضافة إلى جمارك يدفعونها على ما معهم من سلع تجارية)[1]. وقد أضر هذا بلا ريب بمكانة ودور القصيم التجاري في شمالي نجد، كان سببًا في حصول نزاعات بين قطبي هذا النشاط في بريدة وحائل، ومن ذلك ما حدث بين أميرها (مهنا الصالح) والد حسن المهنا، وبين الأمير الرشيدي متعب بن عبدالله، حول نقل الحجاج من العراق، إذ تسابقا ليكون أحدهما متعهدًا ضامنًا لنقلهم. وقد استطاع الأمير الرشيدي الفوز بهذه الصفقة، رغم أن مهنا الصالح كان الأسبق في الشروع بها[2].

وأمام هذا المنافسة الرشيدية لأهل القصيم في زيادة القوافل التجارية والحجيج، نجد أن تجار القصيم اتبعوا أسلوبين للتعامل مع هذا الوضع الجديد، بعضهم رأى أن من المصلحة مصادقة هذه القوة الناشئة، وتمرير مصالحه من خلالها والتعاون معها كآل بسام في عنيزة، أما البعض الآخر كآل مهنا في بريدة الذين جمعوا إلى التجارة إمارة بلدهم، فقد رأوا في آل رشيد منافسًا شرسًا فعارضوه في البداية، ثم اضطروا إلى مهادنته ومصادقته، ثم اكتشفوا أن صداقتهم له أضرت بهم أكثر مما نفعتهم، فقلبوا له ظهر المجن وخرجوا من عباءته.

2) حادثة المستوى:

في عام 1305هـ عزم ابن رشيد على مساندة الشيخ قاسم آل ثاني شيخ قطر ضد شيخ أبو ظبي، وذلك بإيعاز من السلطات العثمانية على أمل أن تمنحه ولاية الإحساء. وقد جهز

(1) لويس موسيل، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، الوراق ص27.

(2) العنقري، مصدر سابق، ص 93.

ابن رشيد جيشًا لهذا الغرض وسار به حتى نزل في روضة النبقي في منطقة المستوى شرق القصيم، وهناك قدمت عليه قوة من بريدة بقيادة حسن المهنا، وقوة من عنيزة بقيادة زامل السليم[1].

وعن انضمام أميري القصيم إلى جيش ابن رشيد، نجد أن مشاركة حسن المهنا في تلك الغزوة كانت متوقعة لأنه ما زال حليفًا لابن رشيد. أما عن مشاركة عنيزة في تلك الغزوة فكانت تحولًا في سياسة أميرها القائمة على النأي بالنفس عن ذلك الحلف. فقد روى المؤرخ إبراهيم القاضي أن ابن رشيد أرسل إلى زامل السليم خطابًا قال فيه (نبي منكم غزو لأجل يكون الدرب واحد لعقد المحبة والصداقة)، وعن موقف زامل من المشاركة يتابع المؤرخ القاضي قوله: (زامل شاف إن موافقته أحسن بسبب أن أمره (أي ابن رشيد) عظم في نجد ولا له قبيل)[2]. وهذه هي المرة الأولى التي ينضم زامل السليم بغزو عنيزة في أعمال عسكرية لابن رشيد وحليفه حسن المهنا[3].

وقد استمر ابن رشيد في معسكره بالمستوى قرابة الشهر، وبعدها رجع إلى بلاده، ولم يمض إلى هدفه الأصلي لدعم الشيخ قاسم آل ثاني، فلماذا فشلت هذه الغزو؟

1- إن الغزوة كانت مكلفة وبعيدة الشقة، وكان ابن رشيد يعلم أن خطوط الإمداد والمساندة ستطول عليه، ما يصعب معه الدعم اللوجستي.

2- شراسة القبائل القاطنة في طريق الحملة الطويل والشاق، والتي يصعب الوثوق ولائها.

3- عدم وثوق ابن رشيد بجدية الشيخ قاسم وقبائله لتحمّل تكاليف الحرب في الرجال والمال.

4- مماطلة الدولة العثمانية لابن رشيد في منحه مكافأة مجزية لمسيره ذاك، إذ كان يطمع منها بضم ولاية الإحساء إليه.

5- الوضع النجدي المحتبس سياسيًا وعسكريًا، إذ كان ابن رشيد منه على حذر

(1) إبراهيم القاضي، تاريخه المخطوط، ورقة 3.

(2) المصدر سابق، ورقة 3.

(3) مقبل الذكير، تاريخه (الخزانة 7/ 278). أما عبارة المؤرخ إبراهيم القاضي فتوحي بعدم مشاركة زامل بنفسه في هذه القوة، إذ قال (جهز (أي زامل) غزو من عنيزة وأركب أولاد السليم وزقرة معهم) (ورقة / 3).

وترقب، ما خفف من الحماس للمضي في هذه الغزوة. إذ رأى ابن رشيد أن البيت النجدي ما زال يحتاج إلى ترتيب لأوراقه السياسية وأوضاعه الداخلية.

6- بعد ذلك كله قرر الأمير ابن رشيد التراجع عن هذه الغزوة، بعد مداولة مع وجهاء قومه وأركان حربه، فخرج الجميع بقناعة التراجع وعدم المضي في هذا السبيل.

وهنا نتساءل هل كان للموقف السلبي لأمراء القصيم المشاركين في الغزوة دور في فشلها؟

ربط المؤرخان (القاضي والذكير) بداية الوحشة بين ابن رشيد وأمراء القصيم في تلك الغزوة، ولكنهما لا يذكران سببًا لهذه الوحشة. ويبدو أن أمراء القصيم كانوا معارضين للمضي في ركاب هذه الغزوة التي ليس لهم طائل من ورائها، خصوصًا أن بعضهم قد اشترك فيها على مضض. يضاف إلى أن أمراء القصيم شعروا فعلًا بمدى ما وصل إليه ابن رشيد من قوة ونفوذ، بدليل عدم قدرتهم على الامتناع عن المشاركة في حملته تلك. وفي المقابل كشفت مشاركة جيش القصيم - لابن رشيد - مدى قوة حسن المهنا العسكرية ونفوذ كلمته في القصيم. وهذا ما أوغر صدر ابن رشيد ضده. ولذا يمكن اعتبار هذه الحالة من الريبة والشك قد ساهمت إلى جوانب الأسباب الأخرى في تراجع ابن رشيد عن حملته التي ستأخذه بعيدًا عن منطقة نجد التي لم يكن مطمئنًا فيها لنوايا حلفائه الذين يوشكون على الخروج من حلفه.

3) مقتل أبناء الأمير سعود الفيصل:

تكلمنا سابقًا[1] على حادثة مقتل أبناء الأمير سعود الفيصل في الخرج على يد سالم بن سبهان، وعن موقف ابن رشيد من هذه الحادثة، إذ أذن بعدها للإمام عبدالله بالرجوع من حائل إلى الرياض. بعد أن عزل سالم السبهان ليسكّن ثائرة آل سعود ضد حكمه بسبب ما فعله.

ولكن ما يهمنا هنا أن ابن رشيد بعد قتلهم لم يعد لديه من يخشاه في البيت السعودي، وهذا ما يفهم من كلام المؤرخ ابن عيسى، إذ كتب في أحداث عام 1306هـ: (.. وذلك أن ابن رشيد قد تم له الاستيلاء على نجد بعد مقتل عيال سعود)[2]. فهو هنا ربط بين قتلهم وامتداد نفوذ ابن رشيد على نجد، ويقول المؤرخ الذكير: (ولم يبق عند ابن رشيد من يعكر

(1) في موضوع الأوضاع العامة في الرياض.

(2) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص 309.

عليه صفو سياسته (أي بعد مقتل آل سعود في الخرج) غير حليفه العزيز حسن المهنا)[1]. وذلك يرجع إلى أن ابن رشيد قد وجد كتابًا من حسن المهنا عند أبناء سعود الفيصل يحرضهم على القيام ضده. ولكن ابن رشيد أخفى الكتاب ولم يواجه به ابن مهنا، وذلك رغبة في عدم تنفيره[2]، ولكن انكشفت له بهذا الكتاب صورة أوضح لنيات حسن المهنا تجاهه، والتي بدأت تتنامى بعد حادثة المستوى، والتي تعززت بتقارب حسن مع الحليف الجديد (زامل السليم).

4) ثورة الإمام عبدالرحمن في الرياض:

تحدثنا سابقًا عن ثورة الإمام عبدالرحمن في الرياض، وبطشه بسالم السبهان أواخر عام 1307هـ، عندما أحس بما يدبّر له، ولأنه كان المسؤول الأول عن قتل أبناء أخيه في الخرج. وذكرنا أيضًا أن هذه الثورة كان لأمراء القصيم يد فيها، يقول المؤرخ إبراهيم القاضي: (وفي آخر (1307هـ) زامل (السليم) وحسن (المهنا) كاتبوا عبدالرحمن ابن فيصل وحسنوا له الأمر، وقام على ابن سبهان وحبسه وأخذ العارض)[3]. وبهذا فقط يكون ابن رشيد قد اطلع على ما عده خيانة من حسن بن مهنا، وبمساعدة من زامل السليم، للبحث عن حليف ثالث لهما ضد ابن رشيد فأكد ذلك المخاوف والشك وسوء الظن الموجود أصلًا بين الطرفين.

5) مشكلة مراعي الزلفي:

في عام 1305هـ حدث احتكاك بين أمير الزلفي (راشد بن سلمان البداح)[4] وبين حسن المهنا أمير بريدة. وسبب ذلك أن ابن مهنا أرسل إبله ترعى في مراعي جيدة حول الزلفي لوجود موارد ماء وفيرة هناك[5]، فاعترض أمير الزلفي على ذلك، وكتب إلى حسن المهنا طالبًا منه كف إبله عن الرعي في تلك المواطن، لأنها لا تكاد تسد حاجة أهل الزلفى فرفض حسن، فتوعده أمير الزلفى بالتحاكم لابن رشيد، ولكن حسن كتب كتابًا لأمير

---

(1) الذكير، الخزانة، مصدر سابق (7/ 277).

(2) ابن البسام وابن عيسى، **المجموع في التاريخ النجدي** (الخزانة 9/ 140).

(3) إبراهيم القاضي، تاريخه المخطوط (ورقة 4)

(4) تولى الأمير راشد إمارة الزلفي خلفًا لعمه الذي تنازله له، وامتد حكمه بين عامي (1304-1311هـ). انظر: محمد السيف، أمراء الزلفي من آل بداح، جريدة **الجزيرة** عدد 10664، بتاريخ 24 رمضان 1422هـ.

(5) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق ص250.

الزلفى يظهر فيه أنه لا يخشى ابن رشيد، وأكد حقه في الرعي في تلك المراعي والسقيا من مائها، فكتب أمير الزلفي لابن رشيد بذلك وجعل طي كتابه كتاب حسن إليه ليطلع عليه ابن رشيد[1]. وهذه الحادثة تدل على مناكفة حسن المهنا لابن رشيد، ليثبت له ولأمراء نجد أنه حاكم مستقل وذو نفوذ، ويبدو أن حسن قد مد عين طمعه إلى الزلفي لتكون تحت نفوذه المباشر، بسبب قربها النسبي من بريدة[2].

6) مشكلة زكاة البادية:

سبق أن ذكرنا أن الأمير ابن رشيد والأمير حسن المهنا تعاقدا عام1293هـ على أن تكون حواضر القصيم وبواديه تابعة لحسن المهنا، ما عدا عنيزة وما حولها. وعلى هذا الأساس جرى التعامل - بين الطرفين - لأخذ زكاة مواشي البوادي، ولكن في عام1306هـ جرت مواجهة بين رجال ابن مهنا ورجال ابن رشيد في إحدى بوادي القصيم[3]، عندما اعترض رجال أمير بريدة على رجال ابن رشيد، بأن هذه من اختصاص أمير بريدة دون غيره. ويقول المؤرخ عبدالله البسام: (أن ابن رشيد أمر رجاله أن يقبضوا زكاة شواوي (رعاة) أهل القصيم، وذلك خلاف العادة، لأن أمير عنيزة يزكي شواويه وكذلك أمير بريدة)[4]. وعندما علم ابن رشيد بهذا الخلاف سحب رجاله، وترك لحسن كلَّ التصرف، وتذرع بأن هذه ليست أوامره، وأن هذا كان سوء تقدير وتصرف من جباته[5]. وحول هذه الحادثة يمدنا المؤرخ ابن عيسى بتفاصيل وتحليل قد لا نجدها عند غيره، فقد ربط أولًا بين مقتل أبناء سعود الفيصل وبين وقوع الشحناء بين ابن مهنا وابن رشيد ثم أردف قائلًا: (كان ابن مهنا في الماضي يقبض زكاة شواوي القصيم، فلما كان في هذه السنة أرسل ابن رشيد عمالًا لقبض شواوي القصيم فأرسل كبير الشواوي يخبره (أي الأمير حسن) بوصول عمال ابن رشيد فغضب حسن بن مهنا، وأرسل صالح العلي أبا الخيل ومعه عدد من رجال أهل بريدة، وأمرهم بمنع عمال ابن رشيد فحصل...بينهم...كلام ثم اتفقوا على أن يراجعوا ابن رشيد في ذلك فراجعوه...وجاء منه الخبر بأني ما أمرتهم بقبض زكاة الشواوي، وإنما

(1) حمد العنقري، مصدر سابق، ص92.

(2) تقع الزلفي على مسافة (80 كم) من جهة الجنوب الشرقي لبريدة.

(3) يقال إن الجهة التي وقع فيها الخلاف في جهة الكفهة، وهي الحدود الفاصلة بين إقليمي القصيم وحائل.

(4) عبدالله البسام، التحفة، المخطوط، ورقة 161.

(5) المصدر السابق.

قيل لنا إن هناك قبائل من عربان مطير فأرسلتهم إليهم وكتب لعماله ألا يتعرضوا للشواوي بشيء، وبذلك وقعت الوحشة بين ابن رشيد وابن مهنا)[1].

ورغم أن هذه الحادثة مرت بسلام، إلا أنها زادت من عمق الشك وسوء الظن بين الطرفين، وعززت الوحشة بينهما. ويورد المؤرخ إبراهيم القاضي حادثة أخرى في البادية سببت المكاشفة بالعداء، إذ يقول بعد رجوع ابن رشيد من غزو الرياض أول عام 1308هـ: (ثم حدث من طوارف ابن رشيد خمال صار عندهم نقيصة، وأركب حسن وزامل لابن رشيد ليستنقصون منه فلما طبوا عليه قال: ما عندي لكم أداء، الوجه من الوجه أبيض)[2]. أي أنه نبذ إليهم عهدهم. أما المؤرخ الذكير فيقول: (قام بعض بوادي ابن رشيد بالاعتداء على أطراف القصيم وأخذوا بعض الإبل والغنم، فكتب حسن للابن رشيد لإرجاعها فأبى ابن رشيد وصارح بالعداء)[3]. ويورد لنا المؤرخ الريحاني الحادثة مصورا لها من زاوية أخرى،حيث يقول أن ابن رشيد لما عاد من غزوته على الرياض (في أول 1308هـ) طالبه أهل القصيم بوعده السابق لهم باعطائهم (بادية مطير وخوة الحجاج) فسوّف وتردد فنهضوا لحربه[4].

ورغم أن الحادثتين بينهما فاصل زمني يقارب السنتين إلا أنهما يخصان شأن البادية. فحادثة الخلاف على زكاة الرعاة التي وقعت عام1306هـ جعلها اثنان من كبار المؤرخين المعاصرين سببًا في وقوع التنافر بين ابن رشيد وابن مهنا[5]. أما حادثة اعتداء بوادي ابن رشيد على أطراف القصيم الشمالية عام 1308هـ فقد أفاضت كأس الخلاف وأبانت المستور، حيث صارح ابن رشيد مبعوثي أهل القصيم بالعداء[6]. كما ذكرت وثيقة عثمانية تحديد مناطق جمع الزكاة كسبب للخلاف بين حائل والقصيم، إذ تقول الوثيقة إن ابن رشيد استدرج حسن المهنا وأرسل إليه رسالة يقول له فيها إن رجاله جمعوا الزكاة من دون علمه واعتذر له ثم تعقب الوثيقة قائلة: (ولكن ابن رشيد كان يستعد للتحرك ضد

(1) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص309.

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق ، ورقة 3.

(3) الذكير، الخزانة (7/ 281).

(4) الريحاني، **تاريخ نجد** ، ص 105 ، وعبارته الأخيرة (فنهضوا لحربه) وربطها بمسألة البادية والحجاج ربط ضعيف، وغير دقيق، فهناك من العوامل ما هو أخطر أثرًا في تخريب العلاقات بين حائل والقصيم والانجراف نحو الحرب.

(5) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق البسام (4/ 1136)، وعبدالله البسام، **التحفة** ورقة 16.

(6) إبراهيم القاضي، مصدر سابق ورقة 3، الذكير مصدر سابق (7/ 281).

حسن المهنا في الخفاء)[1]. وهذا يؤكد أن مسألة الزكاة هي أحد العوامل الاقتصادية التي تراكمت لتشعل الصدام المسلح بين الطرفين.

7) موقف أمراء القصيم من غزو ابن رشيد للرياض أوائل عام 1308هـ:

أشرنا سابقًا إلى مكاتبة أمراء القصيم للإمام عبدالرحمن لتشجيعه على البطش بابن سبهان واستعادة حقوقه الشرعية في إمارة العارض، رغبة منهم في الاستناد إلى هذه الشرعية لإحداث توازن ما بين القوى في نجد، وقد اطلع ابن رشيد على تلك المكاتبات السرية، وتيقن مرة بعد أخرى من رغبة أهل القصيم في إحياء ولائهم القديم لآل سعود أمام تنامي نفوذه الجديد. وقد أدرك ابن رشيد هذا الوعي عند أمراء القصيم، وخشي مما هو أبعد من ذلك، ولذا كان متخوفًا من تركهم وراء ظهره وهو يتوجه إلى الرياض، خشية أن يقع بين فكي رحى خصومه في إقليمي القصيم والعارض.

ولذا فقد اختار بذكاء أن يعرج على القصيم في طريقه لغزو الرياض، لاختبار نيات أمراء القصيم وسبر موقفهم وجس نبضهم تجاه غزوته تلك، وفي ذلك يقول المؤرخ إبراهيم القاضي (وفي أول سنة 1308هـ ظهر محمد بن رشيد قاصدًا عبدالرحمن بن فيصل وأحب أن يضرب على وسط القصيم، لأجل يشرف على سداتهم، وما عندهم من التحزب والشلحة)[2]. وكان وقد تعرض ابن رشيد لأهل القصيم بمروره في أرضهم بسبب معرفته السابقة بتحالفهم السري مع الإمام عبدالرحمن، إذ كاتبوه قبل قبضه على سالم السبهان[3].

فما هو موقف أمراء القصيم من غزو ابن رشيد للرياض، والموجه بالأساس إلى حليفهم الإمام عبدالرحمن آل سعود؟؟

أمام هذا الموقف اضطر أهل القصيم الذين صاروا في حرج كبير إلى إظهار قوتهم واستعراضها لابن رشيد، فخرج غزوهم بقيادة حسن المهنا وزامل السليم على حدود القصيم، ولكن من دون مواجهة أو مجابهة لابن رشيد، وقد استفز هذا الاستعراض العسكري ابن رشيد فأرسل إلى أهل القصيم يسألهم عن سبب خروجهم، فأرسلوا إليه

(1) وثيقة عثمانية في عام 1308 هـ، من دون شهر أو يوم.

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3. الشلحة: أي التسلح.

(3) المصدر سابق، ورقة 3.

وفدًا للتفاوض، ولكن المصادر لا تخبرنا بأسماء رجال الوفد أو صفاتهم. إلا أن التفاوض أسفر عن تعهد ابن رشيد بعدم تعرضه للقصيم وأهله، وأعطاهم الأمان على ذلك، كما تعهدوا له بالمقابل بأنهم لن يعينوا أعداءه عليه[1].

ويتناول المؤرخ البسام الحادثة من زاوية أخرى، إذ يقول ما نصه: (وفي هذه السنة (أي 1308هـ) بأول محرم خرج الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد بجنوده من بلد حائل وتوجه إلى الرياض، فلما أقبل على القصيم أظهر له حسن آل مهنا المخالفة، فوقع النهب من جنود ابن رشيد لبعض قرى القصيم، ثم إن ابن رشيد أرسل ناصر العتيق (أي كاتبه) ومعه عدة رجال بمكاتيب لحسن وزامل، فقدموا على حسن في بريده وأعطوه المكاتيب التي معهم من الأمير محمد له ولزامل. وحاصل الأمر بينهم أنهم تصالحوا على أن أهل القصيم ما يمشي معه منهم غزو للرياض)[2]. وقد كرر ابن رشيد الاعتداء على مواشي أهل القصيم فاستولى على إبل لهم بعد عودته من الرياض[3].

ونستطيع تفسير موقف ابن رشيد الليّن والمهادن لأهل القصيم بأنه كان يريد أن يركز هدفه على غزو الرياض، وأن لا يشتت قواه في إثارة أهل القصيم أو الدخول معهم في صدام مبكر، وهو لم يحسم مسألة الرياض بعد، كما أنه لا يريد أن يتجاوز بلادهم من دون أن يضمن حيادهم ولو مؤقتًا لكي يحمي خطوطه الخلفية في صراعه مع الإمام عبد الرحمن في الرياض.

وبهذا نستطيع أن نقول إن سلوك ابن رشيد تجاه أهل القصيم للتعرف إلى موقفهم من غزوه للرياض قد أكد له أن خصمه الحقيقي في القصيم وليس في الرياض. وهذا ما جعله يتساهل في قبول حل مرن ولين مع أهل الرياض، والعودة سريعًا إلى حائل استعدادًا لتصفية حساباته مع أمراء القصيم. إذ يقول المؤرخ عبدالله البسام في عبارة موحية تربط القارئ ذهنيًا بما حدث لابن رشيد مع أهل القصيم في غارته تلك على الرياض، قال: (ثم ارتحل محمد ابن رشيد من الرياض، وأذن لمن معه بالرجوع إلى أوطانهم، وتوجه إلى حائل، ولما وصل حايل أخذ يستعد لحرب أهل القصيم)[4].

(1) المصدر السابق، ورقة 3.

(2) عبدالله البسام، التحفة ، مصدر سابق، ورقة 163.

(3) سعود التركي، مصدر سابق، ص 254 هامش5. كما أشارت إلى ذلك وثيقة عام 1308هـ من دون ذكر الشهر واليوم.

(4) عبدالله البسام، التحفة، مصدر سابق، ورقة 163. المؤرخ هنا لم يذكر مسألة الرس مطلقًا في تاريخه، التي يفترض أنها

وقد تناولت وثيقة عثمانية الموقف القصيمي من غزو ابن رشيد للرياض، وربطت بين المقدمات والنتائج، فبعد أن ذكرت أن ابن رشيد اعتدى على الرياض وحاصرها وسلبها وخرب محاصيلها، ذكرت أن حسن المهنا أراد الانتقام كرد فعل، وقام بمهاجمة بعض المناطق التابعة لابن رشيد كما تذكر الوثيقة، وربما كانت على شكل غارات على مناطق البادية والرعي، ثم تمضي الوثيقة لتربط هذا كله بقيام ابن رشيد بتعمد أخذ الزكاة من بادية القصيم كرد فعل على أعمال حسن المهنا السابقة[1].

8) أهداف ابن رشيد التوسعية:

هل كان ابن رشيد يهدف للاستحواذ على القصيم منذ بداية الصراع؟ وهل كانت تحالفاته في المنطقة مموهة على هدفه ذاك؟ وهل كانت تلك التحالفات وسيلة لغاية أبعد كان ابن رشيد يخفيها ضمن نواياه التوسعية. أما أن ما حدث من حروبه مع أهل القصيم والسعي إلى السيطرة على بلادهم جاء كهدف لاحق بعد أن تراكمت معطيات سياسية استحدثتها الظروف المستجدة، تمثلت من وجهة نظر ابن رشيد بنقض الأمير حسن المهنا للعهد معه وعقد تحالفات مع خصومه في نجد، ومكاتباتهم سرًا لبعض الأطراف للثورة على ابن رشيد؟ وأرى في هذا الصدد أن ابن رشيد لم يكن يطمع من بريدة بأكثر من التحالف وإعلان التبعية على أن يتركها لأميرها حسن المهنا، وله معها القصيم كله، لكن طموح حسن المهنا وتعامله مع ابن رشيد معاملة الند للند من دون إدراك متطلبات المرحلة والظروف المستجدة آنذاك، قد ساهم في الدفع نحو المواجهة بينهما.

إن هذه المعطيات يجوز أن تكون حورت هدف ابن رشيد ونيّاته نحو منطقة القصيم، ثم السعي إلى بسط نفوذه عليها، لأن أمراء القصيم أعطوه المبرر تلو الآخر ليكشف لهم علنًا عن مطامعه في بلادهم، وكان بوابة ذلك هو تدخله السافر في الصراع على إمارة الرس، ما فجر الأزمة السياسية والعسكرية وأدخلها في خط اللاتراجع. ومن الأهداف (الموهومة) ما ذكره حافظ وهبة[2] من أن هدف أمراء القصيم والإمام عبدالرحمن كان مباغتة ابن رشيد في حائل. وهذا ادعاء لا يساعده المنطق السليم لسير الأحداث فأهل القصيم والإمام عبدالرحمن أعجز من أن يفكروا في مثل هذا الهدف، وبالتالي لم يكونوا في موقع يمكنهم

حدثت بعد رجوعه من الرياض، وبالتالي اختزل الأحداث لينتقل مباشرة إلى خبر كون المليدا.

(1) وثيقة عثمانية عبارة عن تقرير من دائرة الأمن بالمدينة إلى ولاية الحجاز صادرة بتاريخ 27 جمادى الآخرة 1308هـ.

(2) حافظ وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص240.

من السعي إلى تحقيقه. فضلًا أن مثل هذا الهدف يتطلب تنسيقًا ودعمًا وخططًا كانت كلها غائبة عن أولئك الحلفاء، ولا أدل على ذلك من تأخر الإمام عبدالرحمن عن المسارعة للانضمام بجيوش القصيم في المليدا قبل أن يحسم ابن رشيد المعركة لصالحه.

9) الصراع على إمارة مدينة الرس:

بعد الاستعراض السابق لمجمل المشاكل التي شكلت عوامل متراكمة لوقوع الصدام المسلح بين أهل القصيم وابن رشيد نستطيع القول إننا وصلنا إلى (القشة التي قصمت ظهر البعير) وهي مدينة الرس. حيث شكلت السبب المباشر الذي فجر الصراع بين الطرفين على نحو متسارع.

حيث تعتبر الرس المدينة الثالثة في القصيم بعد بريدة وعنيزة، وكانت تابعة إداريًا لحسن المهنا، حسب الاتفاق بينه بين ابن رشيد عام 1293هـ في بداية حلفهما. والذي ينص على أن كل القصيم لحسن، ما عدا عنيزة، مما يعني أن الرس داخلة في نفوذ حسن المهنا، وبهذا لا يحق لابن رشيد أن يتدخل في شأنها. مع ملاحظة أن ابن رشيد عندما تدخل في مسألة الرس كان قد نبذ إلى أهل القصيم عهدهم كما سيأتي بيانه.

تتلخص المشكلة في وجود صراع تقليدي بين أسرتي العساف والرشيد[1] على إمارة الرس، وفي فترة الاضطراب قام الأمير حسن بعزل حسين العساف من مشيخة الرس وأصبح مكانه صالح الرشيد، فوفد حسين العساف ومعه صالح العذل على الأمير حسن ربما للمناقشة أسباب العزل وفي نفس الوقت طلبوا منه الرفد في المال والطعام، فاغلظ لهم الأمير حسن القول والفعل وطالبهم بالمتأخر من زكواتهم، ولم يمدهم بشيء من المال والطعام ولكنه أعطاهم حوالات مالية على خصمهم أمير الرس صالح الرشيد فلم يستسيغوا منه هذا التصرف، فلما خرجوا من بريدة أحرقوا تلك السندات وهم متوجهون إلى حائل حيث الأمير ابن رشيد[2]. فلما علم حسن المهنا بذلك طاردهم للقبض عليهم ولكنه لم يدركهم.

وأثناء مقام ابن عساف ومن معه في حائل حدثت غارة بوادي ابن رشيد على أطراف

---

(1) كلا الأسرتين من الحصانا المحفوظ من العجمان.

(2) محمد السلامة، مصدر سابق، ص185، هامش 3. نقلًا عن خليفة المسعود، صالح باشا العذل حياته وأعماله. وانظر: منصور العساف، **الرس مدينة وأمير**.
وانظر: عبدالله العقيل، **الرس عبر التاريخ**، الطبعة الأولى، 1425هـ، ص 167.

القصيم بعد عودة ابن رشيد من غارته على الرياض وتخليص ابن سبهان وحاميته. فجاء وفد القصيم لاسترجاع ما نهبه الأعراب منهم، فتنكر لهم ابن رشيد وقلب لهم ظهر المجن وصارحهم بالعداء، فعاد الوفد ومعهم إعلان نقض العهد، هنا وعلى الفور باشر ابن رشيد باستغلال هذا الوضع المتوتر وأمد (حسين بن عساف) بسرية فهجم بها على الرس، فهرب أميرها (صالح الرشيد) ولجأ إلى حسن المهنا فوافق لجوءه إلى بريدة رجوع الوفد القصيمي (الآنف الذكر) من عند ابن رشيد بإعلان نقض العهد بينهم[1]. ويقول أحد المؤرخين المعاصرين إن ابن رشيد لما أمد حسين بن عساف بقوة عسكرية لاقتحام الرس وعده أن يلحق به[2]. وذلك ربما لأن ابن رشيد كان متيقنًا من أن أهل القصيم سيكون لهم رد فعل قوي، فتجهز للحرب.

وفعلًا فقد كان رد فعل أمراء القصيم قوي وحاسم فبمجرد ما اجتمع عندهم أمير الرس المطرود (صالح الرشيد) مع نبذ ابن رشيد للعهد الذي بينهم، بادروا بالخروج إلى مدينة الرس بقوة كبيرة بقيادة حسن المهنا وزامل السليم، وذلك لإعادة صالح الرشيد إلى إمارتها، وقد نجحوا في مسعاهم ذاك، لأن أهل الرس بعد حصار قوة القصيم لبلدتهم ضغطوا على حسين العساف للخروج بسلام مع سريته الحائلية طلبًا للسلامة وحسمًا لمادة الحرب، فرحل بسلام مع قوته التي جاء بها إلى ابن رشيد[3]. **لقد كان خروج قوات القصيم لمساندة أمير الرس هو الخروج الأخير الذي لم يرجعوا منه حتى وقع كون المليدا، وفق ما يأتي بيانه. وبهذا أصبحت مشكلة الرس هي السبب المباشر التي فجر الصراع على نحو مأساوي في أرض المليدا.**

(1) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة3. وانظر ما نقله محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق، ص254، من تاريخ عبدالله العبدالرحمن السلمان.

(2) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق، ص 254.

(3) إبراهيم القاضي، مصدر سابق ، ورقة 3. وانظر: محمد السلمان، مصدر سابق، ص254.

الفصل الثالث

تكوين وتسليح
الجيوش المتحاربة وتحركاتها

وقد كنت ذا ناب وظفر على العدى فأصبحتُ لا يخشون نابي ولا ظفري

البحتري

أولًا: تكوين وتسليح جيش حائل:

تمتع جيش إمارة آل رشيد بسمعة عسكرية حسنة، لدى المؤرخين العرب والأجانب، وقد بدا هذا ظاهرًا في الإنجازات التي حققها ذلك الجيش عبر تاريخ تلك الإمارة، وما كان له أن يكسب هذه السمعة لولا كفاءة تدريبه، وانضباط مقاتليه وفروسيتهم وشجاعتهم، أضف إلى ذلك شدة ولاء ذلك الجيش لقيادته، ووضوح هدفه، ورسوخ عقيدته القتالية.

وفي ما يلي جدول مقارنة لتقديرات جيش حائل من عدة مصادر تاريخية، وفي سنوات مختلفة، والتي سيلاحظ القارئ أن بين تقديراتها تفاوت غير منطقي:

العـدد	التفصيل	المصـدر
6000 مقاتل من حائل +3000 من مقاتلي المناطق الأخرى	في ستينيات القرن 19 م	جبار يحي عبيد، **التاريخ السياسي لإمارة حائل**، ص94، بالهامش (نسب معلوماته إلى أحد الرحالة الأجانب)
40000 اجمالي المقاتلين	في تسعينيات القرن 19 م	
400 فارس	هم فرقة العبيد المختارة بقيادة الأمير نفسه	الظاهري 162

بين 6500 محارب و9000 محارب وقت الحرب	بين عامي 1860/1869م	**الزعارير، إمارة آل رشيد** ص 97، و ص 98.
2000 خيّال 1300 جمّال	أغلب قوات ابن رشيد من الحاضرة وعليهم يعتمد	
4000 مقاتل	عصب الجيش من مقاتلي الحضر في عهد محمد الرشيد	
20000 مقاتل	فارس وراجل من البادية	
10000 مقاتل		وثيقة عثمانية عام 1891
الجيش 10000 الحرس الخاص 2000	ويستطيع الأمير محمد بن رشيد تجميع 40 ألف مقاتل إذا أراد	البارون نولده 1310/ 1893، في رحلته ص89.
القوة الخاصة للأمير 800 – 1000		آن بلنت 1298هـ في رحلتها
4000 مقاتل	تم استخدام 1500 في المليدا	وثيقة عثمانية/ كورشون ص243، العثمانيون وآل سعود.
10000 مقاتل	1308 هـ/ 1891 م ومعهم آلاف البنادق وبطاريتا مدفع	12 شباط/فبراير 1891م، وثيقة عثمانية عن إفادة من والي سوريا لمستشاري السلطان (كورشون،آل سعود)، ص 242.
1500 حضري 2500 بدوي	إفادة والي البصرة في تقرير عام 1308هـ، مضاد للتقرير السابق، ونص على أن هذا هو حجم القوة التي دخل بها ابن رشيد في حربه مع عبدالرحمن	كورشون، **آل سعود** ص 243

يمدنا الجدول السابق بتصور عام عن حجم وتشكيل الجيش الرشيدي في الفترة التي نتحدث عنها، وإن كنا لا نوافق على بعض الأرقام المبالغ فيها في أعداد ذلك الجيش. وقد **تشكل الجيش الرشيدي من ثلاثة مكونات أساسية، هي كالآتي:**

المكون الأول: فرقة مختارة من الفرسان المقاتلين الأشداء المدربين، وهم تحت قيادة الأمير الرشيدي مباشرة، ويأتمرون بأمره في الحرب ويقاتلون تحت رايته، أما في حالة السلم فتتحول مهمتهم إلى حراسة الأمير في المدينة وخارجها. وهؤلاء يقترب

عددهم من الألف محارب قد يزيدون أو ينقصون، ويطلق عليهم فرقة العبيد. والذين يباشرون الحراسة عدد مختار من هذه الكتيبة من العبيد، لهم رواتب وأزياء خاصة وتسليح جيد[1].

المكون الثاني: وهم فرسان حائل من أهل الحضر، وهؤلاء أهل خيل وفروسية ودربة على القتال.

المكون الثالث: عادة ما يكون هذا القسم من جيش حائل هو الأكثف عددًا، وهم من بادية شمر الذين يلبون نداء الأمير الرشيدي في حالة إعلان الحرب، وبادية شمر واسعة الانتشار في شمال الجزيرة العربية، وجنوب العراق، وفي بلاد الشام. وقد انضم بعض رجال شمر من تلك البوادي إلى بني عمهم في حائل وشاركوهم الحروب، مع العلم أن أمير حائل ابن رشيد ليس له نفوذ قبلي مباشر عليهم، لأنه أمير أهل الحضر في حائل ولا يسري نفوذه على قبائل بادية شمر، وإن كان شيوخ تلك القبائل يستجيبون بشكل رمزي لتلبية نداء ابن رشيد في حالة الحرب مع أعدائه.

أما تشكيلات جيش ابن رشيد في المليدا[2]:

1- أبناء قبيلة شمر من الحضر والبدو.

2- تشكيلات مقاتلي البادية المتحالفة مع ابن رشيد.

3- القوة المكونة من عبيد الأمير الخاصين المجندين من مدن جبل شمر وواحاته الذين استخدمهم ابن رشيد بانتظام في توسعه، ما ضمن معه هيمنة حائل اقتصاديًا وسياسيًا

قال شاعرهم:

سرنا كما مزن ثقيل الخيالي   خمسين جمع شمر دون الأجناب

وخمسين جاءت وفق حساب الجمل كلمة (كل)، وهي كالآتي:

ك = 20   ل = 30   المجموع = خمسين

(1) الزعارير، ص97، 98، الظاهري، ص162.

(2) مضاوي الرشيد، إمارة آل رشيد، ص 168.

وتعني أن كل عشائر قبيلة شمر قد حضروا المعركة، وقوله (الأجناب) أي مقاتلي القبائل الأخرى من غير شمر.

وقد ذكر المؤرخ علي العبيّد أن عدد الخيول مع ابن رشيد في كون المليدا 8000 من الخيل وقد أورد تلك الرواية على سبيل الجزم، حيث قال: (وكان معه على ما يقول المحقق من صنف الخيل 8000 خيال)[1].

تسلح جيش حائل: لم تلامس دولة آل رشيد الساحل، وبالتالي لم يكن لها مرفأ بحري تتصل عن طريقه بالعالم الخارجي، ولذا اعتمدت في الحصول على السلاح من المدن الساحلية في الكويت وقطر، وبمساعدة الموظفين الأتراك في الإحساء والعراق وسوريا، وكانت تتحصل على معظم الذخيرة من الكويت ومرفأ العقير[2]. كانت البنادق هي السلاح الأكثر كثافة في أيدي مقاتلي الجيش الرشيدي وأشهرها طراز المارتيني الإنجليزية الصنع والموازر الألمانية والفلنتة المصرية[3]، ومما يثبت ذلك ما جاء في وثيقة عثمانية قبل وقوع المعركة بشهر تقريبًا أن ابن رشيد جهز نفسه ببضعة آلاف من البنادق، ولديه بطاريتا مدفع، وقالت الوثيقة إن ابن رشيد يستخدمها ضد خصومه لتخويفهم بها[4]. كما جاء في وثيقة عثمانية أخرى صادرة بتاريخ 12 شباط/فبراير1891م الموافق 3 رجب 1308هـ (أي بعد كون المليدا بأقل من شهر) أن ابن رشيد تزود ببنادق حديثة، وذلك استعدادًا لحروبه داخل الجزيرة العربية، لكن الوثيقة لم تذكر نوعها وعددها. وجاء ما يؤكد هذه الترسانة الضخمة من البنادق المارتيني في مصدر بريطاني كان يتحدث عن حجم وقوة جيش ابن رشيد في المليدا[5]. وتكرر الكلام على وجود المدافع في جيش ابن رشيد في وقت لاحق حيث تحدثت وثيقة عثمانية أن لدى الشيخ ابن رشيد كتيبة مدفعية[6]. وفي نفس التاريخ أي في(3 رجب1308هـ) صدرت وثيقة عثمانية أخرى أعطت تفاصيل أكثر مع التصحيح للقوات الحقيقية لابن رشيد وتسليح جيشه، وذكرت أن في يد ابن رشيد بنادق المارتيني والفلنتة المصرية وأنه قد أسس مصنعًا للذخيرة يعمل بطاقة 400 مملوك. وعزز التقرير

---

(1) العبيّد، **النجم اللامع**، مصدر سابق، ص 37.

(2) موسيل، **التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، مصدر سابق ص29.

(3) كورشون، **العثمانيون وآل سعود**، مصدر سابق، ص 241.

(4) برقية مشفرة واردة من ولاية سوريا بتاريخ 12 جمادى الأولى 1308هـ.

(5) لوريمر، **دليل الخليج**، مصدر سابق (3 / 1689).

(6) برقية من ولاية الحجاز حررها قائد مركز الشرطة هناك، بتاريخ 15 رمضان عام 1310هـ.

معلوماته بمصادر أولية ذكرت أن في يد ابن رشيد نحو 6000 بندقية، وبطاريتي مدفع[1].

بيرق حائل: وصفه الرحالة الأوروبيون الذين شاهدوه، فجاء على لسان الرحالة الإيطالي غورماني الذي شاهد البيرق عام1280هـ فوصفه قائلًا:(راية ابن رشيد ذات لون أخضر، ومؤطرة بالأحمر، وتحمل كتابة بالأبيض تحت سيف مسلول تمثل الشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)[2].كما وصفته الليدي آن بلنت أثناء زيارتها لحائل عام 1297هـ ومما قالته:(البيرق وهو لواء ابن رشيد، مربع من الحرير الأرجواني وحافة خضراء،يتوسطه شعار أبيض...وعادة يطوى جزئيًا أثناء المسير)[3]. وفي عام1310هـ ذكر لنا البارون نولده: أن علم ابن رشيد أحمر بلون الدم، مع الكلمات المشهورة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مطرزة عليه[4]. كما أكد لويس موسيل أن بيرق ابن رشيد كان أحمر قانيًا[5]. ومن خلال الوصف السابق نعرف أن بيرق ابن رشيد الذي رفعوه في كون المليدا جمع دومًا بين اللونين الأحمر والأخضر، فالأحمر كما قلنا تبعًا لعلم الدولة العثمانية، أما الأخضر فبقية من الراية القديمة التي تمثل تبعية آل رشيد لآل سعود في فترة تاريخية سابقة، وبالجملة فقد كان بالمواصفات الآتية:

1- مربع أو مستطيل الشكل.

2- يحمل كلمة التوحيد والسيف المسلول.

3- لونه أحمر قانيًا.

4- له حافة خضراء في الدرفة في الجهة اليسرى، أما من جهة السارية فتكون بيضاء.

وعرف بيرق ابن رشيد باسم (طليفيح)، وهي تصغير لاسم طلفاح الذي هو صفة للثوب إذا ارتفع من الخلف أثناء الجري، ومنه اشتق طليفيح كناية عن الاندفاع والسرعة. ويسمى كذلك مرزوق ربما تيمنًا بما يحصله الجيش من رزق وغنائم، إذا ما ثبت في الميدان وتحقق النصر وقد وصفه بهذا الوصف أحد الشعراء قائلًا:

---

(1) تقرير مفصل عن حالة ابن رشيد السياسية، وخصومه النجديين، الأرشيف العثماني يلدز، منوع 4 - 48 بتاريخ 3 رجب 1308هـ.

(2) نجد الشمالي، غورماني، ص135.

(3) رحلة الليدي آن بلنت، ص257.

(4) **رحلة نولده**، ص90. وهو لم يذكر كلمة التوحيد بنصها، بل قال المشهورة.

(5) لويس موسيل، **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، ص118.

أوحى شريدة يوم صوت بمرزوق مثل الدبا لا صال بالصيف كتفان

وكان بيرق الرشيد يحمل على جمل ضخم سريع لا يجفل من صوت الرمي بالبنادق، وكان أحد هذه الجمال قد عرف باسم (الرقيبا)[1]، وقد أشار إلى البيرق وحامله الشاعر محمد بن هويدي، وهو يمدح الأمير محمد بن رشيد في هذا البيت:

سقم الحريب إلى اعتلى فوق علكوم ونادى مبارك لا الدليلة شمامي[2].

ومبارك بن حمد بن فهد الفريخ هو الذي كان يحمله في معركة القرعاء عام 1308هـ وقد قتل في تلك المعركة، وبعد مقتله تقدم ابنه عبدالله وحمل البيرق وهو شاب فأقره ابن رشيد مكان أبيه فكان هو الذي حمله في كون المليدا. وقد ذكر البارون نولده الذي زار معسكر ابن رشيد عام 1310هـ، أن حامل البيرق، كانت توضع له خيمة خاصة خلف خيمة الأمير ابن رشيد مباشرة، وذكر أنه قابل عبدالله بن مبارك الفريخ وكان عمره 20 سنة[3].

حلفاء ابن رشيد من حاضرة نجد:

عندما تزعمت مدينة بريدة الصراع ضد ابن رشيد في منطقة القصيم كانت البوصلة السياسية والعسكرية فيها موحدة ضد أطماعه. ولكن لم تكن الحواضر الأخرى بنفس ذلك التوحد، حيث وقف إلى جانب ابن رشيد في صراعه مع آل سعود وأمراء القصيم بعض الموالين له من الحاضرة في منطقة نجد، وقد اختلفت الظروف التي جعلتهم يحالفون ابن رشيد، وقد أشرنا إلى بعض تلك الظروف في الحديث عن عوامل الصراع في كون المليدا، إلا أن حلف هؤلاء لابن رشيد لا يعني بالضرورة أنهم شاركوا في القتال إلى جانبه في كون المليدا، حيث كان حلفهم معه في الغالب في مستواه السياسي والتجاري ولم يتم تفعيله عسكريًا في ما يظهر من سياق الأحداث إلا نادرًا، ومن هؤلاء الحلفاء الذين ساندوا ابن رشيد من حواضر نجد الكبرى، ما يلي:

- كان لابن رشيد حلفاء في مدينة عنيزة التي كانت منقسمة على نفسها سياسيًا آنذاك بين مؤيدين للدخول في الحرب وبين معارضين للدخول فيها، ومن

(1) عبدالرحمن السويداء، منطقة حائل عبر التاريخ، ص 479.

(2) ضمن قصيدة بمناسبة كون أم العصافير عام 1301هـ، مخطوطة الصويغ، ورقة 250.

(3) البارون نولده، مصدر سابق، ص 90.

هؤلاء أسر تجارية عريقة كالبسام، وآل يحيا الصالح، وغيرهم. ويكشف لنا البيت الآتي ذلك التحالف المبكر الذي سبق كون المليدا بسنوات بعيدة، وهذا البيت هو أحدية للشيخ مسلط بن ربيعان يخاطب بها الإمام عبدالله الفيصل آل سعود:

يا شيخنا مالك علينا لوم لومك على برقا وابن بسام

- كانت مدينة الرس كعنيزة منقسمة الولاء بين طرفي الصراع في كون المليدا. ولا نشك في أن الصراع حول الزعامة في الرس كان من أهم العوامل التي سببت كون المليدا بشكل مباشر، ولم تنشب الحرب بين الأطراف إلا وقد فاز ابن رشيد بموالاة حلف قوي بالرس تمثل في أسرة آل عساف الذين ينافسون أبناء عمهم الرشيد في الرس على الإمارة. وقد رأينا آنفًا كيف وقف ابن رشيد بكل نفوذه السياسي والعسكري إلى جانب حسين العساف لكي يعيده إلى إمارة الرس. وإلى جانب ذلك كان آل عذل في الرس من الأسر التي حالفت ابن رشيد، ولذلك نجد أن هاتين الأسرتين شاركتا في القتال إلى جانب ابن رشيد في كون المليدا.

- كانت المجمعة كعاصمة لإقليم سدير قد خضعت لنفوذ ابن رشيد في فترة مبكرة من هذا الصراع في عام1299هـ، على نحو ذكرناه سابقًا. وقد استمر حلف آل عسكر أمراء المجمعة لآل رشيد قويًا ثابتًا من ذلك التاريخ حتى عام 1325هـ، مرورًا بعام المليدا 1308هـ.

- ذكرنا آنفًا أن الخلاف بين أمير الزلفي راشد بن سلمان البداح، وأمير القصيم حسن بن مهنا كان أحد العوامل التي ساهمت في توتر العلاقة بين بريدة وحائل ففي عام 1305هـ حدث الاحتكاك حول مراعي وموارد الزلفي بين أميري بريدة والزلفي، وتطور الخلاف ليدخل فيه ابن رشيد كطرف ثالث إلى جانب أمير الزلفي، وآنذاك تأسس حلف سياسي متين بين حائل والزلفي.

حلفاء ابن رشيد من البادية[1]: كان أبرز حلفاء ابن رشيد في كون المليداء هي بادية قبيلة شمر الذي ينتمي إليها، وقبائل حرب وهتيم وبني عبدالله من مطير، وبعد القرعاء قدم على

---

(1) سعود بن هذلول، مصدر سابق، ص52. ومحمد العبيّد، مصدر سابق (2/ 252). لويس موسيل، **آل سعود**، ص127. ولنفس المؤلف انظر: الدولة السعودية، **مجلة العرب**، رمضان وشوال 1396هـ، ص 244.

ابن رشيد أمداد من شمر والظفير وعنزة. كما أرسل ابن رشيد 40 رسولًا على أربعين ناقة مغطاة بأقمشة الخيام السوداء إلى قبائل شمر على الضفة اليمنى لنهر الفرات بين كربلاء والبصرة، وقد أرسل كل ناقة إلى جهة معينة.

وكانت عشائر البادية قد انضمت لابن رشيد على ثلاث دفعات: (الأولى) الذين خرجوا معه من منطقة حائل وقراها، و(الثانية) الذين انضموا إليه في عين ابن فهيد، و(الثالثة) الذين انضموا إليه بعد القرعاء؛ وهم المقاتلون المنظمين لجيش حائل من غير قبيلة شمر. وهي قبائل البادية المتحالفة مع ابن رشيد، وهي قبائل حرب وعنزة والظفير والمنتفق وهتيم[1]. كما ذكر بعض الرواة للعثمانيين أن ابن رشيد استنجد بشيوخ عنزة عبر(13رسالة) بعثها لطلب العون من أمثال ابن هذال وابن مهيد فاستجابوا، ولكن الحويطات والرولة رفضوا الاستجابة إلى طلب مماثل من ابن رشيد[2]، وقد لاحظ تقرير عثماني صادر عن دائرة الأمن في المدينة النبوية كثافة مشاركة العربان إلى جانب ابن رشيد، بحيث قل تجمعهم لمهاجمة مزارع المدينة وسلبها كما هي عادتهم كل سنة[3]، وتفيد هذه الملاحظة أن هدف انضمام العربان إلى ابن رشيد هو الطمع المادي لا غير.

وعن تلك البادية المتحالفة مع ابن رشيد قال المؤرخ ابن ناصر: (وفيها (1308هـ) أخذ ابن رشيد في إعمال الكيد لأهل القصيم واستحث جميع العربان من شمر والظفير وحرب والمنتفق)[4]. وقد شكّل مقاتلو البادية ميمنة جيش ابن رشيد وميسرته، حيث أعطت دعمًا بشريًا زاد من كثافة وتفوق الجيش الرشيدي على قوات أهل القصيم. قال حمود العبيد الرشيد شعرًا:

الشعالين بأيسر طرفنا والصويطات معنا فزوعي

ثانيًا: تكوين وتسليح جيش أهل القصيم:

تكونت قوات أهل القصيم من حواضر القصيم المختلفة من بريدة وعنيزة

---

(1) تقرير محمد أمين رفعة للسلطات العثمانية في العراق بعد 20 شعبان 1308هـ، وقد استقى معلوماته من بدوي شمري حضر القتال.

(2) نفس المصدر السابق، ولكن هذه المعلومة استقاها من محمد بن موينع السبيعي.

(3) تقرير مرفوع من دائرة المدينة الأمن بالمدينة النبوية إلى ولاية الحجاز، بتاريخ 27جمادى الآخرة 1308هـ.

(4) عبدالرحمن بن ناصر، مصدر سابق، ورقة 39.

والمذنب والبكيرية والرس. وكانت تلك القوات تحت قيادتين، فعموم أهل القصيم تحت قيادة الأمير حسن المهنا أمير بريدة، وأما قوات عنيزة فكانت تحت قيادة الأمير زامل السليم. كما كان لكل جماعة مقاتلة من بلد من بلدان القصيم المشاركة أمير خاص لها الرس والمذنب والبكيرية والبدائع والخبرا وقصيبا والهلالية والنبهانية وعين ابن فهيد.

كما كان لكل مدينة بيرق (راية) خاص بها في المعركة، فراية بريدة تعاقب على حملها عدة من أفذاذ الرجال، كان آخرهم عبدالرحمن بن حسين الصالح[1] وهو الذي حملها عندما حلت الهزيمة بقومه، ولذا كان هدفًا سهلًا لمرمى نيران العدو فقتلوه. أما (راية عنيزة) فكان حاملها هو (عبدالله الصقيري) وقد قتل في المعركة[2].

ولقد تكون جيش أهل القصيم المقاتل في كون المليدا من الحاضرة والبادية وهو أشبه ما يكون بجيش شعبي، ولذا يصعب معرفة مكوناته على وجه الدقة، كما أنه لم يخضع لتدريب أو تنظيم محدد، وتعتمد مهارات الجيش القتالية على المهارة الفردية للشخص المحارب، وينطبق هذا الوصف على مقاتلي البادية والحاضرة على حد سواء.

ومع ذلك نجد هناك مكونًا شبه نظامي كان يشكل القوة الصلبة لجيش أهل القصيم، وهذه القوة تتألف عادة من القيادة وأركان حربها، وحامل البيرق، والفقيه الواعظ الذي يؤم الناس في الصلاة، ومجموعة مختارة من العبيد المرافقين كحرس للأمير قائد الجيش، والخدم الذين يتولون مهمة المساندة والتنظيم، وأغلب هذه المجموعة المقربة من الأمير والقيادة تقع مسؤولية تسليحها على إمارة البلد.

أما بقية القوة المقاتلة في الجيش فهي أشبه ما تكون بمليشيات شعبية تسلح نفسها تسليحًا ذاتيًا، وكان الخروج مع الجيش والمشاركة تتم بطريقتين، إما بدافع ذاتي من المقاتل حبًا في إظهار شهامته شجاعته ومهاراته القتالية. أو بالاختيار الذي يقع على الفرد ليمثل عشيرته وأسرته في هذه الحرب، كما جرت العادة، وتجب المشاركة على كل قادر، وإن كان لا يرغب يجهز غازيًا بديلًا منه، والتجار يقع

---

(1) كان عبدالرحمن الحسين الصالح زوجًا لأخت الأمير حسن المهنا وابن عمه انظر: **تاريخ أبا الخيل**، محمد أبا الخيل، ص 51.

(2) انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، **الخزانة**، الجزء الخامس، ضمن قائمة القتلى.

عليهم عبء أكثر من غيرهم في تجهيز الغزاة، وكانت أغلبية المشاركين في القتال من الطبقة الوسطى، كما لا بد من بقاء قوة مرابطة في البلد من القادرين والمؤهلين لحمايتها.

وكان أمراء القصيم يعدون قوائم مكتوبة للمقاتلين والمتبرعين لتجهيز المقاتلين بدلًا منهم[1]. ولا أستبعد وجود مثل تلك القوائم لمعرفة من خرج ومن بقي، ومن أنفق ومن قاتل، وذلك لضمان عدالة توزيع الغنائم بعد الحرب. والحاضرة بهذا التنظيم يختلفون عن البادية الذين يخرج كل رجالهم البالغين للقتال ولا يبقى إلا النساء والأطفال والرعاة.

أما العقيدة القتالية لجيش القصيم فتمتثل بالدفاع المستميت عن الأنفس والحرمات والبلدان من المعتدي، وفي نفس الوقت تجنب الاعتداء على الآخرين من بادية أو حاضرة. وقد عرف عن مقاتلي القصيم الشجاعة والحماس وإن كانوا أقل مهارة في القتال من غيرهم، بسبب أنهم لا يخضعون لأي تدرب ممنهج، ولأنهم في أغلبهم أشبه بالمليشيات الشعبية المتطوعة من أهل الزراعة أو التجارة أو الصناعة.

ويعتبر مقاتلي البادية رديف هام لتعزيز قوة أهل القصيم من الحاضرة، ورغم أن للقصيم بادية تقليدية تابعة لها إلا أن تحالفات بادية القصيم للقتال مع قوات الحاضرة فيها تبنى وفق حسابات خاصة بالبادية، وهي تقوم على ركيزتين هما:

- الرغبة في الانتقام والثأر من عدوهم الذي يكون قد قتل وغنم منهم كثيرًا. كما فعلت عتيبة في حلفها مع أهل القصيم في كون المليدا، بدافع الانتقام من ابن رشيد.
- السعي إلى الكسب المادي من الحرب، والطمع فيما يتركه العدو من غنائم في حالة الهزيمة، أما إذا رأت البادية أنها في الجانب المهزوم، فتفر وتترك الميدان، هذا إن لم تقدم على نهب حليفها ذاته.

وكان جيش القصيم يتألف آنذاك من المكونات التالية:

- **المشاة:** يقول شاعرهم:

لابتي بالكون تفرق خليل من خليل   بالوغى رجليها سابق خيالها[2]

(1) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، ص304.

(2) عبدالله بن خميس ، **أهازيج الحرب** ،ص177، البيت للشاعر والمؤرخ: إبراهيم بن محمد بن عبدالله القاضي.

ولقد قال هذا البيت ضمن قصيدة حربية له وهو يصف أن المشاة في قومه أسرع مبادرة للقتال من الفرسان، كما أنه يشير من طرف خفي إلى تفوق أعداد المشاة (الراجلة) على عدد الفرسان على خيولهم. وقد ذكر نولده أن مشاة جيش القصيم كانوا يفتقرون إلى التسليح الجيد، وذكر أن بنادقهم كانت تعبأ من فوهتها بالبارود[1].

- **الخيالة:** كان وجود الخيول محدود في جيش القصيم، وكان أهل الخيل هم علية القوم والمقتدرين، وكان في كل جناح من جيش القصيم فرقة من الخيالة، فخيالة بريدة كان قائدها (عبدالعزيز بن عبدالله المهنا) وقد قتل في المعركة. أما خيالة عنيزة كانت بقيادة خالد العبدالله السليم وكان من ضمن القتلى أيضًا.

- **راكبو الجمال:** ويسمى هذا القسم بـ (الجيش)، وعادة ما يفوق عدد راكبي الجمال أهل الخيل في هذا النوع من المعارك.

ثالثًا: تقدير أعداد الجيوش المتحاربة في الجانبين:

يعد تقدير الجيوش آنذاك على نحو مقارب للحقيقة أمر متعسر، إذ إنه لا وثائق ولا قوائم محفوظة يمكن الاعتماد عليها للرجال المشاركين في القتال، ولا قوائم للدواب المشاركة أو عدد الأسلحة ونوعيتها، فنحن للأسف نفتقد كل هذه المعطيات المادية، وبالتالي تخضع التقديرات لاجتهادات غير منضبطة لا برواية ولا بدراية. فترى الجميع يخوض في تقدير أعداد المقاتلين من دون هدى أو حتى منطق. ومما يفقدك الثقة في ما تم تقديره من أعداد المقاتلين تباين المؤرخين في تلك التقديرات، بين مبالغ في كثرتها أو قلتها. ومن هنا لا بد من أن نقسم روايات المؤرخين إلى درجتين في الموثوقية، فهي إما معاصرة (شاهد عيان)، أو ناقلة للرواية على عواهنها من دون تمحيص أو تدقيق.

وهنا يستحسن إيراد بعض التقديرات المختلفة والمتباينة للمقارنة بين عدد قوات القصيم بقوات حائل في كون المليدا من عدة مصادر مختارة:

---

(1) نولده، مصدر سابق، ص77.

المصدر	قوات القصيم	قوات حائل
وثيقة عثمانية[1]		1500 من الحضر 2500 من البدو المجموع 4000 مقاتل[2]
محمد العلي العبيد[3]	ـــ	8000 خيالة ابن رشيد
نولده[4]	30000 مقاتل	30000 ابن رشيد 10000 من قبيلة حرب 1000 شمر العراق
هوجات[5]	15000 المجموع الكلي للمقاتلين من الطرفين	
محمد السلمان[6]	50000 المجموع الكلي للمقاتلين من الطرفين	
ويندر[7]	60000 المجموع الكلي للمقاتلين من الطرفين	

ما سبق قائمة نماذج مختارة لإحصائية عدد القوات المشاركة في القتال من الجانبين من أهل القصيم وحائل وهي في أغلبها أعداد مبالغ فيها جدًا وغير منطقية، وذلك للأسباب الآتية:

- أن عدد سكان المنطقة آنذاك أقل من أن يستخرج منه هذا العدد الكبير من المقاتلين، وفي العادة تحتسب ما نسبته 20% من المقاتلين لعدد السكان الإجمالي. ولذا لو افترضنا أن العدد المقدر للقوات المحاربة هو للسكان كلهم وليس للمقاتلين وحدهم لصعب علينا تصديق ذلك.

(1) تقرير مفصل عن حالة ابن رشيد وخصومه النجديين، الأرشيف العثماني يلدز، منوع 4 - 48، بتاريخ 3 رجب 1308هـ.

(2) نفس التقرير العثماني الذي أعطى هذه الأرقام قام بنفي للمعلومات التي ذكرت أن قوات ابن رشيد بلغت في كون المليدا عشرة الآف مقاتل، المصدر السابق.

(3) العبيد، مصدر سابق، ورقة 37.

(4) نولده ، رحلته، ص 75 - 76. ويعقب نولده على هذا الرقم المبالغ فيه بقوله: (لقد شككت في صحة هذه المعلومات بالنظر إلى الخيال الشرقي إلى المبالغة، لكن بالحصول على بيانات دعم من مصادر مختلفة فإنني أعتقد بصدق بإمكانية اصطفاف مثل هذا العدد الكبير).

(5) السلمان، مصدر سابق، ص261.

(6) المصدر السابق، ص261.

(7) المصدر السابق.

- أن الذين أعطوا هذه الأرقام من الأجانب أو من المصادر المحلية لم يشاركوا في القتال، كما أنهم لم يعتمدوا على وثائق مكتوبة.
- أن الروايات الشفهية المحلية التي اعتمدها الأجانب تميل غالبًا إلى المبالغة والتهويل.
- التناقض الواضح والتباين الكبير بين تلك الأرقام يدل على أنها رجم بالغيب.
- لدينا إحصائية بعدد الرجال (فقط) عام1320هـ، في بعض المدن النجدية، بحسب تقدير المؤرخ إبراهيم بن عيسى[1]. ورغم أن هذه الإحصائية جاءت بعد كون المليدا بـ 12 سنة إلا أنه يمكن الاستئناس بها للوصول إلى تصور صحيح ومنطقي لأعداد المقاتلين بصورة عامة في تلك الفترة. ومن هنا يدرك القارئ مدى المبالغات التي يقع فيها البعض في وضع تقديرات جزافية للمقاتلين آنذاك، دون حساب للحجم الطبيعي للسكان ولفئة الرجال القادرين على حمل السلاح، وهنا لا بد من حساب الفارق الزمني للنمو السكاني ونمو أعداد المقاتلين أيضًا. وبهذا نرى أن عدد الرجال عام 1308هـ لا بد أن يكون أقل عددًا مما ذكره ابن عيسى عام 1320هـ.

المدينة	عدد الرجال	الشرح
الرياض	3000	عاصمة إقليم العارض.
بريدة	5000	عاصمة إقليم القصيم.
عنيزة	3000	ويقدر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام عدد رجال عنيزة عام 1279هـ بـ (1500) رجل[2].
بقية بلدان القصيم	3000	وهي مدن: الرس والمذنب والبكيرية والبدايع والخبرا وقصيبا والهلالية والنبهانية وعين ابن فهيد.
المجمعة	700	عاصمة إقليم سدير.
شقراء	1000	عاصمة إقليم الوشم.

(1) في تاريخه المسمى المجموع، وهو لا يزال مخطوطًا، انظر الورقات 291 وما بعدها.
(2) خزانة التواريخ النجدية (113/5)

وبعيدًا عن المبالغة في أعداد الجيوش المتحاربة، سنلجأ إلى القرائن والشواهد في تقريب العدد المقبول والخالي من المبالغة. ومن ذلك أن المؤرخ محمد العبيّد ذكر أن قوات حسن المهنا التي كانت معه في معركة عروى عام1300هـ[1] تقدّر بـ (500 مقاتل)[2]، وهو عدد معقول جدًا يتناسب مع حجم الكثافة السكانية آنذاك للقصيم الذي كان تحت إمرة حسن المهنا، مع ملاحظة أن هذه القوة هي التي أسميها (القوة الصلبة) والتي تشكل الحد الأدنى من القوات التي يمكن جمعها، ولا بد من الأخذ في الاعتبار أن القوة المشاركة في معركة عروى من أهل القصيم، كانت رمزية فرضتها متطلبات الحلف بين بريدة وحائل آنذاك.

ويمكن لنا أن نذكر هنا شاهدًا آخر على حجم مقاتلي عنيزة، وهو يعود إلى عام 1295هـ، أي قبل المليدا بـ13 سنة، وهي تلك القوة التي خرجت من عنيزة لغزو فريق من قحطان بقيادة الأمير زامل والتي قدرها الرحالة دواتي[3] بـ (400 مقاتل و200جمل). بينما يذكر المؤرخ الذكير أن تلك القوة لا تقل عن 600 ذلول[4].

ومن القرائن التي يمكن الاستئناس بها لمعرفة عدد مقاتلي القصيم في كون المليدا على وجه التقريب، ما ذكره المؤرخ مقبل الذكير عندما ذكر عدة قوة عنيزة التي خرجت لاعتراض ابن رشيد في غزوته للرياض أول عام 1308هـ، والتي قدرها بـ (500 مقاتل)[5]، كما خرجت معها قوة من بريدة تساندها، لكنه لم يذكر عددها.

ثم نقترب مع المؤرخين القاضي والذكير أكثر للوصول لتقدير العدد الذي نتوقع أنه شارك في كون المليدا حينما ذكرا أن عدد قوات القصيم التي زحفت على الرس لحسم الصراع على إمارتها قبيل المليدا، كانت (1000مقاتل) من بريدة مع حسن المهنا، وما بين (500 إلى600 مقاتل) من عنيزة مع زامل السليم[6]. وبهذا نكون قد اقتربنا من تحديد عدد قوات القصيم المشاركة في كون المليدا، لأن الروايات تدل على أن أمراء القصيم عندما

(1) مر معنا أن المعركة جرت بين ابن رشيد وحليفه حسن المهنا ضد عتيبة وحليفهم محمد بن سعود الفيصل وهزم فيها الطرف الثاني.

(2) العبيد، مصدر سابق، ورقة 35.

(3) تشارلز داوتي، **ترحال في صحراء الجزيرة العربية**، (2/ 2) ص170.

(4) الذكير، تاريخه، الخزانة (7/ 270).

(5) المصدر السابق (7/ 280).

(6) المصدر السابق (7/ 282).

خرجوا من بلدانهم واتجهوا إلى الرس لم يعودوا إليها بل اتجهوا من الرس إلى الشقة، والمقصود أن تلك القوة البالغة (1600مقاتل) تقربنا من معرفة حجم القوة التي دخلوا بها في معركتي القرعاء والمليدا، **بالإضافة إلى أعداد أخرى مماثلة من المقاتلين تواردت من الأمداد من المدن، وذلك لأننا أخذنا بالاعتبار مصدرين لزيادة تلك القوة:**

المصدر الأول: أننا نتوقع أنه قد انضمت لاحقا قوات إضافية من أهالي كل من بريدة وعنيزة لتلك القوة المواجهة لابن رشيد، وذلك عندما أصبح الصدام محتمًا ووشيكًا، وأعلن النفير العام، فالتحق بتلك القوات من لم يكن قد خرج معها قبل ذلك. كما قدمت أمدادًا من بلدان القصيم الأخرى. وأقدر تلك الأعداد مجتمعة بـ (250 مقاتل) تقريبًا، من الرس والمذنب والبكيرية والبدايع والخبرا وقصيبا والهلالية والنبهانية وعين ابن فهيد والقرى المتناثرة لتلك البلدان.

المصدر الثاني: انضمام قوات البادية حلفاء أهل القصيم من عتيبة وقسم من مطير وسواهم، ومن ذلك مثلًا أن بعض مقاتلي البادية انضموا إلى قوات القصيم عند الرس[1]، كما انضم بعض مقاتلي البادية إلى أمير عنيزة في طريقه إلى القرعاء[2]. وعن خروج جيش القصيم إلى القتال ذكر المؤرخ عبدالله البسام مشاركة البادية، وإن لم يحدد أي قبائل بعينها[3]. وأقدر أن أعداد مقاتلي البادية إلى جانب جيش القصيم ربما لا تزيد عن (1000 مقاتل) تقريبًا.

أما حلفاء أهل القصيم من قبائل البادية فأبرزها الشيابين من عتيبة والبرزان من مطير وكانت مطير على ميمنة جيش أهل القصيم وكانت عتيبة على الميسرة. يقول حمود العبيد الرشيد عن خذلان بادية القصيم لحاضرتها:

أغدوهم البرزان هم والشيابين[4] ومنهم تبروا حدنا سايرني

وقال أيضًا:

وإلا عتيبة ما حلا....فاله هي والوهوب وحاضر المطران

---

(1) الذكير، الخزانة (7/ 282).

(2) ابن عيسى، عقد الدرر، ص79.

(3) عبدالله البسام، التحفة، مصدر سابق، ورقة 163.

(4) البرزان من مطير، والشيابين من عتيبة.

وفي ما يلي أضع جدولًا لخلاصة العدد الخالي من المبالغة لقوات القصيم من الحاضرة والبادية في كون المليدا، بحسب تقديراتي الخاصة:

العدد	الجهة	فترة الالتحاق	المصدر
1000	بريدة	القوة التي حاصرت الرس ثم تقدمت شمالا لمواجهة ابن رشيد	معتمدًا على المصادر الآنفة الذكر
600	عنيزة		
400	مدد من بريدة	انضموا إلى معسكر أهل القصيم قبل نشوب القتال	تقديرات خاصة مبنية على بعض الأعداد الجزئية والقرائن المذكور آنفًا
300	مدد من عنيزة		
250	مدد من بقية مدن القصيم وقراه	قبل القتال	
1000	من البادية	قبل القتال	
العدد الإجمالي 3550 مقاتلا			

رابعًا: تحرك القوات المتناحرة إلى ميدان القتال:

1- خط سير قوات حائل:

منذ انصرف ابن رشيد بقواته إلى حائل من تحت أسوار الرياض في ربيع أول عام 1308هـ أخذ يستعد لمواجهة خصمه في القصيم. وقد ذكر أحد المؤرخين قائلًا: (عندما رجع إلى حائل من الرياض أخذ ابن رشيد في إعمال الكيد لأهل القصيم واستحث العربان)[1]. وذكر مؤرخ آخر: (وتوجه (ابن رشيد) إلى حائل، ولما وصل إلى حائل أخذ يستعد لحرب أهل القصيم).[2] وكان خروجه بحسب نفس المؤرخ في شهر جماد الأولى.[3] ولعل ذلك كان في النصف الثاني من ذلك الشهر، وكان قد دخل حائل قادمًا من الرياض في شهرربيع الثاني، ولذا فقد استقام في حائل بعد رجوعه من الرياض مدة تقارب أربعين يومًا[4]، أخذ خلالها يستعد لحرب القصيم بالتسلح وجمع الحلفاء من

(1) عبدالرحمن الناصر، **عنوان السعد والمجد**... مصدر سابق، ورقة 39.

(2) عبدالله البسام، التحفة، مخطوط، ورقة 163.

(3) المصدر السابق، وانظر، ابن عيسى، بعض الحوادث، ص195.

(4) ضاري الرشيد، مصدر سابق، 112.

بادية وحاضرة. وفي مقامه ذاك حصلت مشكلة الرس، ووفد إليه (حسين العساف) مطالبًا بإمارتها. وقد ذكرنا آنفًا تفاصيل هذا النزاع.

وعلى خلفية هذا الصراع ساند ابن رشيد ذلك الأمير، وأمده بسرية لغزو الرس واحتلالها بالقوة، وفوق ذلك وعده بأنه سيلحق به، وقد وفى ابن رشيد بوعده، واستعجل الخروج بعد الأنباء التي وصلته بتحرك الإمام عبدالرحمن لنجدة أمراء القصيم[1]. لقد خرج ابن رشيد من حائل ومعه جيش كبير من حائل وقراها، ومن البادية.

وكان أهل القصيم آنذاك قد أنهوا مشكلة الرس لصالحهم، ثم عسكروا في الصعيبية. وفي مقامهم ذاك أرسلوا العيون لمتابعة حركة ابن رشيد، يقول المؤرخ القاضي في هذا الصدد: (وروحوا سبور (أي عيون) يكشفون عن ابن رشيد، هو في ديرته (حائل) أم ظاهر (خارجها) عودوا السبور، وقالوا: ابن رشيد ظهر، ثم شدوا وأخذوا وجهه)[2]. أي أن أهل القصيم تحركوا بقواتهم لاعتراض تقدم ابن رشيد إلى القصيم.

أما ابن رشيد فقد تقدم نحو القصيم ونزل عين ابن فهيد في الأسياح. ويبدو أن نزوله بها بهدف فسح المجال لحشد أكبر قدر ممكن لقواته من الحاضرة والبادية الملتحقة به. وفي أثناء نزول ابن رشيد في الأسياح نهب أغنام أهلها[3] بغرض إطعام جيشه، ثم ارتحل منها وتوجه نحو الجنوب، وعندما اقترب من بريدة انحرف إلى جهة الغرب، ونزل (القرعاء)، وكان نزوله بها ثالث جمادى الآخرة[4].

ومن خلال تأملي لخط مسار قوات ابن رشيد عندما دخل منطقة القصيم بدا لي أن وجهته الأصلية كانت الرس نجدةً لحليفه (حسين بن عساف) في محاولة لإرجاعه إلى إمارتها بعد أن طردته منها القوات القصيمية المتحالفة، إذ إن ابن رشيد قد وعد ذلك الحليف عندما أرسل معه سرية ليتمكن من استعادة إمارة الرس بالقوة، وعده بأن يكون في إثره، ولذا زحف ابن رشيد لتحقيق ذلك الوعد، وفي ظني لولا وقوف قوات القصيم في وجهه لتقدم نحو الرس، وهنا اصطدم ابن رشيد بقوات أهل القصيم التي زحفت ابتداء من أسوار الرس

(1) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 282).

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

(3) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 282).

(4) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3. والذكير، الخزانة (7/ 282).

بعد أن طردت (حسين بن عساف). وكان هدف أهل القصيم اعتراض تقدم ابن رشيد أثناء تحركه قادمًا من الأسياح، ولكنه فاتهم ونزل في (القرعاء)، بينما كان نزولهم قبالته جنوبًا في(الشقة)، وبذا أصبحت الأجواء مهيأة لحدوث مواجهة عسكرية وشيكة.

2- خط سير قوات أهل القصيم:

يمكن اعتبار أسوار مدينة الرس غرب القصيم هي نقطة انطلاق القوات أهل القصيم نحو ميدان القتال في كون المليدا، وذلك أن تلك القوات خرجت من عنيزة وبريدة وتوجهت إلى الرس في العاشر من جمادى الأول[1] عام 1308هـ لإعادة أميرها صالح الرشيد الذي طرده حسين العساف حليف ابن رشيد، وقد أدت قوات القصيم مهمتها بنجاح وأعادت أمير الرس السابق صالح الرشيد، أما حسين العساف فقد التحق بابن رشيد مغاضبًا ومستنجدًا، وفي الوقت الذي طردت فيه القوات القصيمية حسين العساف من الرس تزامن ذلك مع إقبال ابن رشيد بجيوشه إلى شمال القصيم نصرة له.

وعند منصرف القوات القصيمية من الرس بعد حسم أمرها وإرجاع الأمير السابق، في هذه الأثناء علمت قيادة جيش القصيم من خلال عيونهم وكشافتهم أن ابن رشيد أقبل إلى بلادهم، فلم يعودوا إلى حواضرهم بل استمروا في مسيرهم متجهين من غرب القصيم إلى شماله لمواجهة خصمهم المقبل عليهم.

وقبل تتبعنا لسير جيش أهل القصيم نحو ميدان القتال أودّ أن أقف للتنويه بأن مجمل المصادر التاريخية المحلية والأجنبية التي اطلعت عليها، لم تذكر انطلاق القوات القصيمية من الرس إلى ميدان القتال مباشرة، بل يفهم من ظاهر نصوصها أن خروج القوات القصيمية للقتال كان من المدن الرئيسية كبريدة وعنيزة إلى ميدان القتال مباشرة[2]، وهو ما لم يحدث.

وأستثني من هؤلاء المؤرخ (إبراهيم القاضي) وهو معاصر للأحداث حيث ذكر في هذا الصدد من التفاصيل ما أغفله غيره من المؤرخين. ورواية القاضي - عند التأمل - نجد أنها الأقرب إلى الصحة والدقة والسياق المنطقي لمجريات الأحداث، حيث رواها بسياق يوجب ما ذهبت إليه سابقًا من أن القوات القصيمية لم ترجع لحواضرها بل استمرت

(1) المصدران السابقان.

(2) حدد المؤرخ العبيّد بدقة تاريخ خروج القوات القصيمية من المدن للقتال، وهو يوم الخميس 23 جمادى الأولى. **النجم اللامع**، مصدر سابق ورقة 37.

في تقدمها من الرس إلى موضع القتال (شمالًا) لمواجهة قوات خصمهم، وذلك أن ابن رشيد بسرعة إنجاده لحسين بن عساف، ومسيره من حائل نحو القصيم قد جعل الخيارات أمام أهل القصيم محدودة، وجعل الوقت يضيق عليهم فلم يعرجوا كما هو الظاهر لي على مدنهم قبل توجههم لملاقاة جيش ابن رشيد. **وبذلك يكون مسار جيوش القصيم بعد حسم النزاع في الرس على إمارتها كالآتي: الرس ثم الخبراء ثم الصعيبية**[1] (وعسكروا فيها)[2] **وكان هدفهم من سلوك هذا المسار أمران:**

(الأول) حفظ قرى القصيم في تلك الجهات[3] من تعديات بادية ابن رشيد.

(الثاني) التروّي واستطلاع حركة ابن رشيد، إذ أرسلوا عيونهم لسبر حركته، وعندما أخبرتهم عيونهم بدخوله القصيم، تقدمت جيوشهم إلى مواجهته. فتوجهوا من الصعيبية إلى الغميس ثم البصر (وعسكروا فيه قليلًا) ثم الشقة (حيث نزلوا بها قبالة ابن رشيد في القرعاء).

وكانت قوات القصيم قد تقدمت من معسكرها في غرب القصيم، متجهة شمال شرق فاخترقت نفود الغميس ثم الغماس، حتى وصلت إلى (البصر) وهو خب عظيم يقع غربي بريدة. وقد كان رأي البعض الاحتماء بنفود البصر من غارات ابن رشيد. فقد وجدت رسالة صغيرة في جيب الأمير زامل بعد مقتله أرسلها إليه ابن عمه (علي المنصور الزامل) ينصحه بالرجوع وعدم القتال، ويشير عليه إن عزم على القتال أن لا يبرح (عداين البصر) لتحميهم من غارات ابن رشيد حتى يمل ويرجع[4]. ولكن الواضح من سياق الأحداث أن هذه النصيحة نفذت روحها في مكان آخر هو القرعاء وليس البصر، كما سنرى. وفي كل الأحوال فقد تقدمت قوات القصيم في اتجاهها ذاته (الشمال الشرقي) فتجاوزت البصر واتجهت إلى (الشقة) وعسكرت بها[5].

وإلى هنا يظهر أن هدف القوات القصيمية من خلال خط زحفها هو اعتراض قوات ابن

---

(1) الصعيبية: بإسكان الصاد المشددة منطقة رملية تقع إلى الشرق من البكيرية وفيها مزارع وآبار ومنبت جيد للغضى. انظر: محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم** (4/ 1353). بتصرف.

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

(3) مقبل الذكير، مصدرسابق (7/ 283). وسعود التركي، مصدر سابق، ص 257.

(4) رواية عبدالله العبد الرحمن البسام، الخزانة (5/ 123)، وذلك لأن هذه المنطقة كثيفة الرمال، وهي مناسبة جدًا للاحتماء بها من العدو المهاجم.

(5) إبراهيم القاضي ، مصدر سابق، ورقة 3.

رشيد التي تقدمت من شمال القصيم حيث وطئت منطقة الأسياح مخترقة (عين ابن فهيد) وعند اقتراب تلك القوات من شمال بريدة انحرفت يمينًا إلى جهة الغرب حيث نزل ابن رشيد في القرعاء أول الأمر، وهنا أوشك خطا سير تلك القوات أن يتقاطع مع خط سير قوات أهل القصيم، واقتربا فعلًا من بعضهما البعض، حيث نزلت القوات القصيمية في سبيل اعتراضها لجيش ابن رشيد في (الشقة)، ولكنه فاتهم واتجه بقواته إلى (القرعاء) فاضطرت القوات القصيمية إلى التحرك نحو جيش ابن رشيد واقتربت أكثر من منزل ابن رشيد[1] في القرعاء وتترّست برمالها الجنوبية.

3- مسير قوات الإمام عبد الرحمن لمساندة أهل القصيم:

عندما أصبح الصدام المسلح وشيكًا بين أهل القصيم وابن رشيد، أرسل أمراء القصيم يستحثون الإمام عبدالرحمن للانضمام إليهم، وسار الإمام عبدالرحمن بمن معه من آل سعود وأهل العارض، وبصحبته ابنه عبدالعزيز (الملك)[2]. ثم انضمت إليه قبيلة العجمان[3] في تلك الغزوة، وكان الهدف هو مساندة أهل القصيم في مواجهتهم المرتقبة مع قوات ابن رشيد، وبعد حادثة الرس كانت رسل أهل القصيم تترى إلى الإمام عبدالرحمن تستعجله لنجدتهم[4]، ولكن الإمام رغم استجابته لنجدة أهل القصيم وخروجه من الرياض إلا أنه تثاقل في زحفه إليهم حتى تسارعت الأحداث ووقعت الهزيمة، وهو لم يكد يقطع نصف المسافة إليهم. **فما هو الخط الذي سلكه الإمام عبدالرحمن بجيشه لنجدة أهل القصيم، ولماذا تأخر في وصوله، وأين وصله خبر الهزيمة؟**

لقد تأملت كثيرًا في مصادرنا التاريخية الأصلية فوجدتها تتضارب في رسم خط سير الإمام عبدالرحمن لنجدة أهل القصيم، فالمؤرخان إبراهيم بن عيسى وعبدالله البسام تفيد روايتهما أن خبر هزيمة أهل القصيم في كون المليدا وصل الإمام عبدالرحمن وهو في (الخفس) قرب (ملهم)، ومن هناك رجع إلى الرياض[5]. وتابعهما المؤرخ الزركلي حيث كتب: (ما كاد يصل الإمام عبدالرحمن الخفس وهو خفس العرمة

---

(1) سعود التركي مصدر سابق، ص 258.

(2) فؤاد حمزة، مصدر سابق، ص15. كان عمر الملك عبدالعزيز آنذاك لا يتجاوز بحال 14 سنة.

(3) سعود هذلول ، مصدر سابق، ص51.

(4) الذكير ، مصدر سابق، الخزانة (7/ 282).

(5) عبدالله البسام، **التحفة**، المخطوط، ورقة 163، وانظر ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص 90.

على بعد 115 كم من الرياض...)[1]. والإشكالية في الرواية السابقة أن الموضع المذكور وهو (خفس العرمة) لا يقع في طريق الذاهب من الرياض إلى القصيم، والذي ينبغي له أن يتجه شمال غرب، بينما يقع (الخفس) شمال شرق الرياض. أضف إلى ذلك أن لدينا روايات أخرى تذكر خطًا آخر لمسير الإمام عبدالرحمن يتعارض مع ما ذكرته روايتا ابن عيسى والبسام، ومن هذه الروايات رواية المؤرخ الذكير الذي نص على أن الإمام عبدالرحمن وصل الزلفى، وأن خبر هزيمة أهل القصيم وصله هناك[2].

أما المؤرخ عبدالرحمن الناصر، فيذكر أن خبر الهزيمة وصل الإمام عبدالرحمن وهو في (الجريفة) بسهل الحمادة[3] (شمال إقليم الوشم) أي قبل وصوله الزلفى، ولكن بالنظر إلى الخريطة يتبين أن الجريفة ثم الحمادة على سمت الوجهة الموصلة إلى الزلفى، وعلى هذا يمكن القول إن خبر الهزيمة وصل الإمام عبدالرحمن وهو في (الجريفة) فتقدم حتى نزل (الزلفى) ليتلقي المزيد من الأخبار عن المعركة بعد هزيمة حلفائه فيها، وفي هذا الصدد ذكرت بعض الروايات أن البعض اقترح على حسن المهنا الذي هرب بعد الهزيمة أن يلتحق بالإمام عبدالرحمن في الزلفى[4]. كما حدد الأمير سعود بن هذلول (حسي العتك)[5] للموضع الذي وصل فيه خبر هزيمة أهل القصيم إلى الإمام عبدالرحمن، وهو موضع قريب نسبيًا من مما ذكرته روايتا الذكير وابن ناصر.

بعد هذا الاستعراض لإفادة بعض المصادر نريد أن نعرف أي طريق سلكه الإمام عبدالرحمن بجيشه لنجدة أهل القصيم، ومما سبق أصبح أمامنا روايتان للطريق الذي سلكه الإمام عبدالرحمن لنجدة أهل القصيم.

[الطريق الأول] وهو يبدأ بحسب رواية ابن عيسى والبسام من الرياض إلى بلدة (ملهم)، ثم يتجه (شمالا) بانحراف يسير نحو الشرق حتى يصل (فيضة الخفس)، وهناك وصل خبر هزيمة أهل القصيم في المليدا للإمام عبدالرحمن، فرجع إلى الرياض، **وبحسب الرواية**

(1) الزركلي، مصدر سابق،1/ 56.

(2) الذكير ، مصدر سابق، الخزانة (7/ 283).

(3) ابن ناصر ، مصدر سابق، ورقة 41.

(4) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 285).

(5) سعود بن هذلول، مصدر سابق، ص51.

السابقة يمكن تأويل توجه الإمام عبدالرحمن إلى الخفس في طريقه إلى القصيم بخلاف الطريق المعتاد لسببين:

1- للتورية والتمويه على عيون ابن رشيد.

2- أن الإمام قد جعل (فيضة الخفس) كنقطة لتجميع حلفائه من البادية خاصة العجمان، لقربها من جهة قدومهم ليتحدوا معه قبل توجهه إلى القصيم.

وعلى العموم يبقى هذا في إطار التحليل والاحتمال، للجمع بين الروايات المتضاربة.

أما [**الطريق الثاني**] الذي سلكه الإمام عبدالرحمن بحسب ما استخلصناه من الروايات السابقة فهو يبدأ من الرياض، وربما مر بـ(ملهم)، ثم حسي العتك (الحسي) ثم ينحرف الطريق شمال غرب ليصل إلى (الجريفة) ثم يخترق سهل (الحمادة) مارًا بـ (الغاط) ثم يتجه إلى (الزلفي).

ويظهر لي أن هذا الطريق الثاني هو الأقرب إلى المنطق، لأنه الطريق المعتاد (التقليدي) للمتجه من العارض إلى القصيم. ولكن الروايات المتعددة التي استنتجنا منها مسار هذا الطريق، تختلف في أي مواضع ذلك الطريق وصل خبر هزيمة أهل القصيم في كون المليدا إلى الإمام عبدالرحمن وقد أوضحنا هذا آنفًا.

بعد هذا يتعين علينا معرفة سبب تأخر الإمام عبدالرحمن في نجدة أهل القصيم؟

في مستهل الإجابة عن هذا السؤال لا أظن أن من بين الأسباب عدم جدية الإمام عبدالرحمن في مساندة أهل القصيم، حيث تفيد الأخبار بأنه جمع قوة كبيرة من الحاضرة والبادية - كما يقول المؤرخون - ثم سار بهم إلى منتصف الطريق بين الرياض والقصيم. لكنه أخذ وقتًا طويلًا في زحفه ذلك، فقد قطع نصف المسافة (فقط) في نحو شهر[1]. **فما هي الأسباب المحتملة التي أبطأت بالإمام عن نجدة حلفائه في الوقت المناسب؟**

1- لا نستبعد أثرًا لحالة اليأس التي قد تكون تسللت إلى نفس الإمام عبدالرحمن فجعلته يرى صعوبة تحقيق تغيير يذكر في موازين القوى، وقد يكون للتجارب الفاشلة التي مر بها الإمام وأتباعه دور في تكريس حالة اليأس تلك، ومن الأدلة على ذلك، أن الإمام عبدالرحمن تراجع إلى الرياض بعد تلقيه خبر الهزيمة، ثم

---

(1) ابن عيسى، عقد الدرر، مصدر سابق، ص90. وانظر: الذكير، الخزانة (7/ 283).

خرج منها ولم يقاوم ابن رشيد فيها، حيث لحق ببادية العجمان. بل إن بعض المؤرخين لاحظ أن ابن رشيد لم يبادر بعد كون المليدا إلى مهاجمة الإمام عبدالرحمن الفيصل في الرياض معللًا ذلك بتيقن ابن رشيد بأن ذلك الإمام لن يصمد فيها.

2- أن تمهل الإمام عبدالرحمن ربما كان لإفساح الوقت لوصول مدد إضافي من قوات البادية أو الحاضرة للانضمام إليه.

3- عدم ثقة الإمام عبدالرحمن في صدق ولاء القبائل في البوادي التي يمكن أن تعترض طريقه إلى القصيم وتعيق تقدمه نحو هدفه.

4- ربما أن الإمام عبدالرحمن رأى أن لدى أهل القصيم القوة الكافية، وأنهم قادرون بمفردهم على حسم المعركة لصالحهم، مما جعله يتوانى في اللحاق بهم.

وفي كل الأحوال كان ابن رشيد قد بث عيونه لرصد حركة الإمام عبدالرحمن ومن معه، ولذا كان يستعجل الاشتباك مع أهل القصيم قبل وصول قوات ذلك الإمام إليهم فيستقوون به ويتوحدون تحت قيادته[1].

---

(1) عبدالله بن عبدالرحمن البسام، **الخزانة** (5/ 121).



الفصل الرابع

المناوشات والأعمال القتالية
قبل كون المليدا

(الحرب هي تسلية الزعماء الوحيدة
التي يسمحون لأفراد الشعب مشاركتهم فيها)

برغسون فيلسوف فرنسي

أولًا: المناوشات المسلحة الأولية:

بعد أن استقر ابن رشيد في القرعاء (شمالًا)، وأهل القصيم في الشقة (جنوبًا)، يظهر من حالهم أنهم لم يكونوا جاهزين للقتال، حيث كان الكل منهما ينتظر مددًا سيأتيه، فأهل القصيم كانوا ينتظرون جيش الإمام عبدالرحمن الذي بلغهم خروجه من الرياض فعلًا. ولذا كانوا يتحاشون الصدام مع ابن رشيد قبل وصول الإمام عبدالرحمن. أما ابن رشيد فكان خلاف ذلك يستعجل الصدام قبل وصول الإمام عبدالرحمن لنجدة أهل القصيم[1]. إلا أنه كان ينتظر مددًا إضافيًا من مقاتلي البادية، لكن هذا المدد لم يقدم عليه إلا بعد هزيمته في معركة القرعاء.

وفي هذه الظروف اضطر أهل القصيم إلى التحرك من الشقة ليكونوا في مواجهة ابن رشيد في القرعاء، ولكنهم حافظوا على موقع متميز داخل رمال القرعاء التي يصعب فيها استخدام الخيل، ما أفقد ابن رشيد القدرة على استخدام سلاح خيالته الذي كان أهم عناصر القوة في جيشه.

(1) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 282).

وأمام هذا الوضع المتحفز والمتوتر جدًا، كان أهل القصيم يتظاهرون بقتال محدود ومناوشات خفيفة[1] تمضية للوقت حتى يستكمل حلفاؤهم الانضمام إليهم، وقد فطن ابن رشيد لمقصدهم، فلم يمهلهم لكي لا يعطيهم المزيد من الوقت لتحقيق هدفهم فزحف عليهم وقاتلهم[2]، في ما عرف بمعركة القرعاء.

وكان تسرّع ابن رشيد في إنشاب القتال في هذه المعركة مع أهل القصيم قد أضر به كثيرًا؛ لأنه دخلها ولم تكن الظروف مهيأة له، فتضاريس ميدان القتال لم تكن مواتية لفرسانه بسبب الرمال الكثيفة غير المناسبة لطراد الخيل، كما أن جيشه لم يكتمل على النحو الأفضل، ولذا مني بهزيمة في هذه المواجهة الأولى. والتي وقعت بينهما معركة القرعاء في اليوم الثالث من جمادى الآخرة عام 1308هـ. كما سيأتي بيانه.

ثانيًا: معركة القرعاء[3]:

تاريخها: تعتبر معركة القرعاء الجولة الأولى التي سبقت كون المليدا في إطار المواجهة العسكرية الشرسة بين أهالي القصيم وجيش بن رشيد. **وقد وقعت معركة القرعاء يوم الأربعاء[4] الثالث من شهر جمادى الآخرة[5] عام 1308هـ.** وذلك قبل المليدا بعشرة أيام.

تمركز قوات الطرفين قبل القتال:

اختلف المؤرخون في مواضع تمركز الجيشين قبل القتال في القرعاء، فالمؤرخ إبراهيم القاضي يروي أن ابن رشيد نزل القرعاء بخيله وجيشه والثوى وراه [6]، وأن أهل

---

(1) عبدالرحمن الناصر، مصدر سابق، ورقة 39.

(2) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 283).

(3) القرعا: قرية زراعية قديمة العمران في ناحية الجواء، وتقع شمال بريدة على بعد 23 كم. وكان في القرعا برج مبني من الحجارة (مرقب)، وإذا صعده المرء يشاهد ما حول منطقة القرعا بصورة واضحة، ولا أستبعد أن أحد الجيشين استفاد من هذه الميزة. كما أفاد دليل الخليج البريطاني أن بها ألف منزل، وهي قسمان أحدهما شمالي يسمى (قصر الحويطي)، ويوجد قريب منها بحيرة مملحة على بعد ميلين من القرعا. انظر: محمد العبودي ، **معجم بلاد القصيم** (1935/5) ، وتركي القهيدان، القصيم تاريخ وحضارة (407/2).

(4) محمد أبا الخليل، **في تاريخ أبا الخليل**، ص 49.

(5) عبدالله البسام، مصدر سابق، ورقة 163. وابن عيسي، **عقد الدرر**، ص89. وعبد الرحمن الناصر، مصدر سابق، ورقة 39. وإبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

(6) ومعنى (الثوى وراه) أي أن أثقال الجيش من خلفه تتبعه.

القصيم نزلوا الشقة [1]، قبل نشوب القتال. أما المؤرخ ابن ناصر فقد ذكر أن ابن رشيد نزل (غضي) بينما نزل أهل القصيم (القرعاء)[2]. وأنا أميل إلى رواية المؤرخ القاضي لأنه معاصر للحدث ومن أهل القصيم ، وبالتالي فهو أعلى سندًا ممن سواه. وبهذا فإن أهل القصيم قد نزلوا الشقة قبل وصول ابن رشيد إلى القرعاء، وعندما قدم عليهم قادمًا من عين ابن فهيد تجنبهم وتوجه إلى شمال القرعاء فتحركوا هم لمواجهته فنزلوا جنوب القرعاء وتحصنوا برمالها.

القتال في القرعاء:

ويظهر أن ابن رشيد كان مستعجلًا ومتحفزًا لمسابقة جيش القصيم إلى ميدان القتال قبل وصولهم إليه في القرعاء بعد تحركهم من الشقة، وتدل على ذلك عبارة المؤرخ إبراهيم القاضي إذ قال (نزل ابن رشيد القرعاء بخيله وجيشه، والثوى وراه)[3]. أي أنه تقدم مسرعًا تاركًا مؤخرة الجيش وفيها أثقاله لتلحق به. أما أهل القصيم فقد تحركوا بقيادة أمير بريدة حسن المهنا وأمير عنيزة زامل السليم، بمن انضم إليهم من قبائل البادية[4] ونزلوا قبالته.

وقبل نشوب القتال حدثت مناوشات محدودة، إذ لم يكن أهل القصيم على عجلة من أمرهم[5]، لأنهم كانوا يرون صالحهم في عدم إنشاب القتال جملة واحدة، طمعًا في وصول مدد الإمام عبدالرحمن حتى ينضم إليهم، ولذا فقد أخذوا أيامًا يتظاهرون بالقتال كما قال المؤرخ ابن ناصر[6]. ولكن ابن رشيد فطن إلى خطة جيش القصيم،بغية كسبهم لمزيد من الوقت، فعاجلهم بإنشاب القتال العام، واستمر القتال إلى الليل[7].وفي وصف القتال قال المؤرخ إبراهيم القاضي (فتواجهوا هم وإياه في ثالث جمادي الثاني وتكاونو كون جيد)[8]. وتوحي العبارة الأخيرة للمؤرخ القاضي بأن شدة القتال كانت

---

(1) إبراهيم القاضي، تاريخه المخطوط، ورقه 3.

(2) ابن ناصر مصدر سابق، ورقة 39 و4.

(3) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

(4) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص89.

(5) الذكير ، **تاريخه**، الخزانة (7/ 283).

(6) ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة 9.

(7) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 283).

(8) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 3.

درجتها متوسطة، فلم يكن رخوا ولم يكن القتال شرسًا بل كان (كونًا جيدًا) كما قال. وفي كل الأحوال فقد انتصر أهل القصيم في هذه المواجهة على جيش ابن رشيد، حيث قال المؤرخ نفسه: (ثم انكسر ابن رشيد، وطق ساقته، ولم يغنم من أهل القصيم شيئًا)، ثم قال إن ابن رشيد بعد الهزيمة تحرك ونزل غضي (شمالاً). وقال المؤرخ ابن ناصر: (فصارت الدائرة على ابن رشيد)[1].

إذًا فقد مُني ابن رشيد بخسارة غير متوقعة في المواجهة الأولى على أرض القرعاء أمام قوات أهل القصيم، رغم أنه استخدم ضدهم المسيوق، ولكنهم واجهوه بكثافة نيران بنادقهم فقد ذكر (سليمان بن رشدان)، وهو ممن حضر القتال مع جيش حائل حيث ذكر: أن ابن رشيد استخدم المسيوق في وقعة القرعاء ضد القصمان، ولكنه لم يضرهم، لأنهم واجهوه بهجوم معاكس فعقروا بعض النوق بسيوفهم، وعقلوا البعض الآخر ثم قابلوهم بهجوم عنيف، وظلت المعركة دائرة بالسلاح الأبيض حتى تم لهم النصر[2].

كما أشار البارون نولده - الذي قابل ابن رشيد بعد عامين من وقوع المعركة - إلى اندحار ابن رشيد فيها، وقال إن الأمير وهو في حالة من اليأس شن هجمات ليلية على مواقع عنيزة، ولكن لم ينتج منها إلا عدد قليل من القتلى[3]. ومما يدل على شراسة القتال في القرعاء أن مقاتلي القصيم قد استطاعوا الوصول إلى قلب الجيش الرشيدي، وقتل حامل بيرق ابن رشيد (مبارك الفريخ)، وعندما كاد البيرق أن يسقط تقدم ابنه عبدالله الفريخ وحمل البيرق، وأبقى عليه مرفوعًا محافظًا على شرف قومه، وكان في مقتبل العمر[4].

القتلى في معركة القرعاء: أسفرت معركة القرعاء عن عدد محدود من القتلى في الطرفين، فابن ناصر[5] يذكر أن قتلى ابن رشيد بلغوا (85 رجلًا)، بينما بلغ قتلى أهل القصيم (15 رجلًا). ولكن المصادر لم تذكر لنا أسماء القتلى من الطرفين سوى القليل

(1) ابن ناصر ، مصدر سابق، ورقة (39/ 40).

(2) فهد المارك، **من شيم العرب** (3/ 112).

(3) البارون نولده، رحلته، تعريب عوض البادي، ص87، ورغم غموض وصفه إلا أنه يؤيد ما جاء في مصادر التاريخ المحلي عن هزيمة ابن رشيد.

(4) لويس موسيل، **آل سعود**، مصدر سابق، ص128، أبقى ابن رشيد عبدالله الفريخ في منصب أبيه (مبارك) كحامل للبيرق لفترة طويلة امتدت لعقود تالية.

(5) ابن ناصر، مصدر سابق، ص39 - 40، وقد انفرد بهذه الإحصائية دون سواه من المؤرخين.

جدًا[1]. وبنظرة سريعة للتباين الواضح بين عدد القتلى في الجانبين نعلم مدى التفوق الذي حققه مقاتلو القصيم في معركة القرعاء أمام قوات حائل.

ومن الأسباب التي أسفرت عن هزيمة ابن رشيد في معركة القرعاء:

- لم يدخل ابن رشيد هذه المواجهة بكامل لياقته العسكرية، إذ إن باديته لم تكن قد استكملت الانضمام إليه، بخلاف ما حصل في المليدا- بعد ذلك- إذ انضمت إليه أمداد كثيفة من البادية.
- أن ابن رشيد دخل هذه الحرب وهو مستقل بقدرة أهل القصيم العسكرية مستضعف لهم، واثق من النصر عليهم، فلم يصدق ظنه.
- ومما أضر بابن رشيد أنه أراد حسم المعركة على عجل قبل وصول الإمام عبد الرحمن إلى أهل القصيم، فدخلها من دون تعبئة وخطة محكمة. وقد أشار حمود العبيد الرشيد إلى هذه الهزيمة بقوله:

الله يعاونا ولو هم قويين   اللي نصر موسى على الكافرين

- أن ابن رشيد لم يستطع استخدام سلاح الخيل[2] في المواجهة، إذ حالت الطبيعة التضاريسية دون طراد الخيل للخصم، حيث كانت أرضية المعركة رملية يصعب على الخيل الكر والفر فيها.
- إعدام مقاتلي القصيم للمسيوق الذي أرسله عليهم ابن رشيد، ما قلل من فعاليته المتوقعة في تحقيق تفوق عسكري لقوات ابن رشيد على خصومه، يقول حمود العبيد الرشيد:

ثار الدخن بغضي[3] بين الفريقين   والبل ساقوها عليه الكميني

- أن أهل القصيم قاتلوا خلف متاريسهم في أرض رملية، ما عزز قدرتهم على المحافظة بثبات على موقعهم، حيث نجحوا في تحييد سلاح فرسان جيش حائل.

---

(1) ابن عيسى، الخزانة، 2/ 258. عبدالله المحمد البسام، **التحفة**، مصدر سابق ورقة 163.

(2) الذكير، **تاريخه**، الخزانة 7/ 283.

(3) لم تقم بغضي معركة تذكر، وبالتالي لم يستخدم فيها المسيوق، ولعل الشاعر خلط بين القرعا وغضي وظنهما موضعًا واحدًا، خصوصًا أنهما متجاوران.

وقد ذكر أحد الباحثين المعاصرين (قبل نحو 30 سنة) أن متاريس أهل القصيم يوم القرعاء لا تزال باقية[1] على الجال الغربي من القرعاء تجاه المليدا وتعرف بالمتاريس بين الأهالي[2].

ثالثًا: الموقف العسكري قبيل كون المليدا:

ذكرنا آنفًا مجريات القتال في القرعاء بين أهل القصيم وابن رشيد وحلفائه، ورأينا كيف انتهت تلك المعركة لصالح أهل القصيم، ورأينا كذلك أن ظروف القتال لم تكن مواتية للطرفين - بصورة عامة - عندما دخلا تلك المواجهة في القرعاء.

وبعد هزيمته في القرعاء تحرك ابن رشيد بقواته من القرعاء واتجه غربًا ونزل موضع يسمى (غضي)، وهو موضع يبعد عن منزله في القرعاء بمسافة تقارب (5 كم). ونزل شمال ذلك الموضع[3]، وعن سبب تحركه من القرعاء إلى منزله الجديد في(غضي)، أشارت المصادر المحلية إلى أنه بعد معركة القرعاء وصلت إليه أمداد كثيرة من البادية فتقوى بها ابن رشيد[4] من شمر وحرب والظفير وعنزة[5]. وقد وصل إليه ذلك الإمداد قبل أن يتحرك من معسكره في القرعاء، فاستدعى أركان حربه من الحاضرة والبادية ليطلب مشورتهم بعد النكسة التي أصيب بها في معركة القرعاء. ومما قال لهم في مجلسه (وش ترون أنا ما ناب مصابر هالربع (أهل القصيم) هم على جال ديارهم، وأنا كل شيء نقال)[6]، ويفهم من كلام ابن رشيد أنه يصعب عليه مطاولة أهل القصيم، لأن خطوط إمداداته طويلة وكل ما يحتاجه ينقل إليه من بعيد وأن ليس من مصلحته - والحالة هكذا - إطالة أمد المواجهة، بينما خصومه أهل القصيم في بلادهم، وبالتالي فخطوط إمدادهم قريبة وقصيرة.

وفي هذا الصدد يقول (الرحالة الروسي نولده) عن إمدادات المعركة لدى الطرفين، إن أهل القصيم كانت خطوط إمدادهم في حالة جيدة، وإنهم مستعدون منذ وقت طويل لمثل هذه المواجهة الشرسة. ثم قال عن إمدادات ابن رشيد إن عليها أن تقطع (200 كم)

---

(1) يعود هذا الكلام إلى عام 1404هـ على أقل تقدير.

(2) صالح الوشمي، **الجواء**، إصدار الرعاية الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1404، ط1، ص42.

(3) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة4.

(4) ابن عيسى، تاريخه، تحقيق البسام (4/ 1135).

(5) المصدر سابق (4/ 1135)، عبدالرحمن بن ناصر، مصدر سابق، ورقة40. **تاريخ ابن عيسى**، الخزانة (2/ 258).

(6) إبراهيم القاضي ، مصدر سابق، ورقة 4.

في أقرب نقطة لها، وأن الماء كان ينقل على الإبل إلى المعسكر ليل ونهار، واستخدمت آلاف الإبل لإحضار المؤن.[1]

وبعد أن طلب ابن رشيد المشورة، استمع لرأي كبار العربان كما يقول المؤرخ القاضي، إذ قالوا له: (أهل القصيم في حصون ولا للخيل ميدان، وأنت قوتك خيل وإن زرتهم عوروك لكن شد واستقبل[2]، وكان ما لحقوك فعندك قرايا القصيم البكيرية وما عداه قبلة، وإن كان لحقوك فأظهرهم للخد الزراج)[3]. وقد اختلف الرواة والمؤرخون في من هو صاحب الرأي في ارتحال ابن رشيد من القرعاء ومهاجمة قرى القصيم الغربية، فبعض المؤرخين نسبها إلى كبار رجال البادية من دون أن يحدد اسمًا أو قبيلة بعينها، فالمؤرخان القاضي والذكير، تحدثا أن المشورة جاءت من كبار العربان (البادية)، ولم يعينا اسم صاحب المشورة ولا قبيلته.[4] أما المؤرخ ابن ناصر فقد ذكر أنه بعد معركة القرعاء قدم على ابن رشيد آل جربا وآل سويط، وأشاروا عليه أن يترحل ويقصد الضلفعة[5]. وبالإضافة إلى ذلك ذكر بعض المعاصرين أن شيخ السويط قال لابن رشيد: أهل القصيم شجعان ولكن لا رأي لهم في الحروب، فأنت ناوشهم على الحرب وانسحب كأنك مهزوم[6]. ولكن الرواية السائدة الأشهر هي التي تنسب المشورة بتغيير موضع القتال إلى(ضيف الله الذويبي الحربي)[7]والذي أدلى بمشورته على النحو الذي ذكره المؤرخ القاضي، وذلك بجر مقاتلي القصيم إلى أرض صالحة لطراد الخيل واستدراجهم بضرب القرى الغربية للقصيم لتحفيز مقاتلي القصيم لملاحقة الجيش الرشيدي لإخراجهم من الرمال المتحصنين فيها.

وفي كل الأحوال فقد أُعجب ابن رشيد بهذه النصيحة الثمينة وأدخلها حيز التنفيذ، فارتحل من القرعاء إلى غضي وأقام معسكره شمالها. ووضع خطة عسكرية تعتمد على المشورة السابقة، وأخذ في تطبيقها على مرحلتين: (الأولى) الارتحال من القرعاء إلى

---

(1) نولده، رحلته، ص77.

(2) أي تحرك باتجاه القبلة وهي جهة الغرب.

(3) إبراهيم القاضي، المصدر السابق، ورقة 4.

(4) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. الذكير ، مصدر سابق، الخزانة (7/ 283).

(5) ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة 4.

(6) الشيخ عبدالله البسام، الخزانة (5/ 119).

(7) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق، ص264، نقلًا عن رواية جمعان بن صخيير الغرابي السالمي.

غضي حيث أقام شمالها.[1] وبعد ثلاثة أيام تبعه أهل القصيم فنزلوا قبالته في جنوب غضي[2]. وبهذا أصبح الجيشان (مجددًا) في مواجهة بعضهما البعض واستقاما على هذا الوضع لمدة تزيد عن سبعة أيام[3]، ولم يحدث بها قتال سوى مناوشات خفيفة بينهما[4].

وكان من أهداف ابن رشيد المحتملة من هذا التحرك نحو غضي بعد المشورة السابقة:

1- رغبة ابن رشيد في تعزيز ورفع معنويات جيشه المهزوم في معركة القرعاء.

2- إعادة انتشار قواته، خصوصًا مع وصول إمدادات كثيرة من البادية بعد معركة القرعاء.

3- البحث عن مواقع مناسبة للقتال واستطلاع أفضلها.

4- إعادة ترتيب خططه العسكرية، وفتح المجال للتشاور مع أركان حربه.

5- لم يرد ابن رشيد أن يكون قريبًا من معسكر أهل القصيم، فاختار أن يرتحل ليضمن سرية اتصالاته وحركاته العسكرية، بعيدًا عن عيونهم.

6- تحسب ابن رشيد لهجوم مباغت قد يشنه أهل القصيم، بسبب الروح العالية التي كسبوها بعد نشوة النصر في معركة القرعاء.

وبعد ذلك ارتحل ابن رشيد بجيوشه من (غضي) لتفعيل (الجزء الثاني) من خطته العسكرية، لجر أهل القصيم إلى أرض صالحة لمطاردتهم بالخيل الذي هو عصب جيشه. وكانت وجهته غربًا إلى أرض المليدا الواسعة حيث نزل في الضلفعة في أقصى شمالها[5]، وهنا اكتشف أهل القصيم خطته، وبان لهم هدفه من النزول في تلك الجهة، فوقع الخلاف بين أركان تلك القيادة حيال التصرف المناسب لمواجهة ابن رشيد بحسب معطيات خطته الأخيرة.

ف (الرأي الأول) كان يتزعمه (حسن المهنا) أمير بريدة، والذي كان يرى الاستمرار في

---

(1) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 283).

(2) تاريخ ابن عيسى، تحقيق أحمد البسام.

(3) إبراهيم القاضي، ورقة 4. ومقبل الذكير ، الخزانة (7/ 283).

(4) الذكير، الخزانة (7/ 283).

(5) سنأتي على تفصيل الموطن الذي نزل فيه ابن رشيد قبيل المليدا.

مطاردة ابن رشيد واستثمار النصر الذي حققه أهل القصيم في معركة القرعاء، وربما رأى أصحاب هذا الرأي أن حركة ابن رشيد بعد تلك الهزيمة وانتقاله من موضع إلى آخر هو نوع من الهروب أو الانسحاب، ما قد يفسر على أنه إعلان عملي لضعفه، هكذا توهم فريق من أهل القصيم، إلا أن الأحداث التي تلت ذلك أثبتت أن هذا الفريق جانبهم التصرف الحكيم عندما اعتمدوا على حسابات خاطئة لتفسير حركة ابن رشيد، ما جعلهم يبتلعون الطعم ويخرجون من مأمنهم.

أما (الرأي الثاني) والذي تزعمه أمير عنيزة (زامل السليم) فكان يرى الاكتفاء بالإنجاز الذي حققه أهل القصيم في معركة القرعاء، وأن أي عمل متسرع بملاحقة ابن رشيد سيفسد ذلك الإنجاز، كما أن أصحاب هذا الرأي فطنوا إلى هدف خطة ابن رشيد بإعادة انتشار قواته غربًا، وأنها خطة استدراجية لإخراج أهل القصيم من متاريسهم والمنطقة الرملية التي تحميهم من هجوم خيالة ابن رشيد. ومن هنا وقع جدال بحسب كثير من الروايات المدونة والشفهية بين أنصار كل فريق من الرأيين السابقين، ويظهر أن لكل فريق وجهة نظر معتبرة عند المؤيدين له.

فـ (الفريق الثاني) كان يرى عدم الانجرار وراء إغراءات نصر القرعاء والتفطن إلى خطورة ملاحقة ابن رشيد الذي يريد أن يكشف أهل القصيم أمام سلاح خيالته في ميدان منبسط وفسيح، وكانوا يرون أن المطاولة في صالحهم، ومضرة بابن رشيد وحلفائه[1]، وذلك للأسباب الآتية:

1- أن خطوط إمداد ابن رشيد طويلة وبعيدة، وأن إطالة أمد المصافة ليس في صالحه.

2- أن أهل القصيم بحاجة إلى تأجيل المواجهة الحاسمة انتظارًا لوصول قوات الإمام عبدالرحمن لتنضم إليهم.

3- أن أهل القصيم من حيث خطوط المساندة كانوا في مركز قوة وثقة، فهم يعسكرون على أرضهم، وبجوار حواضرهم وقراهم فخطوط إمدادهم قريبة.

ولكن (الفريق الأول) على الرغم من اقتناعه بوجاهة مبررات (الفريق الثاني) كان يرى المسألة من زاوية أخرى لا تقل وجاهة عن مبررات الفريق المقابل. فأثناء مقام القوات

---

(1) الذكير، مصدر سابق، (7/ 283).

المتحاربة في تلك الجهات، شكّل جيش ابن رشيد ضغطًا عسكريًا مباشرًا على القرى الغربية للقصيم (البكيرية وما حولها)، حيث أطلق ابن رشيد يد البادية في تلك المزارع والبلدات تسلب وتنهب وتضايق الرعاة والمزارعين. حتى ضج الأهالي وقدمت وفودهم إلى معسكر الأمير حسن المهنا – صاحب الولاية العامة عليهم – يطالبونه بكف أذى ابن رشيد وبواديه عن أنفسهم ومزارعهم، أو الإذن لهم بمسالمة ابن رشيد والدخول في طاعته.

والحق أن اعتداء جنود وحلفاء ابن رشيد على سكان القرى الغربية للقصيم كان من ضمن خطته بعد معركة القرعاء، وذلك لاستفزاز جيش أهل القصيم للدفاع عن تلك القرى وإخراجهم إلى ميدان مكشوف للنيل منهم. وأمام هذا الوضع الحرج لم يجد الأمير حسن مفرًا من الاستجابة لصرخات الأهالي في غرب القصيم، فرأى من واجبه مواجهة ابن رشيد وكف يده عن أذية رعاياه في تلك الجهات.

وفي النهاية انتصر رأي الفريق الأول على رأي الفريق الثاني، وبذلك لم يجد الفريق الثاني مفرًا من الحفاظ على وحدة الصف والهدف والإذعان لخطة الفريق الأول على مضض، ولكن الجميع دفع الثمن غاليًا جدًا وفق ما أسفرت عنه الأحداث فيما بعد.

ولكن لماذا انتصر رأي (الفريق الأول) على رأي (الفريق الثاني)؟

1- أن الأمير حسن المهنا كان بمثابة القائد العام لقوات القصيم، وبهذا الاعتبار كانت له اليد العليا وله الكلمة الأخيرة الفاصلة، وأن أصل الصراع كان بينه وابن رشيد مباشرة، فالحرب حربه.

2- أن رأي الأمير زامل السليم كان ملزمًا لفئة محدودة من قوات القصيم، هي قوة عنيزة فقط.

3- أن مسؤولية الأمير زامل السياسية كانت محدودة في إمارة عنيزة وتوابعها، وتلك الجهات كانت بعيدة عن الضرر المباشر لهجمات قوات ابن رشيد وحلفائه من البادية، وأن المتضررين هم من أتباع أمير بريدة، ومسؤولية حمايتهم ورد الأذى عنهم تقع على كاهله بالدرجة الأولى.

4- أن الحالة النفسية المستفزة والحماسية كانت مسيطرة على مقاتلي القصيم عامة، وبالتالي كان لها دور كبير في تصاعد السلوك الغوغائي المتحفز على منطق العقل والحكمة ومتطلبات التصرف السليم.

رابعًا: جهود مساعي الصلح بين الفريقين:

عندما تطل الفتنة بين الأخوة برأسها لا يعدم المجتمع فئة من العقلاء والحكماء ينهضون بعمل صالح وهمة عالية يسعون بها إلى رأب الصدع ونزع فتيل الأزمة وكف اليد عن حمل السلاح ، ولكن لا ريب أن قدرة تلك المساعي على إحداث تأثير في الأطراف المتصارعة تتوقف على البدء في التوقيت المناسب لتلك الجهود، وعلى مدى رغبة المتخالفين أنفسهم في قبول صوت العقل والحكمة. وفى كون المليدا يمكننا تلمس بعض الجهود المتفرقة عبر إشارات من هنا وهناك. وكانت جهود المصلحة قد انطلقت وفق دوافع وحيثيات تتلخص في الآتي:

1- أن الحرب كريهة، والفتنة شر على جميع الأطراف المتحاربة.

2- أنه يجب حقن الدماء، لأن المتقابلين بسيوفهما كلهم أخوة يجمعهم الإسلام والوطن الواحد.

3- أن القصيم وأهله غير قادرين على مواجهة قوات ابن رشيد، وذلك لاختلال التوازن العسكري بينهما، والتفوق النوعي العسكري الذي كانت تتمتع به قوات حائل.

4- أن القصيم سيقع لا محالة في قبضة ابن رشيد سلمًا أو حربًا، فليكن سلمًا مع الحصول على أفضل الشروط لحفظ الأنفس والأموال والكرامات.

1) مسعى الوجيه عبدالله بن عبد الرحمن البسام: كان الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام عينًا من أعيان عنيزة بل في نجد، وكان مخلصًا لبني وطنه ويسعى إلى البحث عن الصالح لهم في هذه الأزمة. ولذا نراه يستميت في بذل النصح للأمير زامل السليم لتجنب الحرب. ولكن الأمير زامل لم يستجيب، مبررًا موقفة بوجهات نظر عدة، من أغربها أنه سيخرج للإصلاح بين الطرفين، يقصد ابن رشيد وحسن[1]. ولو أخذنا حجة الأمير زامل ـ في نيته للخروج- على مأخذ الجد لاعتبرنا نيته تلك من ضمن جهود الإصلاح التي نحن بصدد الحديث عنها.

2) جهود بعض رجال البادية: كان للعقلاء والحكماء من البادية دور في بذل النصح والسعي في المصالحة لنزع فتيل الحرب ، ومن هؤلاء الشاعر فجحان الفراوي المطيري،

---

(1) عبد الله البسام، الخزانة (5/ 117، 121).

الذى كان طرفًا محايدًا ، فسمح له حياده في لعب دور المصلح بين الطرفين يقول في قصيدة له:

بغيت اعاون ذا وهذا على ذاك ولو ماحضرته في يدي في لساني
ذكرت نو الخير من ذا وذولاك وهودت عن رأي العرب في مكاني

ومما جاء في قصيدته تلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ما يثبت لنا الجهد الذي بذله الشاعر فجحان معتمدًا على صداقته المتوازنة لأطراف الحرب لوقفها:

عز الله انا يا ابوصالح نصحناك ولا طعت عقال الرجال الذهانِ
طاوعت من لا سر عينك ودهواك واليوم حطك في محل الهوانِ
طاوعت شور ابليس وابليس غواك وطاوعت شور مشرذمين الاذانِ

و نستفيد من الأبيات السابقة أن جهود المصالحة لم يقم به هذا الشاعر منفردًا بل يظهر أن معه غيره، بدليل قولة (ولا طعت عقال الرجال الذهانِ) فالتعبير هنا جاء بالجمع، ما يدل على وجود أكثر من طرف ناصح للأمير حسن المهنا بتجنب الحرب.

3) **علي المنصور الزامل**: وهو من أقرباء الأمير زامل السليم، ولكنه لم يشارك في القتال لكبر سنه وزهده، كما يظهر من الرواية التي ذكرها الشيخ عبدالله البسام[1]، وتفيد الرواية: أن رجال ابن رشيد وجدوا رسالة في جيب الأمير زامل وهو قتيل من علي المنصور الزامل. وملخص ما فيها أنه ينهاه عن الحرب وينصحه بالرجوع إلى عنيزة، وبيّن له أنه لا يستطيع مقارعة قوة ابن رشيد الذي معه خيل كثير يستطيع النجاة بها عند الهزيمة، وأنك لا تستطيع أن تدرك ثأرك منه. وقد نصحه إن أبى الرجوع وترك خيار الحرب بالتحصن في رمال البصر(خب البصر) وهي تقع غرب بريدة.

4) **وساطة الشيخ قاسم آل ثاني**: كان الشيخ قاسم آل ثاني قد اتبع سياسة متوازنة مع أطراف الصراع في نجد، حيث كان له قدر كبير من الاحترام لدى الأوساط السياسية في نجد آنذاك. ولذا حاول السعي في الوساطة بين آل سعود وآل رشيد لحل النزاع سلميًا، وبحسب المصادر البريطانية فإن شيخ قطر عرض صلحًا بين الإمام عبدالرحمن والأمير محمد ابن رشيد يقوم على فكرة أن يحتفظ كل طرف منهما بما تحت يده من البلدان،

(1) عبدالله البسام، الخزانة (5/ 123).

وتقف الحرب بينهما، مع إظهار الإمام عبدالرحمن الطاعة لابن رشيد[1]. ولكن هذا العرض لم يلق قبولاً من الأطراف المعنية، ربما نظرًا لعدم واقعيته

5) هل كان الإمام عبدالرحمن مرشحًا محتملاً كوسيط للمصالحة بين طرفي القتال؟

رأى البعض أنه من المحتمل أن يكون للإمام عبد الرحمن دور في توحيد القيادة لجيوش القصيم أمام قوات ابن رشيد، لو أنه وصل فعلاً إلى ميدان القتال قبل المعركة، كما قد يكون له دور في المصالحة بين الطرفين[2]. وهذا الاحتمال مردود عليه لأمرين:

1- كيف نتصور أن الإمام عبد الرحمن يمكن أن يلعب دور المصلح بين الطرفين، وهو طرف أصيل فيها، بل هو منحاز لجانب دون آخر، بل كيف يمكن أن يسعي في الصلح وهو قد ساق جيشًا لغرض قتال ابن رشيد مناصرة لحلفائه أهل القصيم.

2- أنه رجم بالغيب، لأن الإمام عبدالرحمن الفيصل لم يفعل، بل لم يصل إلى أرض المعركة وكان بعيدًا عنها.

---

(1) سطام الحربي، الدور السياسي للإمام عبدالرحمن الفيصل 1288 ـ 1320هـ، رسالة ماجستير غير منشورة. ويبدو أن هذا العرض قد جرى في الفترة التي تقع بين معركتي المليدا وحريملاء.

(2) المصدر السابق (5/ 121).

الفصل الخامس

كون المليدا[1]

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضري إذا ضريتموها فتضرم

زهير بن أبي سلمى

أولًا: مجريات القتال في كون المليدا:

تاريخ القتال: أجمع المؤرخون في المصادر المخطوطة أن كون المليدا وقعت في عام 1308هـ بلا خلاف بينهم. وأجمعوا كذلك أن القتال وقع يوم السبت الثالث عشر من جمادى الآخرة[2]. وقد جاء تاريخ المعركة وفق حساب الجُمّل بالفصحى بقول من قال:

لقد قلت لما فات ما فات وانقضى   (تحذر) فإن البغي شر قرين[3]

(تحذر=1308) حيث إن (ت=400) و(ح= 8) و(ذ=700) و(ر=200)

(المجموع=1308هـ)

ومن الشعر العامي، جاء تاريخ المعركة بحساب الجُمّل كالتالي:

ألا لا عدت يا يوم علينا   نهار السبت شهر جماد ثاني
(دجا غش) وسم الحال والبة   سنة ألف وثلاث مع ثماني[4]

(1) تكتب المليدا بألف ليس في آخرها همزة، والمليدا تصغير (الملدا).

(2) إبراهيم القاضي، تاريخه المخطوط، ورقة 4. عبدالله المحمد البسام، **التحفة**، طبعة الدارة، مصدر سابق، ورقة 200. أوراق مؤرخ مجهول ، تحقيق عبدالعزيز الفرهود، ص18، ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص 89.

(3) عبدالله البسام، **التحفة**...طبعة الدارة، مصدر سابق، ص200.

(4) إبراهيم القاضي ، مصدر سابق، ورقة 4.

(دجا غش=1308) حيث إن (د=4) و(ج=3) و(أ=1) و(غ =1000) و(ش=300)

(المجموع = 1308هـ)

وبحسب التاريخ الميلادي فقد وقعت المعركة في 21 يناير (كانون الثاني) عام 1891م[1].

وكان وقوع القتال في فصل الشتاء في شهر شباط/ فبراير، حيث كان الطقس باردًا، يقول الشاعر عيادة بن منيس الشمري؛ وهو أحد شهود المليدا:

(بالأتوام)[2] وعقاب الجبل قايد لنا (وبالشبط) اللي قدت ليالي برودة

وقت القتال:

إلتحم القتال في كون المليدا في الصباح، وامتد إلى ما بعد ظهر ذلك اليوم، كما نقله طائفة من المؤرخين[3]. وربما امتد إلى قبيل الغروب كما جاء شعرًا في قصيدة نورة الهطلاني:

حيث إنه يذكر به الحرب صارا حزت غروب الشمس يضرب بالأوصاف

ومما يعزز التوقيت الذي جاء في البيت السابق ما ذكره المؤرخ الذكير، فقد قال: (وكانت الهزيمة في آخر النهار مع إقبالة الليل)[4]. كما روى أحد المؤرخين أن أهل القصيم في نهار يوم القتال في المليدا أقاموا صلاتي الظهر والعصر قصرًا وجمعًا، جماعات وأفرادًا[5].

موضع القتال:

(المليدا) هي أرض مستوية واسعة تقع شمال غرب القصيم، وتتألف من(المليدا الشمالية)، وهي أوسعها وأشهرها وأرضها مستوية بها رمل خفيف. و(المليدا الجنوبية) أرضها رملية مستوية لا يوجد فيها كثبان، وفيها يقع مطار القصيم، وتسمى (قصيمة

(1) عبدالله فلبي، **العربية السعودية**، ص 414 = وانظر: موسيل، **عن التاريخ المعاصر**، ص28.

(2) الأتوام: يقصد الشهران التوأمان الجمادان، جمادى الأولى وجمادى الآخرة.

(3) إبراهيم القاضي، تاريخه المخطوط، ورقة 4. عبدالله البسام، المجموع الخزانة (5/ 120). الذكير، تاريخه (الخزانة 7/ 284).

(4) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 284).

(5) **خزانة التواريخ النجدية** (5/ 120).

الطراد) أي أنها صالحة لطراد الخيل[1]. والتسمية تعود للعصر الجاهلي قال شاعرهم:

بالجوّ فالأمراج حول مرامِر فبضارج فقصيمة الطّرادّ[2]

وهو نفس الموضع الذي وقع فيه القتال بين ابن رشيد وقوات أهل القصيم. وقد ورد ذكر موضع (المليدا) عند بعض الشعراء، ومن ذلك قول نورة الهطلاني من أهل عنيزة:

ترى السعيد اللي قعد له بدارا ولا حضر كون المليدا ولا شاف

وقول مفضي السلمي من موالي آل رشيد:

وثار الدخن من بين ربعي وبينهم وغدا بالمليدا مثل صفق السعاير

كما جاء من شعر حمود العبيد الرشيد قوله:

بالمليدا عليهم عكفنا كل طير وضبع دنوعي[3]

تقرير الزيارات الميدانية:

أثناء فترة البحث لإنجاز هذا الكتاب بين عامي 1434و1435هـ، قام الباحث بزيارات ميدانية متكررة لمواقع القتال المتعددة في كون المليدا في منطقة القصيم، ابتداءً من بلدة القرعاء غربًا إلى بلدة الضلفعة شرقًا مرورًا بمنطقة المليدا المحيطة بمطار القصيم الحالي. وكان الهدف هو التوفيق ومحاولة الجمع بين معطيات المصادر الآتية:

- نصوص المؤرخين.
- والشواهد الشعرية المعاصرة.
- والروايات الشفهية المتداولة بين أهل المنطقة.
- والمشاهدات الميدانية.

وذلك لتحقيق مواضع القتال بحسب مراحله وتتبع حركة الجيوش المتقابلة، وأثناء التحري والبحث وجد الباحث تضاربا بين بعض معطيات المصادر السابقة، ما جعل

(1) محمد العبودي، معجم بلاد القصيم، (6/ 233).

(2) المصدر السابق (6/ 233).

(3) الدنوع: هو الشره في الأكل، الذي لا يعف عن شيء يأكله.

مهمة المقاربة لتحديد مواضع المعسكرات والالتحام أمرًا مشكلًا، فعل سبيل المثال جمع الباحث عدة روايات شفهية في تحديد موضع القتال في كون المليدا، والذي يمثل المرحلة الأخيرة والحاسمة من القتال، وفي محاولة للجمع بين تلك الروايات الشفهية رأيت أن تلك المواضع تقع في محيط دائرة لا يتجاوز طول قطرها في كل الأحوال الـ(10 كم)، فحمل الباحث تلك المواضع على أنها هي التي شملها ميدان القتال باعتبار مراحله المتعددة، حيث صار فيها (هجوم بالمسيوق وطراد بالخيل وكر وفر ثم تراجع للمنهزم وتقدم للمنتصر...وهكذا)، وهذه المراحل من الطبيعي أن تستغرق ظرفًا مكانيًا واسعًا ولعل هذا هو الذي جعل الروايات تتعدد وتبدو متناقضة وهي ليست كذلك.

ومن أمثلة تضارب بعض معطيات الروايات والمدونات التاريخية تلك اختلافها في وصف وتحديد المواضع المعطاة لمعسكرات الجيوش المتحاربة وتنقلها من ميدان إلى آخر. فقد وجدت أن بعض معطيات الرواية الشفهية والوثائق الرسمية والمدونات التاريخية لا تتفق تمامًا في تعيين منازل الجيشين في مراحل المواجهات الثلاث الرئيسية وهي: (مواجهة القرعاء ومواجهة غضي والمواجهة الكبرى في المليدا). واستتبع الخلاف في مواضع المعسكرات الخلاف أيضًا في مواضع القتال. فعلى سبيل المثال ذكرت وثيقة عثمانية أن القتال وقع قرب قرية الشيحية (وهي تقع غرب القصيم)، كما ذكر المؤرخ محمد العبيّد أن ابن رشيد عسكر في الشيحية، كما ذكر المؤرخ صالح الوشمي أن القتال حدث في الجويات قرب جبل ساق، وستتم مناقشة هذه الروايات لاحقًا.

ومن المعايير التي أخذ بها الباحث أثناء الزيارات الميدانية لمواضع القتال إمكانية حدوث تغير على طبوغرافية المواضع الجغرافية التي جرت فيها أحداث المعركة، بالنظر للعامل الزمني الممتد لأكثر من قرن وربع الذي مضى على وقوع كون المليدا. خاصة التغير الذي قد يطرأ على التكوينات الرملية وبعض النباتات الصحراوية.

ومن هنا فسيرى القارئ الكريم اختلافًا بين ما رجحه الباحث في هذه المسألة، وبين ما ورد في بعض النصوص التاريخية المتناقضة التي استشهد بها، إذا لابد من الترجيح لحسم الخلاف. ومع كل ما سبق فإني قد اجتهدت في وضع خرائط للمواجهة القتالية بجميع مراحلها معتمدا على التوافق بين معطيات المصادر السابقة، وقد يختلف البعض مع نتائج اجتهادي جزئيًا أو كليًا، وهذا حق مكفول وفق مبدأ طلاقة التفكير والتحليل وأشكال التعبير عنه.

نزول ابن رشيد بجيشه في الضلفعة[1]:

نزل ابن رشيد في (**الضلفعة**) بعد أن ارتحل من موقعه السابق في (**غضي**). والضلفعة تقع في شمال غرب المليدا، وذلك بعد أن أشار عليه رجال البادية بالتحرك غربًا نحو قاع المليدا لأنه أنسب للقتال[2]. وقد وقع اختيار ابن رشيد لموضع الضلفعة ليضع فيها معسكره لأنها كثيرة الآبار وفيرة المياه والمزارع[3]، مما يوفر مصدرًا مهمًا لسقيا الماء لجيشه كثير العدد، كما يستطيع ذلك الجيش توفير علف لدوابه من تلك المزارع المحيطة، وكانت الضلفعة بالنظر لموقعها المتميز هي الموضع الأنسب عسكريًا لجيش ابن رشيد، حيث تمكنه من تأمين مؤخرة جيشه، أثناء ملاقاة خصومه حيث يوفر له ذلك الموضع خطًا للتراجع نحو حائل شمالاً في حال الهزيمة.

وقد جاء ذكر الضلفعة في قصائد الشعراء في كون المليدا، ومن ذلك قول حمود العبيد الرشيد:

يوم جرى بالضلفعة له ظلالي   يعده الأول لناس بالأصلاب

قال الشيخ محمد العبودي معلقًا على البيت السابق: وذكره الضلفعة يعني بها وقعة المليدا، لإن الضلفعة واقعة في الحد الغربي للمليدا[4]. وقال حمود الرشيد أيضًا:

بالضلفعة مثل الرجوم الطوالي   ما بين بياع وما بين قصاب

وقال أيضًا:

ربعي مروين السيوف المسانين   من الضلفعة لغضي للديرتيني[5]

---

(1) قال ياقوت: هي قارة طويلة بالقوارة، وهي ماء بها نخل من خيار دار ليلى لبنى أسد، بين القصيمية (المليدا الجنوبية) وموضع (صارة)، محمد العبودي المصدر السابق (4/ 1441).

(2) إبراهيم القاضي، **تاريخه المخطوط**، ورقة 4.

(3) بحسب وصف ونقولات الشيخ محمد العبودي لنصوص قديمة وحديثة عن الضلفعة تبين أنها تتميز بهذه الميزة من كثرة الزروع ووفرة المياه، والذي يظهر أنها كانت صفة لها من قرون طويلة سالفة. **معجم بلاد القصيم**، مصدر سابق (4/ 1447).

(4) محمد العبودي ، المصدر السابق (4/ 1447).

(5) ربما يقصد الشاعر بالديرتين: بريدة وعنيزة.

وقال أيضا:

يوم جرى بالضلفعة وسهاله الله يا يوم على البوران

كما جاء ذكر الضلفعة في قصيدة نورة الهطلاني:

لعل جو الضلفعة للدمارا ولا يدب به الحيا دايم حاف

نشوب القتال بين الجيشين:

كان نزول ابن رشيد في الضلفعة وضرب عسكره فيها قبل نزول أهل القصيم إلى الشرق منه في المليدا. ولهذا فقد كسب لصالحه (ميزة الوقت) لتعبئة جيشه قبل نزول قوات خصمه، ولذا لما ارتحلوا إليه ونزلوا قبالته لم يمهلهم في صباح ذلك اليوم الذي نزلوا فيه حيث بادر وشن الغارة عليهم فوقع القتال بينهم، **وكان ذلك يوم السبت الثالث عشر من جمادى الآخرة عام 1308هـ**[1]. وكان أهل القصيم حين عاجلهم ابن رشيد بالقتال لم يكونوا قد استعدوا له كما ينبغي، بل إن بعضهم لم يترك لهم الهجوم المفاجأ فرصة لبناء معسكرهم وضرب خيامهم. وقد ذكر تقرير كتبة عبدالله بن ثنيان أن الفريقين اصطدما أربع مرات، وأن الحرب استمرت عشرون يومًا اضطر فيها ابن رشيد للتراجع في كل مرة، ثم استخدم الهجانة (المسيوق) بعد ذلك[2].

كما ورد في بعض التقارير العثمانية[3] أن القتال دار عند قرية الشيحية بينما اجتماع الجيوش كان في المليدا. وقد نقلت تلك التقارير هذه المعلومات مشافهة من بعض الأعراب الذي شهدوا القتال. كما أن لدينا مصدر تاريخي نجدي أشار إلى أن ابن رشيد نزل الشيحية قبل القتال بالمليدا حيث قال المؤرخ محمد العلي العبيّد عن تحرك ابن رشيد بعد معركة القرعاء: (فرحل من مكانه ونزل الشيحية قرية صغيرة غربي القصيم وجعل بينه وبين أهل القصيم صحراء واسعة)[4]. وإذا تعاملنا بجدية مع هذه

---

(1) مقبل الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 284).

(2) تقرير عبدالله باشا الثنيان، بتاريخ 19 رمضان 1308هـ. وهو مرفوع للسلطان العثماني عن أحداث القتال بين ابن رشيد وأهل القصيم. وقوله عشرون يومًا ربما يقصد المدة التي استغرقها الصراع كله منذ قدوم ابن رشيد الى القرعاء...أما القتال فلم يستغرق سوى ساعات نهار يوم واحد فقط.

(3) انظر تقرير محمد أمين...، مصدر سابق. وانظر/ تقرير دائرة أمن المدينة...، مصدر سابق.

(4) محمد العبيد، **النجم اللامع**، مصدر سابق ورقة 37.

المعلومات فإن القتال حول الشيحية لم يكن هو قلب المعركة بل جزء من مناوشاتها القبلية أوالبعدية، كما أن الشيحية بحسب تلك المصادر كانت المنزل الأخير لابن رشيد قبل نشوب القتال، ولذا لا أستبعد أن يكون معسكر ابن رشيد واقع بين الضلفعة والشيحية[1].

إطلاق ابن رشيد المسيوق[2] على خصومه:

ولإحداث الصدمة العنيفة في خصمه أطلق ابن رشيد الإبل المسيوقة، والتي قدرها بعض المؤرخين بـ (3000 من الإبل)[3]. ويبدو أنها أطلقت على دفعات متتالية في صفوف متتابعة، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان يربط خلف الإبل المهاجمة أكوام من الحطب المشتعل ليحفزها على التقدم، كما وضع في الصف الأخير منها أجراس تجلجل لكي تندفع الإبل التي أمامها إلى التقدم نحو الخصم[4]. وكانت أعداد تلك الإبل المندفعة تفوق طاقة تحمل مقاتلي القصيم، رغم مقاومتهم لها بنيران بنادقهم كما فعلو في معركة القرعاء، ولكن كانت تلك الإبل المسيوقة أكثر عددًا وكثافة، كما أنهم كانوا في ميدان مكشوف للرماة من مشاة الجيش الرشيدي الذين كانوا يسيرون خلف إبل المسيوق. أما البارون نولده فيقول عن المسيوق: قرر ابن رشد تحريك [20،000 جمل][5] في يوم واحد ضد مشاة عنيزة الذين واجهوا هذا الهجوم بنيران بنادقهم العتيقة ونجحوا في قتل آلاف الجمال (والتي ما زالت بقاياها ملقاة في الصحراء).

وقد أشارت قصائد الشعراء لاستخدام المسيوق وكيفيته، كقول مفضي السلمي مولى ابن رشيد:

---

(1) ومن الآراء الشاذة ما ذهب إليه الباحث صالح الوشمي (رحمه الله) من أن القتال دار حول جبل ساق غرب القصيم معتمدًا على صدر البيت القائل: (يا ذيب ياللي بالجويات وبساق)، وهو لحمود العبيد الرشيد (انظر: صالح الوشمي، الجواء، مصدر سابق، ص42). وبالإضافة إلى شذوذ هذا القول؛ فإن صحة البيت خلاف رواية الوشمي له، والبيت كاملًا يقول:

[يا ذيب ياللي بالجوى والمفالي　　اقبل تهيا لك مصيف ومعزاب]

(2) للمسيوق فوائد منها: تجفل منه خيول الخصم، ويستهلك ذخيرة العدو، وجنة للجيش المهاجم ليزحف من خلفه، ويلهي البادية كغنيمة ويتركون القتال.

(3) لويس موسيل، الدولة السعودية، **مجلة العرب**، رمضان شوال عام 1396هـ، ص244. وذكرت وثيقة عثمانية أن الذي أعدم من المسيوق 800 ناقة.

(4) المصدر السابق، ص130.

(5) نولده هنا يتحدث عن المسيوق، ولكنه بالغ جدًا في تقدير عدد الجمال، وقد أشارت بعض الوثائق العثمانية إلى أن العدد يتراوح بين 800 و 1000 وهو عدد معقول جدًا.

فـضـاهـم بـالـمـسـوق عـمـي محمد وكـثـر بـهـم فـهـد الــزراج[1] العثاير

وقول حمود العبيد الرشيد، عن الأثر الحاسم للمسيوق في الخصوم:

تـقـطـعـن أطـنـابـهـم والـحـبـالـي من يـوم ساق البل فـراق الأصحاب

استخدام العطفات في القتال:

وفي سبيل تعزيز التوجيه المعنوي للمحاربين اعتاد مقاتلي البادية إحضار بعض البنات يركبن الهوادج وينخين الفرسان لتحميسهم للقتال دونهن لحمايتهن، ولذا فقد ساقت قبيلة شمر معها العطفات؛ وهن بنات البدو، وجاء من الشعر ما يؤكد استخدام شمر لهذا الأسلوب من أساليب قتال البادية بهدف تشجيع المقاتلين وإثارة حماستهم للقتال دون أعراضهم وشرفهم.

قال حمود العبيدا لرشيد:

يـــوم سـرنـا وســـارت عـطـفـنـا وارزت الـخـيـل هـي والـجـمـوعي

وقال مفضي السلمي:

والـحـضـر يـرزاهـم حـمـود أبـو ماجد يـا سـترهـن وإن جـدعـن الـخـدايـر

هجوم مشاة جيش ابن رشيد:

ومما زاد من وطأة المسيوق على مقاتلي القصيم هو ذلك الرصاص الذي ينهال عليهم من رماة المشاة من خصمهم الذي يعدون خلف المسيوق، ما ضاعف هول الكارثة على محاربي القصيم الذين أسقط في أيديهم، ولكنهم تسلحوا بالإقدام والشجاعة، يقول الأمير زامل السليم:

إلـى سيقت الـبـل بـالـمـساوق روسها سـقـنـا عـمـارن بـالـمـواسـم غـالـية[2]

فقابل مشاة الجيش القصيمي إبل المسيوق ومشاة الخصم من خلفه بوابل من رصاص

(1) الزراج: هي الفلاة الواسعة. شبه الشاعر سيده بالفهد الذي ألف المطاردة والافتراس في تلك الفلوات.

(2) فهد المارك، من شيم العرب، (3/ 113) لا بد من التنويه إلى أن هذا البيت قاله الأمير زامل في مناسبة سابقة قبل كون المليدا.

بنادقهم فأحدثوا فيه مقتلة سقطت فيه مئات من تلك الإبل المسيوقة وقوات الخصم الراجلة.

هجوم خيالة حائل:

ومما أحدث اضطرابًا في صفوف قوات أهل القصيم هجوم خيالة قوات ابن رشيد، والتي جاء دورها الحاسم بعد أن حرمت من المشاركة وتم تحييدها في الموجهات العسكرية التي سبقت المليدا. وجاء توقيت استخدام سلاح الخيالة الرهيب في جيش ابن رشيد بعد هجوم المسيوق حسب الخطة التقليدية التي تجعل إبل المسيوق جنة للمشاة والخيالة الفرسان من ورائها. يقول الشاعر حمود العبيد الرشيد في هذا الصدد:

والبل ساقوها لكن عياله   والخيل تطردها تقل ديلان

ومعنى البيت السابق أن المسيوق يهجم والخيل تطرد من ورائها، وبذا تكون إبل المسيوق جنة للفرسان والمشاة من رصاص الخصم الذي يكثف من رميه لصد المسيوق ومن ورائه من مهاجمي الخصم المقابل.

لقد أطبق سلاح الفرسان في جيش حائل على مشاة القصيم كذراعي كماشة، واحاط بهم إحاطة محكمة، ويصور شاعر الرشيد هذا الموقف بقوله:

دارت عليهم مثل وصف الحجالي[1]   ما كنها إلا حوطة ما لها باب

كما يصور أحد شعراء القصيم الموقف بقوله:

صكوا علينا بالمليدا تقل سور   في يوم أقشر ما لقي من عذابه

هل استخدمت المدافع في القتال؟؟

زودتنا عدة مصادر بمعلومات عن امتلاك ابن رشيد عددًا لا بأس به من المدافع في حروبه من خصومه النجديين، حيث ورد أن ابن رشيد غنم المدافع وذخيرتها التي في الرياض بعد أن غزاها في ربيع أول عام1305هـ[2]، كما استعمل ابن رشيد المدافع في

(1) الحجل: هو خلخال المرأة الذي تضعه للزينة في أسفل ساقها، وشبه إحاطة جيشه بخصمه بإحاطة الخلخال المحكم على ساق المرأة.

(2) عبد العزيز الفرهود (محقق)، تاريخ مؤرخ مجهول، ص8 وص 35.

قصف الرياض من دون جدوى عندما حاصرها مطلع عام1308هـ[1]. وقبيل دخوله كون المليدا بأسابيع ذكرت وثيقة عثمانية أن لدى ابن رشيد بطاريتا مدفع وقالت الوثيقة إنه يستخدمها ضد خصومه لتخويفهم بها[2].كما ذكرت وثيقة عثمانية أخرى صادرة بتاريخ 12 شباط/فبراير1891م الموافق (3 رجب عام 1308هـ)، أي بعد كون المليدا أن ابن رشيد كان يمتلك بطاريتي مدفع[3]، كما ورد في مصدر بريطاني أن ابن رشيد كان يملك أربع مدافع ميدانية متنقلة[4]. إن هذه الشواهد التي سبقت كون المليدا أو جاءت بعده كلها تؤكد امتلاك جيش ابن رشيد مدافع ميدانية صالحة للعمل، وبالتالي لا يمنع أن يكون ابن رشيد قد استخدم تلك المدافع في كون المليدا، وما يعزز هذا الاحتمال بيت من الشعر جاء في قصيدة لحمود العبيد الرشيد وهو أحد شهود كون المليدا وفرسانها، حيث قال:

لعيون خيل ذبحن بأول الحين   يوم المدافع حسهن له رنيني

ومع قناعتنا أن المدافع هي مناسبة لحصار المدن ولا تناسب الحرب الميدانية المكشوفة حيث تكون فاعليتها محدودة، إلا أن جرها لميدان القتال له أثر نفسي لا يخفى على طرفي القتال فبينما هي تعزز موقف من أحضرها فهي تخيف في المقابل من أحضرت ضده، إلا أن ما بين أيدينا من المصادر والوثائق لا يسعفنا على وجه الدقة في بيان كيف استعملت تلك المدافع في القتال. ويحتمل أن ارتفاع عدد قتلى أهل القصيم كان بسبب فاعلية هذا السلاح الفتاك في أرض المعركة.

حلول الهزيمة في جيش القصيم:

وقعت الهزيمة بالقوات القصيمية بإحاطة الجيش الرشيدي بخيالته بها، وعندما حاول أهل القصيم المقاومة أو الهرب في هذا الموقف العصيب تم القضاء على كثير منهم. وفي جانب البادية استطاعت قبيلة حرب حليفة ابن رشيد هزيمة جانب بادية مطير حليفة أهل

(1) **دليل الخليج**، القسم التاريخي، (3 - 1692).

(2) برقية مشفرة واردة من ولاية سوريا بتاريخ 12 جمادى الأولى 1308هـ.

(3) المصدر السابق، ص 241 (وبطارية المدفع حسب العرف العسكري العثماني تتكون من 6 مدافع)، وذكر مصدر بريطاني أن لدى ابن رشيد أربع مدافع متنقلة، انظر: **دليل الخليج** (3 - 1689). كما ذكرت وثيقة عثمانية بتاريخ 15رمضان 1310هـ. أن ابن رشيد لديه كتيبة مدفعية.

(4) **دليل الخليج**، مصدر سابق، (3 - 1689).

القصيم، ففروا من أمامهم[1]. يقول المؤرخ الذكير: (كانت الهزيمة في آخر النهار مع إقبالة الليل فأثخن جيش ابن رشيد فيهم القتل، وتتبعت الخيل المنهزمين بعد أن ألقوا سلاحهم، ولكن ظلام الليل حال دون تتبع الفلول)[2].

كما قال الرحالة البارون نولده كلامًا لا أستبعد أنه سمعه من أفواه الرواة عندما قدم المنطقة بعد وقوع المليدا بعامين تقريبًا. فقد قال مصورًا هزيمة أهل القصيم واضطراب صفوفهم: (بعد هجوم المسيوق انهزم المشاة بعد أن قاوموه بالرصاص، فقد تخلوا عن بنادقهم وسلاحهم الأبيض، وفروا أمام الفرسان القساة المنتصرين الذين ذبحوهم بالآلاف... واستمر يقول: إن المنهزمين من عنيزة كانوا في حالة من الخوف والارتباك فلم يهربوا، وأملهم في البقاء أحياء من خلال طلب الرحمة عندما يمتثلون أمام الأمير ابن رشيد)[3].

أمام هذا الضغط العنيف الذي وقع على قوات القصيم بهجوم المسيوق المكون من آلاف الإبل ومن ورائه كثافة بشرية مهاجمة تمثلت في المشاة من البادية والحاضرة، ثم تبعه هجوم شرس من فرسان شمر على خيولهم كل ذلك جعل أهل القصيم مطوقين بشكل تام ومحكم من مقاتلي خصومهم[4]، ويمثل هذا المصير المأساوي لمقاتلي القصيم الشاعر مفضي السلمي في قوله:

وثار الدخن من بين ربعي وبينهم ... وغدى بالمليدا مثل صفق السعاير

وعن إحاطة الجيش الرشيدي وخيالته بقوات أهل القصيم، قال حمود العبيد الرشيد:

والخيل من دون الفلا والمفالي ... ثلاثة آلاف لحساب حسّاب

دارت عليهم مثل وصف الحجالي[5] ... ما كنها إلا حوطة ما لها باب

ساعة تلاقينا وحمي القتالي ... وغدا لهم في حومة الجيش ضبضاب

وبهجوم فرسان ابن رشيد بعد المسيوق مباشرة ساء الموقف العسكري لمقاتلي

---

(1) بحسب رواية صخيبر بن جمعان السالمي. انظر: محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق، ص296.

(2) الذكير، مصدر سابق، (الخزانة 7/ 284).

(3) نولده، رحلته، ص 79 مصدر سابق.

(4) موسيل، **مجلة العرب**، مصدر سابق، ص244.

(5) الحجل: هو **خلخال** المرأة الذي تضعه للزينة في أسفل ساقها، وشبه إحاطة جيشه بخصمه بإحاطة الخلخال المحكم على ساق المرأة.

القصيم جدًا، بعد أن تخلى عنهم حلفاؤهم من البادية وغادروا مواقعهم، حيث لم يصدقوا في القتال وانسحبوا من الميدان طلبا للنجاة. أما قادة أهل القصيم فإنه بعدما قتل (زامل السليم) أمير عنيزة في أول المعركة، هرب (حسن المهنا) أمير بريدة تاركًا الميدان من دون قيادة متوجهًا نحو بريدة، فأمر ابن رشيد فرسانه أن يحيطوا بقوات القصيم من الخلف بهدف قطع طريق الهروب على حسن المهنا [1]، والقبض عليه أو قتله[2]. وفي نفس الوقت اشتد القتال ووصل الأمر ذروته عندما تصادمت الكتل البشرية للفريقين المتحاربين ببعضها ببعض، حيث استعمل السلاح الأبيض. ولكن مقاتلي المشاة من الجيش الرشيدي كانوا قد تفوقوا على مقاتلي القصيم بسبب مساندة الفرسان لهم، ما زاد من قدرتهم على الفتك بمشاة القصيم وقتل أعداد كبيرة منهم.

مقتل أمير عنيزة زامل السليم :

لعل أشهر وأهم قتيل في كون المليدا هو الأمير (زامل بن عبدالله السليم) أمير عنيزة. ولقد اختلطت مشاعر المعاصرين للحدث حول مقتل الأمير ليس في فداحة خسارتهم له كحاكم لبلدته عنيزة فقط، بل حتى خصمه ابن رشيد تحسر على مقتله لما اتصف به الأمير زامل من صفات كان ابن رشيد يعرفها ويقدرها من أبرزها الشجاعة والدهاء، ولا ننسى أن ابن رشيد كان حريصًا على تحييد الأمير زامل في هذه الحرب - كما أسلفنا - ولكن الأمور جرت في اتجاه آخر. ومما يدل على تقدير الأمير ابن رشيد للأمير زامل، أنه في اليوم الثاني للمعركة كان ابن رشيد وابن عمه حمود العُبيد يتفقدان ميدان القتال، فعثرا على جثة الأمير زامل مقتولًا وقد انكشف رأسه وهو ممد على الأرض، فأشار ابن رشيد إليه بعصاه وقال: (والله من الدهاء ولكن عند المقادير تعمى البصائر)، ثم التفت إلى ابن عمه حمود العبيد قائلًا: ترى زامل حد علينا عنيزة بثمن قبلناه منه فهو يقول[3]:

هذي عنيزة ما نبيعه بالزهيد   إلا بروؤس عن محله زايلة

وعندما قتل الأمير زامل كان عمره 62 سنة، حيث كان مولده عام 1247هـ تقريبًا، وله من الولد 12 ولدًا أكبرهم عبدالله، وأصغرهم إبراهيم، ومنهم (صالح) حضر كون المليدا،

(1) الذكير، مصدر سابق، الخزانة (7/ 284).

(2) ستتحدث لاحقًا عن أسباب الهزيمة بالتفصيل، وستتحدث أيضًا عن تفاصيل مقتل الأمير زامل، ومصير الأمير حسن.

(3) عبد الله البسام ، الخزانة (5/ 122).

وهو فتى ولكنه لم يباشر القتال وكان يراقب المعركة من بعيد بمنظار معه، ومنهم ابنه (علي) الذي باشر القتال مع والده، وأسرع لينقذ أباه حين أصيب فسقط بجواره قتيلا[1]. وقد أشار الرحالة نولده إلى مشاركة علي لوالده في القتال ومقتله فقال: (لقد قتل الشيخ زامل القائد الأعلى للتحالف مع ابنه الأكبر الذي حضر من البصرة في اليوم الأول للكارثة)[2]. ومن أولاد الأمير زامل عبد العزيز، وهو الذي جعله نائبًا عنه في عنيزة عندما خرج لحرب المليدا، وكان عبدالعزيز فقيهًا سبق ورشح لقضاء عنيزة عام 1307هـ بعد وفاة الشيخ عبد العزيز المانع قاضي عنيزة، ولكن الأمير زامل رفضه وقال: لا أريد أن يتحدث الناس أنني الأمير وابني القاضي. وبعد كون المليدا بقي عبدالعزيز في عنيزة، ولم يغادرها حتى حج عام 1310هـ فمات في وباء ذلك الموسم[3].

وكان مقتل الأمير زامل في أول المعركة ، كما أفادت الروايات الشفهية، ووفق ما جاء من شعر عن المعركة، ومن ذلك قول مفضي السلمي مولى آل رشيد:

صار أوله بزويمل غادي الجدا   و... مكسور على الشوف ناير

وقال الشاعر فجحان المطيري مخاطبًا حسن المهنا بعد المعركة:

زامل فكوك الريق وانته تعشاك   كم مصعب خلوه جاء مرجعاني(4)

وقول حمود الرشيد:

وزويمل بوجهينا طاح وألفين   ذبح برأس النازية والبطيني(5)

وقال أيضًا:

أول علفها زامل والعيالي   تفيحت ما بين ذابح ونهاب

ومما قاله عيادة بن منيس الشمري عن مقتل الأمير زامل:

ياذيب لا تعتاش من بطن زامل   شيخ يغير بالقبائل قعوده

---

(1) عبدالله البسام ،الخزانة (5/ 122).

(2) نولده ، رحلته، ص79.

(3) عبدالله البسام، علمًا نجد في ثمانية قرون (3/ 351).

(4) المصعب: هي الإبل صعبة المراس. ومرجعاني: هي الإبل الذلول المنقادة.

(5) النازية: المكان المرتفع. والبطين: المكان المنخفض.

شلـه عـقـاب نـادر ولـد نـادر وخلى عليه البيض تنتف جعوده[1]

ويبدو أن جثة الأمير زامل تركت ملقاة على الأرض كغيره من القتلى، والدليل الحوار الذي ذكرناه آنفًا بين محمد ابن رشيد وابن عمه حمود، ولدينا كذلك من الشعر ما يؤكد ذلك، حيث قال الشاعر محمد أحمد المطير السبيعي من أهل عنيزة في قصيدة له يرثي الأمير زامل:

وازمـامـهـا خـلي طـريـح وصـابـوه بـيـن الـنـفـود وبـيـن عـالـي حـزومـه

ثم تحدث نفس الشاعر في قصيدة أخرى عما يفيد أن الأمير زامل ترك ملقى في البرية:

مـرحـوم يـا ثـاو عـلـى رأس عثمور مـن عـقـبـك الـدنـيـا تـراهـا بـحـادور

وبعد السؤال اتضح أن ذريته لا يعرفون له قبرًا في موضع القتال، كما أنه لم يتم نقله ودفنه في عنيزة. وفي الغالب أن جثمانه ترك كغيره من القتلى من دون مواراة[2]. ومن جهة أخرى هناك رواية مرسلة لا نعلم مدى صحتها تزعم أن لزامل قبر معروف، وقد اجتهدت في تتبعها ولكن دون جدوى، والله أعلم.

غنائم جيش حائل:

جاء في تقرير عثماني أن ابن رشيد غنم كل أسلحة وأموال ومواشي الأهالي[3]. كما ذكر مقبل الذكير في تاريخه أن ابن رشيد استولى عل مخيم أهل القصيم بما فيه[4]. كما ذكر نولده عنها: غنم ابن رشيد بعد المعركة معسكر خصومه، وما به من ألوف الخيل[5] والمؤن و12،000 بندقية عتيقة[6].

---

(1) البيض: النساء. الجعود: الشعر.

(2) كانت العادة عدم دفن قتلى المعارك آنذاك إلا نادرًا، حتى ولو كان القتيل من أشراف القوم، خاصة في الجانب المهزوم.

(3) محضر مجلس ولاية المدينة في 1 شعبان 1308 هـ. مصدر سابق.

(4) المصدر السابق (7/ 285).

(5) نستبعد وجود ألوف من الخيل في معسكر أهل القصيم لأن سلاح الخيالة لديهم كان قليل جدًا، وهو الأمر الذي كان من أسباب إخفاقهم.

(6) نولده، مصدر سابق، ص 80.

ثانيًا: أعداد القتلى من جيشي القصيم وحائل:

(أ) عدد قتلى جيش القصيم:

لعل من أبرز المعايير التي يعبر بها عن ضخامة حدث كون المليدا، ووقعه على أهل القصيم هو عدد القتلى الكبير الذي سقط من عامة أهل القصيم وخاصتهم، من الأمراء والأتباع والشباب والشيوخ، ومع يقيننا أن العدد لا يتجاوز بضعة مئات من القتلى، إلا أنه يعد رقمًا كبيرًا ومؤثرًا في الحياة الاجتماعية آنذاك نظرًا لقلة تعداد السكان آنذاك.

وكانت المقتلة الرهيبة قد وقعت عندما أحاط فرسان جيش ابن رشيد بمشاة أهل القصيم، وبعد أن استسلموا وألقوا أسلحتهم أحدث فيهم الجيش الرشيدي مقتلة كبيرة[1]. ويتحدث المؤرخ مقبل الذكير عن أثر كثرة القتلى في الحياة الاجتماعية، والناحية النفسية على سكان القصيم، ويعطيني نموذجًا على ذلك في مجتمع عنيزة، حيث كتب: (لم يبق بيت في عنيزة لم تدخله المصيبة)[2]. وعن سبب وقوع عدد كبير من القتلى من أهل عنيزة ذكره الرحالة الروسي البارون نولده: (أن المنهزمين من عنيزة كانوا في حالة من الخوف والارتباك وأملهم كان في البقاء أحياءً من خلال طلب العفو عندما يحضرون أمام الأمير)[3]. ومن هنا جاء سقوط قتلى كثير في صفوفهم عندما ألقوا أسلحتهم وهربوا أمام الفرسان الذين شرعوا في قتلهم[4]. وفي المقابل أتوقع أن عدد قتلى جيش بريدة يناهز عدد قتلى جيش عنيزة في كون المليدا. إلا أن المصادر التاريخية حفظت من أسماء قتلى عنيزة أكثر، ما وصلنا من أسماء قتلى بريدة. كما وقع عدة قتلى من أهالي مدن القصيم الأخرى، إلا أنهم أقل عددًا بكثير ممن قتل من أهالي عنيزة وبريدة المدينتين الرئيستين في القصيم.

وأودّ التنبيه إلى أن ضبط أسماء القتلى وأعدادهم كان من أشد العقبات التي اعترضت مؤلف هذا الكتاب، وربما كان قتلى عنيزة أحسن حظا من غيرهم لتوثيق أسمائهم وعددهم، أما الأسماء فهي في الملاحق، أما الأرقام فقد روى الشيخ عبدالله البسام: أن (ناصر النويصر) من أهل عنيزة وكان مقيمًا في مكة المكرمة، رأى خطابًا من الوجيه (عبدالله العبدالرحمن

---

(1) عبدالله البسام، الخزانة (5/ 121).

(2) الذكير، الخزانة (7/ 284). وفي هذا الصدد بالغ أحد المؤرخين المتأخرين في وصف كثرة قتلى عنيزة، حيث زعم أنه لم يرجع من جيش عنيزة بعد المعركة إلا خمسون رجلًا فقط. وهذه مبالغة ظاهرة. انظر: إبراهيم العبيد، **تذكرة أولى النهى والعرفان**، مصدر سابق،ص286

(3) نولده، رحلته، ص79.

(4) المصدر السابق.

البسام) لأحد أهل عنيزة في مكة يخبره بأن عدد القتلى في كون المليدا من أهل عنيزة (فقط) وصل إلى (361 قتيل)[1]. وهذا عدد منطقي جدًا، ويمكن أن نبني عليه العدد التقريبي لمن قتل من أهل بريدة.

وقد جاء الشعر معبرًا عن ضخامة أعداد القتلى بالوصف أو بالعدد، قال حمود الرشيد مفتخرًا و(مبالغًا) بكثرة من قتل من خصومه:

بالمليدا عليهم عكفنا كل طير وضبع دنوعي
سمحت النفس باللي صرفنا يوم صاروا سوات الجذوعي

فالشاعر يذكر في البيت الأول اجتماع الطيور الجوارح والسباع لافتراس جثث القتلى كناية عن كثرتها، وفي البيت الثاني يصف تلك الجثث وهي ملقاة في ميدان القتال ويشبهها بجذوع النخل الممدة على الأرض. كما يقول الشاعر نفسه في بيت آخر من قصيدة أخرى:

وزويمل بوجيهنا طاح (وألفين) ذبح براس النازية والبطيني

في البيت السابق يحدد الشاعر عدد قتلى خصومه تقديرًا مبالغًا فيه جدًا وهو (2000 قتيل)، وفي الشطر الثاني يصف كثرة القتلى وانتشار جثثهم على مرتفعات ميدان القتال ومنخفضاته. ويفقد الشاعر مصداقيته في تقدير أعداد قتلى خصومه حيث يناقض نفسه في البيت السابق ببيت آخر من قصيدة أخرى، يقول فيه:

اللي ذبحنا غير زامل وآله (ثلاثة الآلاف) من القصمان

والفرق بين عدد القتلى في البيتين بحسب تقدير الشاعر يبلغ (1000) قتيل. ما يؤكد أسلوب الشاعر في المبالغة والتهويل.

(ب) عدد قتلى جيش حائل:

رغم انتصار ابن رشيد إلا أن المصادر التاريخية ذكرت سقوط قتلى كثر بين صفوف جيشه رغم النصر الذي حققه، ما يدل على شدة القتال وضراوته بين الطرفين. فالمعركة كانت شرسة حامية الوطيس، وكان كل فريق حريص على الإثخان في خصمه. ولذا يقول

(1) خزانة التواريخ النجدية (5/ 179).

المؤرخ ابن عيسى عن قتلى جيش ابن رشيد (وقتل من اتباع ابن رشيد خلائق كثيرة)[1] فهو وإن لم يعطنا رقما إلا أنه أعطانا وصفًا معبرًا عن ضخامة القتلى. وبحسب التقديرات لعدد قتلى المعركة في الجانبين، نجد في قراءة سريعة أن قتلى الجانب الرشيدي أقل من قتلى أهل القصيم، بسبب كثافة عدد الجيش الرشيدي ومتانة تسليحه وكثرة فرسانه.

وبما أن ما وصلنا من تقديرات للقتلى كانت في الغالب جزافية، ومع غياب تقدير موثق لعدد قتلى الجيشان فإني أميل إلى أن نسبة عدد قتلى الجيش الرشيدي إلى قتلى الجيش القصيمي هي الثلث على وجه التقريب. وإليك أيها القارئ الكريم إحصائية متفرقة ومتباينة لأعداد قتلى الجانبين في كون المليدا بحسب مصادر هذا الكتاب:

عدد القتلى		المصدر
القصيم	حائل	
600	400	إبراهيم القاضي ورقة 4.
600		ابن ناصر ورقة 40.
1000	400	الريحاني ، **تاريخ نجد**، ص 105.
600		فلبي: **تاريخ نجد**، والعربية السعودية ص 366.
500		إبراهيم الضويان، ص116.
1200		سعود بن هذلول ص51.
2000_3000		الشاعر حمود العبيد.
500		عبدالله السلمان.
100		لوريمر.
300	800	تقرير ابن ثنيان بتاريخ 19رمضان 1308.

(1) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص316.

377 قتيلًا وهم كالآتي (بريدة 92) و(عنيزة 212) و(الرس 22) و(المذنب 22) و(الخبرا 21) و(الهلالية 8)		محضر مجلس ولاية المدينة مرفوع للسلطان العثماني بتاريخ 1 شعبان 1308	
	800	وثيقة عثمانية، كورشون العثمانيون وآل سعود ص 250	
1300	800 ـ 1000	وثيقة عثمانية بتاريخ 6 شعبان 1308هـ	
4000		وثيقة عثمانية كتبت بعد (20شعبان1308هـ)، فيها تقرير محمد أمين بحسب عن المعركة إفادة بدوي شمري	
1000 قتيل من القصيم وحائل		عبدالله الصالح البسام (الخزانة 80/ 5)	
1000		عبدالرحمن بن عبدالعزيز السليم	نقلًا عن د/ محمد السلمان **الأحوال السياسية في القصيم**، ص271
400		رواية سليمان الصالح البسام	
300		رواية عبدالله الخنيني	
800		رواية إبراهيم العواد	
3000	500	فؤاد حمزة	
361 قتلى عنيزة فقط		عبدالله العبدالرحمن البسام، الخزانة (179/ 5)[1]	

(ج) هل دفن القتلى في مقابر معروفة؟؟

من القرائن المهمة في دراسة التاريخ العسكري للحروب تتبع المقابر الجماعية أو القبور الفردية التي قد يكون دفن فيها قتلى المعركة، والتي تكون عادة متناثرة في ميدان القتال أو على أطرافه، ولهذا التتبع فوائد لا تخفى، منها:

(1) روى الشيخ عبدالله البسام أن (ناصر النويصر) من أهل عنيزة وكان مقيمًا في مكة المكرمة، رأى خطابًا من الوجيه عبدالله العبدالرحمن البسام لأحد أهل عنيزة في مكة يخبره بأن عدد القتلى من عنيزة (فقط) في المليدا وصل إلى (361) قتيلًا. (الخزانة 5/ 179).

- التوصل لمعرفة مكان القتال بدقة.
- تحديد معسكرات الجيوش المتحاربة التي نزلت بها قبل القتال.
- معرفة ضخامة عدد القتلى من عدمه.

وفي ما يخص كون المليدا فإن الباحث توصل لعدة قبور قريبة من ميدان القتال، وقد زار بعضها والبعض الآخر ذكرها بعض الرواة، ولم يتسن الوقوف عليها، وهذه المقابر على النحو الآتي:

1- مقبرتان تقعان شرق بلدة الضلفعة، التي عسكر قربها ابن رشيد، وهما مقبرة شمالية شرقية ومقبرة جنوبية شرقية بينهما مسافة تقارب (1500متر)، وكلاهما مسوّر بسور حديث، ولكن يلاحظ أن التسوير يأخذ شكلًا عشوائيًا مما يوحي بقدم المقبرتين. ومن اليسير مشاهدتها وتحديدهما بواسطة (قوقل إيرث) وبشكل واضح جدًا.

2- ذكر بعض الأهالي[1] أنه شاهد قبور متفرقة غرب مطار القصيم قبل 35 سنة، ولكن لم يتم التأكد هل هي عائدة لقتلى المعركة أم لا.

3- ذكر الباحث تركي القهيدان أنه شاهد شرق بلدة الضلفعة قبور قليلة متفرقة[2].

ولكن قبل نسبة تلك القبور لقتلى المليدا فإنه يجب التعامل مع المسألة بشيء من الحذر حتى يتم التأكد منها، وذلك للاعتبارات الآتية:

- أنها قد تكون قبور لموتى ماتوا موتًا طبيعيًا دفنوا فيها قبل المعركة بزمن بعيد.
- أو قد تكون قبورًا حديثة لأناس من الأهالي ماتوا بعد المعركة.
- أو قد تكون قبورًا لموتى من أهل البادية.
- أو قد تكون قبورًا لموتى من الحجاج المارين بمنطقة القصيم.
- أو تكون تلك القبور لكل من سبق ذكرهم.

---

(1) رواها لي الأخ الباحث عبدالله النغيمشي بأن صديق له كان يتنزه في هذه المنطقة غرب المطار القصيم، وشاهد تلك القبور.

(2) تركي القهيدان، القصيم آثار وحضارة، مصدر سابق، (2/ 414) وذكر الباحث أن طول القبر الواحد 3 أمتار، وأنكر نسبة الأهالي تلك القبور لبني هلال. وفي ظني أن هناك تلاعبًا في شواهد القبور.

وهناك اعتبار مهم جدًا قبل الجزم أن تلك القبور لقتلى كون المليدا، حيث جرت العادة عند الأجداد من الحاضرة والبادية أنهم لا يدفنون قتلاهم في المعارك خاصة قتلى الفريق المهزوم بل يتركونهم في العراء كما هم، وقليل من يدفن قتيله، ومن يفعل قد يفعله في اليوم التالي للقتال، كما أنه من النادر نقل أهل الحاضرة لقتلاهم إلى المدن ودفنهم فيها. وهذا التقليد الذي هو عدم دفن القتلى وتركهم في البرية كان شائعًا في أعراف الأجداد، ولو تتبعنا شواهد أشعارهم لوجدنا الكثير جدًا من الشواهد الشعرية التي تؤكد فعلهم ذاك، حيث تجد الشعراء يخاطبون الذئاب أو الضباع أو النسور أو غيرها من الجوارح لكي تأكل لحوم قتلى خصومهم، أو تجدهم يتوجّدون على قتلاهم لكونهم صاروا طعامًا لتلك الجوارح، ومن هذه الشواهد الشعرية التي قيلت في المليدا، نورد الأمثلة الآتية عليها:

قال أحدهم عن الأمير زامل بعد مقتله:

يا ذيب لا تعتاش من بطن زامل   شيخ يغير بالقبائل قعوده

وعن زامل أيضًا:

مرحوم يا ثاو على رأس عثمور   من عقبك الدنيا تراها بحادور

وعن افتراس الضبع للجثث يقول شاعرهم:

بالمليدا عليهم عكفنا   كل طير وضبع دنوعي

أما عن أكل الذئب للجثث فتقول إحدى الشاعرات:

ذيب المليدا بالأحبة تثارا   ياكل طري وذا مغب وذا جاف

وعن الجثث الملقاة في أرض المعركة فيقول الشاعر:

وغشى حزوم غضي نوما جنايزه   إليا ما غشى تال الذبايح نفوده

وقال أحد الشعراء:

بالضلفعة مثل الرجوم الطوالي   ما بين بياع وما بين قصاب

ونظرا لما سبق فإن الاعتماد على القبور القائمة الآن على أنها لقتلى كون المليدا، أمرٌ يصعّب الجزم به للاعتبارات التي سيقت آنفًا، إلا إن ثبتت نسبتها لقتلى المعركة

بسند متصل أو بينة مكتوبة، وهو أمر متعسر في الوقت الراهن، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

ثالثًا: نصوص تاريخية لوصف القتال في كون المليدا:

1) نص المؤرخ إبراهيم بن محمد القاضي[1]

.... وإذا الأمر باقع بالرس قام حسن وزامل وظهروا وظهر القصيم معهم، ونحروا الرس في عاشر جماد أول فيوم وصلوا الرس صار المراسل، وقالوا أهل الرس نظهر السرية ماحناب متذابحين حنا وإياكم ظهر حسين (العساف) وسريته ما وخذ منهم شيء، ونحروا ابن رشيد. أهل القصيم عودوا على الخبرا ثم نحروا الصعيبية ونزلوها وروحوا سبور يكشفون عن ابن رشيد هو رد ديرته أم ظاهر، عودوا السبور وقالوا ابن رشيد ظهر، ثم شدوا وأخذوا لوجهه. وابن رشيد جذب بواديه ونحرهم، فيوم صار ثالث جماد الثاني، وإذا ابن رشيد مار العيون (عين ابن فهيد) وفارسه ونزل القرعاء معه خيل وجيش والثوي وراه. وإذا هم بالشقة شدوا وتوجهوا هم وإياه ثالث جماد ثاني وتكاونوا كون جيد، ثم انكسر ابن رشيد وطق ساقته وإذا هي خيل وجيش ما حصلوا مطلوب من الجريرة. هو نزل حد غضي من شمال وهم نزلوا حده من جنوب، واستقاموا تسع أيام، وفي اليوم العاشر شد ابن رشيد، وأسباب شدته استلحق كبار العربان الذين معه، وقال وش ترون أنا مناب امصابرن هالربع هم على جال اديارهم وأنا كل شيء نقال، وقالوا له هم هالحين في حصون ولا للخيل ميدان وأنت قوتك خيل وإن زرتهم عوروك ولكن شد واستقبل وكان ما لحقوك فعندك قرايا القصيم البكيرية وعداه قبلة، وكان لحقوك فاظهرهم للخد الزارج. **وشد وشدوا في ساقته فلما وصل المليدى نزل شماليها وهم نزلوا جنوبيها، ثم مشت الجموع على الجموع وصار كون ما وقع في نجد أعظم منه على الطرفين وفي إيرادة العزيز الحكيم انكسروا أهل القصيم ووطا ساقتهم بالخيل واشتهوا الذبح وصار ذبحة جيدة بالحيل الذبحا فوق ألف رجال، من ابن رشيد فوق أربعماية،ومن أهل القصيم فوق ستة ماية (فوق ثمان ماية)[2] زامل ذبح وحسن صوب،**

(1) تتميز رواية إبراهيم بن محمد القاضي بالدقة والمعاصرة للحدث زمانًا ومكانًا. ولكنه كتب تاريخه بالعامية الدارجة. وسأضع نصه عن الحرب بين أيدي القراء كما هو تقريبًا، سوى تدخل إملائي يسير لا يؤثر في النص الأصلي.

(2) مابين القوسين كتبها المؤرخ في مخطوطة تاريخه ثم شطب عليها وكتب الرقم 600، مما يعني أنه تراجع وصحح عدد القتلى.

ذبح من عنيزة وبريدة خصايص الرجاجيل وحمايل طيبين والكون في ثلاث عشر وهذا تاريخه (دجا غش=1308)

ألا لا عــدت يــا يــوم علينا نهار السبت شهر جمادى الثاني

دجــا غش وســم الـحـال والـبـة سنة ألــف وثــلاث مـع ثمـان

وبعد وصول بقايا القوم بلدانهم ابن رشيد في منزله طب عليه عبدالله العبد الرحمن البسام وأخبره، ثم شد ابن رشيد يبي قرب بريدة، حسن المهنا يوم طب بريده تراخى أهلها، وقيل له ضف عزيزتك خيل وجيش وغيرها وانحر عبد الرحمن الفيصل وظن إن ابن رشيد ما يصفطه وركب هو وعياله وابن أخيه وطبوا عنيزة وجزم إن البسام يعترضون دونه، ابن رشيد لما بلغه ظهرة حسن من بريده شد ونزل الرفيعة قرب جدار الديرة، واركب ابن سبهان وطب على حسن في عنيزة وقضبه هو وأولاده وبن أخيه، ونحر فيهم ابن رشيد فلما طبوا عليه بالرفيعة روحهم لحايل وحبسهم، واستقام بالرفيعة قدر أربعين (يوم)، المجرم من أهل القصيم عاتبه فأما بريدة تهيا فيها على المهنا وأوادمهم وطوارفهم عتاب عظيم وسبي ونكال. (ابن رشيد) رتب بالقصيم كله أمراء، وبريدة حط فيها حسين بن جراد، وعنيزة حط عبدالله اليحيا الصالح وابن عايض عبدالله قاضي، والقاضي بذاك الوقت صالح القرناس، ثم شد ودخل ديرته في آخر رجب 1308هـ).

2) وصف القتال بحسب وثيقة عثمانية[1]

(.... قام ابن رشيد بالهجوم على جيش القصيم وتلف منه 300 من الرجال والحيوانات (ربما يقصد إبل المسيوق)، بعدها (ربما بعد معركة القرعاء) قام ابن رشيد بإعادة تنظيم العربان برفقة ضيف الله الرويلي (وأخذ يعدد بعض شيوخ البدو) وقام بترتيب وتنسيق ست سرايا، ونحو 800 أو1000 فرسان الهجين (ربما يقصد الردايف) وقاموا بالهجوم معهم على جيش القصيم، وأثناء المعركة قتل زامل شيخ عنيزة...كما تم إتلاف خيول جيش القصيم كما حصل التلف في جيش محمد ابن رشيد وقد هرب ابن مهنا مع عشرين خيال كما تمت مطاردته وأخذ أمواله وقام بالدخول قصبة عنيزة بمسافة منزل كما دخل ابن رشيد بريدة التي كانت بمثابة مقر الحكومة في القصيم وضبطها واستقر في قصر

(1) وثيقة عثمانية بتاريخ 16رجب 1308هـ،وهي في الأصل برقية مشفرة من ولاية الحجاز إلى الباب العالي (الأرشيف العثماني، تصنيف يلدز منوع 47/ 49).

ابن مهنا وصادر كل ما لدى الشيخ ابن مهنا من الأموال المنقولة والدواب، كما صادر دواب أهالي القصيم كغنيمة حرب وقام بتقسيمها وأخرج مناديًا ينادي في الناس بطلب تموين رجاله. وبعده هروب الشيخ ابن مهنا قدم التاجر بن بسام إلى ابن رشيد ولم يقبله (ربما يقصد لم يقبل شفاعته في حسن)، وطلب منه إحضار حسن خلال ثلاث أيام أو مغادرة المنطقة إلى منطقة أخرى، وعليه تم تسليم ابن مهنا بواسطة ابن بسام إلى محمد بن رشيد، وتم إرساله (أي حسن المهنا) بخفارة مع عشرين مسلح على الإبل إلى جبل شمر وحبسه هناك. والآن يقوم محمد بن رشيد بحكم بريدة من قصر ابن مهنا بما حولها من قرى ومناطق وأهالي وألحقها بمناطق حكمه، وقام ابن رشيد بجمع الزكاة بعد وقف القتال).

وعن انتصارات ابن رشيد في كون المليدا تحدث تقرير عثماني(آخر) عن القتال، حيث قال التقرير (بتصرف): (تقدم ابن رشيد نحو هدفه بخطوات ثابتة، وبحسب ما يفهم من الأخبار القادمة، فإن ابن رشيد زحف أولًا على (العارض) ثم اتجه إلى (القصيم)، واستمر القتال نحو عشرين يوما وفقد ابن رشيد خلالها 800 من رجاله. غير أن هذه المعارك أسفرت عن خسائر بشرية كبيرة في صفوف القبائل المناهضة ولم تكشف الحرب عن نصر حاسم. وفي أواخر (مارس) نفذ ابن رشيد هجومًا أخيرًا ألحق الهزيمة بأهل القصيم - أنصار ابن سعود - في منطقة (مليدة). ثم تقدم حتى الرياض فهدم قلعتها ونهبها ثم سيطر على كامل المنطقة[1].

3) وصف البارون نولده[2]:

(... تناسى الحلفاء من أمراء القصيم خصوماتهم، وأصبح ابن رشيد هو العدو المشترك لهم، لقد كان زامل هو المحرك لهذا الحلف - رغم بلوغه الستين عامًا - كرجل حرب والأكثر شجاعة في الجزيرة العربية، إذ أصبح القائد الأعلى لقوات الحلف[3]، وفي مقر حكومته عقد الاجتماع الأخير لقادة الحلف وأعلنوا الحرب وأرسلوا بذلك لإبن رشيد.

(1) كورشون، **آل سعود والعثمانيون**، مصدر السابق، ص250.

(2) تم اختيار وصف نولده للمعركة لأنه أول الأجانب الذين زاروا نجدًا بعد حدوثها بأقل من عامين، ونضع وصفه ملخصًا للقراء من أصل ترجمة رحلته التي نشرها الأستاذ عوض البادي. مصدر سابق.

(3) لم يكن هو القائد الأعلى.

لقد تم حشد 30,000[1] رجل بين عنيزة وبريدة وفي نفس الوقت ظهر أمامهم ابن رشيد بعدد مماثل من القوات تسانده قبيلة حرب بـ10,000 رجل و 1000 فارس من شمر الهلال الخصيب لقد احتشد في هذه المعركة [2]60,000 محارب، وهو عدد كبير جدًا بالنسبة للعرب وقد شككت فيه ولكن تأكد لي بالحصول على بيانات دعم من مصادر مختلفة، إذ دارت معركة لم يسبق لها مثل في الجزيرة العربية منذ مقاومة الوهابيين لحملة إبراهيم باشا.

كان ابن رشيد يتوقع انضمام أمير بريدة إلى جانبه لكنه انضم إلى الحلف المضاد في اللحظة الأخيرة[3]. لقد اصطفت قوات الحلف المعارض على خط بطول 30 كيلو تقريبًا[4] وكانت قوات عنيزة وبريدة تحتل جناحي الجيش مع 12,000 من المشاة في الوسط، ما اضطر ابن رشيد لاستخدام سلاح الخيالة في اللحظة المناسبة، وكانت خطة ابن رشيد مهاجمة مواقع مشاة عنيزة بفرسانه لأن هؤلاء المشاة يفتقرون للتسليح الجيد حيث كانت بنادقهم من النوع الذي يعبأ من الفوهة بالبارود إضافة إلى ذلك كان زامل قد جلب كمية كبيرة من أغصان الشجر وقام بحفر خنادق صغيرة بالرمال لحماية نفسه، وفي ذات الوقت لتحمل وطأة الهجوم الأول لفرسان ابن رشيد إلى حد معين لقد أتى النصر في البداية لصالح الحلف[5].

استمرت الحرب شهرًا كاملًا [6]، فالعرب لا يحتاجون إلا إلى القليل من الطعام والإمداد في حروبهم، حيث تم حشد عدد كبير من بريدة بشكل ملفت وكان الدعم من عنيزة وبريدة مهمًا للحلف المضاد لابن رشيد، حيث كان الاستعداد مبكرًا لمثل هذه المواجهة.

أما موقف ابن رشيد فكان مختلفًا فلقد توغل في الصحراء 200 كيلو بعيدًا عن إمدادات الماء، حيث استخدم آلاف الإبل ليلًا ونهارًا لإحضار المؤمن والماء إلى معسكره.

إن ابن رشيد الذي تعوّد على النصر في المعارك السابقة لا يستطيع الانتظار طويلًا

---

(1) هذا عدد مبالغ به جدًا، وقد حققنا الرقم المناسب لعدد القوات في طرفي النزاع.

(2) ستصبح أرقام نولده واقعية جدًا لو حذفنا صفرًا واحدًا منها، ولكنها مبالغات الأوروبيين.

(3) يوحي كلام نولده أن بريدة لم تكن هي المحرك الأصلي للحرب في جانب القصيم، وهذا غير صحيح.

(4) 30 كيلو طويلة جدًا، وغير منطقية ولو حذفنا الصفر لكن كلامه منطقيًا.

(5) ربما هو هنا يتحدث عن معركة القرعا.

(6) في الأغلب أنه يتحدث عن طول حالة الحرب، وليس حالة القتال التي فيها اشتباك.

خصوصًا مع اقتراب فصل الصيف، لأن الانسحاب بعد الهزيمة سيكون صعبًا، وسيؤثر في سمعته، خصوصًا أن قبلية حرب أكبر حليف له بدؤوا بالانسحاب؛ لأن الغنائم تأخرت عليهم كما أن حائل نفسها من دون حماية، ولذا صمم ابن رشيد على النصر من دون تراجع.

وفي أواخر آذار/ مارس 1891م[1] قام ابن رشيد ببعض الهجمات الليلية اليائسة على مواقع عنيزة، ولكن لم ينتج عنها إلا عدد قليل من القتلى ولذا قرر ابن رشد تحريك 20,000 جمل[2] في يوم واحد ضد مشاة عنيزة الذين واجهوا هذا الهجوم بنيران بنادقهم العتيقة ونجحوا في قتل آلاف الجمال (والتي ما زالت بقاياها ملقاة في الصحراء).

وقد حدثت فوضى وذعر وسط قوات عنيزة الذين تخلوا عن بنادقهم ورماحهم وولوا هاربين عبر السهل المنبسط، وخلفهم الفرسان المنتصرين الذين ذبحوا منهم الآلاف، وحتى بقية الحلف لم يكن حظهم أحسن حالًا، حيث كانوا مطمئنين لمناعة مشاتهم في الوسط فلم يتدخلوا بشكل حاسم في النزال، فلما أصبح الأمر متأخرًا قرر الفرسان من الرياض وعتيبة وغيرهم الانسحاب وتركوا خيامهم للعدو. وهكذا بعد ساعات من الانسحاب انتهى كل شي وطلب المنهزمون الذين وقعوا في الأسر الرحمة من خصمهم والبقاء على قيد الحياة.

لقد قتل الشيخ زامل القائد الأعلى للتحالف مع ابنه الأكبر الذي كان قد حظر من البصرة في اليوم الأول للكارثة، كما قتل عدد من أمراء بيت الرياض[3]، والبقية تم أسرهم، وفي مساء نفس اليوم استسلمت عنيزة وبريدة، وبعد وقت وجيز جاءت وفود الرس وشقراء والرياض ليعلنوا استسلامهم ويطلبوا من ابن رشيد تعيين وكلاء له في بلدانهم. لقد وقع الشيخ حسن المهنا أمير بريدة أسيرًا في يد ابن رشيد بعد أن حاول الهرب وحكم عليه بالسجن مدى الحياة في حائل.

غنم ابن رشيد بعد المعركة معسكر خصومه وما به من ألوف الخيل[4] والمؤن و 12,000

(1) الثابت أن المعركة وقعت في العشر الأواسط من شهر كانون الثاني/ يناير من العام نفسه.

(2) نولده هنا يتحدث عن المسيوق، ولكنه بالغ جدًا في تقدير عدد الجمال، وقد أشارت بعض الوثائق العثمانية إلى أن العدد يتراوح بين 800 و 1000، وقدرها البعض ب 3000 جمل.

(3) لا نعلم أحد من المؤرخين المحليين أشار من قريب أو بعيد إلى مشاركة أمراء أو مقاتلين من الرياض في كون المليدا.

(4) نستبعد وجود ألوف من الخيل في معسكر أهل القصيم لأن سلاح الخيالة لديهم كان قليل جدًا، وهو الأمر الذي كان من أسباب إخفاقهم.

بندقية عتيقة، وقد منحها مع بعض الغنائم إلى حلفائه من قبيلة حرب الأمر الذي جعل الأتراك يتهمونه بتسليح هذه القبيلة للهجوم على قوافل الحج.

4) نص المؤرخ عبدالرحمن الناصر[1]:

(....سار ابن رشيد (أي من الرياض مطلع 1308هـ) من وقته ورجع إلى وطنه وفيها أخذ ابن رشيد في إعمال الكيد لأهل القصيم، واستحث جميع العربان من شمر والظفير وحرب والمنتفق وغيرهم وسار إلى القصيم ونزل على موضع يقال له غضي، وكان أهل القصيم قد تهيأوا لقتاله، فسار حسن بن مهنا بأهل بريدة وسار زامل بن سليم بأهل عنيزة ونزلوا على الموضع المعروف بالقرعاء، فأخذوا أيامًا يتظاهرون فصارت الدايرة على ابن رشيد ومن معه وقتلوا من قومه قريبًا من خمسة وثمانين رجلًا، وقتل من أهل القصيم نحوا من خمسة عشر رجلًا ثم بعد ذلك قصد خيامه فقدم إليه في ذلك الموضع آل جربان وآل صويط فاشار عليه رؤسائهم ان يرتحل من موضعه ويقصد الضلفعة فسار ونزلها وتبعه أهل القصيم فشن الغارة عليهم قبل أن يصلوا إليه فيها، فصار بينهم وقعة هايلة صارت الدايرة فيها على أهل القصيم فهزمهم شر هزيمة وقتل منهم قريبا من ستمائة رجل من أعيانهم زامل بن سليم رئيس عنيزة وأولاد العجاجي وهم ستة وأربعة رجال من الرواف وكانت الوقعة في عشر جماد الأول (فهذه صفة الوقعة على ما حدثني من أثق به) ثم أن ابن رشيد سار من منزله ونزل الرفيعة المعروفة في شرقي بلد بريدة فأتى إليه أهل بريدة وطلبوا منه العفو والأمان فعفا عنهم وأما حسن المهنا فانه تطلبه أن يقدم إليه فقدم إليه جريحًا فسيره وعائلته إلى بلد الجبل وأقر في بلد بريدة سالم بن سبهان وفي بلد عنيزة عبدالله اليحي السليم[2]. ثم ارتحل منها ورجع لوطنه وأما حسن المهنا فأقام في حبسه قريبًا من خمس سنين وتوفي فيه)[3].

5) نص المؤرخ محمد بن علي العبيّد[4]:

(... اختلف حسن هو وابن رشيد عند زكاتهم للباديه وكلا منهم يريد يزكي بادية الأخر

(1) رغم تأخر المؤرخ ابن ناصر زمنًا عن المؤرخين الذين عاصروا الحدث كالبسام وابن عيسى مثلًا إلا أن روايته تميزت بتفاصيل لا نجدها عنده غيره، وهو يقول عن روايته (فهذه صفة الوقعة على ما حدثني من أثق به)، رغم وقوعه في بعض الأخطاء اليسيرة.

(2) هذا وهم من المؤرخ فالأمير من آل يحيا الصالح وليس من السليم.

(3) بل مكث حسن المهنا في سجنه بحائل 12 سنة من عام 1308 إلى عام 1320 هـ

(4) مقتبس بنصه حرفًا بحرف من مخطوط تاريخه الموسوم بـ (**النجم اللامع للنوادر جامع**)، مصدر سابق، من ورقة 36 إلى 39.

ومن ذلك الحين تحكمت فيهم حزازات النفوس واستمرت العداوة بينهم حتى التجأ حسن إلى صحبة زامل ابن سليم أمير عنيزة وزوج حسن المهنا ابنته واتفقوا على حرب محمد بن رشيد [حتى] كانت وقعة المليدا المشهورة [التي] انتصر فيها ابن رشيد على أهل القصيم كافة....وكان محمد ابن رشيد حريصًا على أن يفصل زامل عن حسن فما يفتر عن طلبه لوداده وصحبته وينفض يده عن صحبة حسن وقد ضمن له إمارة بلاده، وما وضع يده عليه من سائر القصيم أن يدخل تحت إمارته ووسط له الوسائط وأعطاه العهود والمواثيق على ذلك. و[لكن زاملا] صمم على حربه بجانب حسن وذلك لأمر قدره الله.

فلما كان يوم الخميس الموافق 23 من جمادى الأول خرجوا من عنيزة ومن بريدة وسائر القصيم، وكل القصيم يومئذ تابع لحسن وتحت إمرته ما عدا عنيزة وضواحيها فهي مستقلة تحت إمارة زامل ابن سليم. وحينما أرادوا الخروج من أوطانهم تواعدوا القرعاء قرية معروفة شمالي القصيم ونزلوا فيها وتواردت [عليهم] غزوان القصيم من كل جانب وأقاموا فيها بضعة أيام وهم متقابلين، ولم يكن بينهم قتال حتى بدأهم ابن رشيد بالقتال وكان معه جنود كثيرة لا يحصى لهم عدد من شمر وحرب وعنزة والظفير وهتيم ونزل ابن رشيد على الضلفعة قبالة أهل القصيم، وكانت القوافل تأتيه كل يوم من حائل ومن العراق بجميع ما يحتاج إليه من الطعام على أشكاله وأصنافه ومن الأسلحة والذخيرة، وأهل القصيم شبه محصورين في القرعاء حتى نفد ما معهم من طعام فأرسل حسن لبريدة برجل يأتيهم بالطعام وهذا الرجل اسمه عمر الحريّص فأتى لزوجة حسن أم أولاده واسمها مزنة[1] فطلب منها ما أرسل إليه فقالت له ليس عندنا طعام خذ هذه ستة أريل اشتر بها زهاب فقال مجيبا لها (ما حكمتي يا مزنه) فذهبت مثلا، ولكنه قال لها: محمد ابن رشيد تأتيه الحملات من العراق متواصلة بلا انقطاع وحنا زهاب غزونا ستة أريل ثم بعد ذلك زحف عليهم ابن رشيد وحصلت بينهم وقعه يسمونها كون القرعاء وكانت الغلبة لأهل القصيم على ابن رشيد لأنهم متحصنين في جبال ولم يكن لخيل ابن رشيد ميدان تغير به وكان معه على ما يقول المحقق من صنف الخيل (8000 خيال) وكانت الكلمة التي قالها رسول حسن إلى زوجته لطلب الزهاب قد بلغت محمد ابن رشيد وكان يرددها مرارا وقد أعجبته فلما رأى محمد ابن رشيد أنه لا طاقة له بهم ما داموا في منزلهم هذا، وأن الخيل ليس لها ميدان للغارة فرحل عن مكانه مختار له منزلا يكون أفسح من منزله وفيه مجال

(1) اسمها: مزنة بنت جارالله أبا الخيل، وهي أم صالح الحسن المهنا الذي تولى إمارة بريدة عام 1322هـ

للخيل لكرها وفرها ونزل الشيحية قرية صغيرة غرب القصيم وجعل بينه وبين أهل القصيم صحراء واسعة وهي التي تسمى المليدا فبعد رحيله رحلوا ونزلوا شرقي المليدا ونزل هو غربيها وهذا الذي يقصده لأن الصحراء كانت بينهم، ثم أنه حين ما نزلوا قبالته لم يمهلهم ومشى عليهم من ساعته بجميع جنوده خيلا ورجلا فالتحم القتال وحمي الوطيس وبلغت المعركة أشدها فقتل زامل وولده علي وبضع رجال من بني عمه وعدة رجال شجعان من عنيزة ومن قبيلة حسن ورجاله قتلى كثير، وبعد قتل الرؤساء الشجعان من أهل القصيم حلت الهزيمة على أهل القصيم وعربانهم الذين ساقوهم معهم بإبلهم وغنمهم فأصيب بهذه الوقعة أهل القصيم بكارثة عظمى بأموالهم ورجالهم لا تنسى مدى الدهر..... أما محمد ابن رشيد وجنوده فقد قتل منهم خيل ورجال ولن يضره ذلك لأنه هو الغالب.

وكان الإمام عبدالرحمن الفيصل قد استنهض أهل الجنوب بادية وحاضرة، وأتى ليكون رئيسًا لأهل القصيم بمن معه من الجنود ويتبعه يومئذ جيش جرار ويا للأسف فأنه لم يدرك الوقعة إلا وقد انقضت فقابلته فلول عربان القصيم وهو في الغاط فرجع من مكانه ذلك.....وكانت وقعة المليدا في 13 جماد آخر سنة 1308.

فمن وقعة المليدا المشهورة انتشر حكم محمد ابن رشيد على نجد كلها من وادي الدواسر إلى جوف العمر وعاملهم بالإحسان فقط الذي يؤخذ عليه من فعله الشنيع انه حين ما رأى الهزيمة توجهت على أهل القصيم ومن معهم أمر على خيوله أن يقتلون مدبرهم ويقتلون جريحهم فبهذه الصفة أوغر صدور أهل نجد بعداوته وبغضه، وأخذو يسعون لحربه بصف كل من حاربه ويتربصون به الدوائر ولو أحسن عليهم بخلاف ذلك لجني ثمرة ذلك الإحسان).

رابعًا: نصوص شعرية قيلت في كون المليدا:

- **مما قيل من الشعر الفصيح:**

ليس بين أيدينا قصيدة فصحى قيلت في زمن معاصر للمعركة، فلا يوجد إلا ما قيل بعدها بعقود طويلة، ومنها نصان اقتبسناهما من ملحمتين شعريتين. ومن هنا يمكن القول إن الشعر العربي الفصيح ساهم في توثيق بعض تفاصيل المعركة، ولكن بعد زمن من حدوثها.

النص الأول: هو جزء من قصيدة (العنيزية)[1]، وهي ملحمة في تاريخ عنيزة، نظمها الشاعر عبدالعزيز بن محمد القاضي، وهي تقع في(235 بيتًا)، الجدير بالذكر أن القصيدة طبعت بعد ست عقود من حدوث كون المليدا. وسنورد هنا الأبيات الخاصة بالمعركة وهي الواقعة من البيت (109 إلى 126)

ابن الرشيد محمد قد كان ذا حزم وكان مسدد الآراء
قد ظل يرقب فرصة لبلوغه حكما بنجد واسع الأرجاء
حتى إذا ما الأمر أقبل طائعا كشف الحقيقة بعد طول جفاء
وأتى يطوع كل نجد بدوها والحاضرين لطاعة وولاء
حتى تمادى سائرا بغزاته فأتى عنيزة وهو بالأثناء
عرفوا بأن مروره متحيزا لعدائهم فتآمروا العداء
ظهرت إليه عنيزة وبريدة لكريهة حُفت بشر بلاء
رحلوا إليه وناوشوه بشقة حتى انثنى متظاهرا بنجاء
وإلى المليدا سار بين جموعه لما أشار عليه ذو الآراء
قالوا له إن المليدا أرضها فيها مجال واسع الأنحاء
الخيل تطرد فيه وهي نجية فتحول دون تقدم الأعداء
أهل القصيم أتو إليه بجمعهم وتناذروا وتهيؤا اللقاء
حتى إذا حمي الوطيس لحربهم والأرض سال أديمها بدماء
كرت خيول ابن الرشيد عليهم من خلفهم فتناذروا النجاء
لكن أحيط بهم وشتت شملهم وقضى الإله عليهم بفناء
فقضوا على حد السيوف وقد أبو أن ينثنوا بهزيمة الجبناء
لهفي عليهم يوم شتت جمعهم بين الخيول وجولة الأعداء
أعداؤهم كثر وكانوا قلة فهل المطوق آمل بنجاء

(1) عبدالعزيز محمد القاضي، قصيدة العنيزية، بغداد، 1367هـ

[النص الثاني] فهو جزء من ملحمة الرياض للشاعر اللبناني (بولس سلامة)[1]، وهي في(8000 بيت) تتناول التاريخ السعودي كله. وكان نصيب كون المليدا منها (32 بيتًا). وسنورد هنا شواهد متفرقة من النص الخاص بكون المليدا، والأبيات مرتبة بحسب ورودها في القصيدة، منها قوله:

رأسها زامل السليم على ما يتمنى الردى وطرف الحسود

وقوله:

فجعت أختها بريدة بالوا لي مهنا صريع نار الجنود[2]

وقوله:

يا لها وقعة المليدة يوما بات فيه الجليد غير جليد

وفي الختام، يقول:

قيل فيه يا نجمه الصبح غوري قيل يا عزة الأرائك ميدي

- **مما قيل من الشعر العامي (الشعبي):**

عكس الشعراء العاميون بشعرهم عن كون المليدا مواقفهم السياسية التي ينتمون إليها، كما سجلوا مشاعرهم في حالة الانتصار أو الهزيمة. كما أنهم تركوا لنا تسجيلًا وصفيًا لمجريات أحداث المعركة ونتائجها في صورة تشبه النقل المباشر للحدث من موقعه.

ولسنا هنا بصدد سرد تلك القصائد، ولكن حسبنا التعريف بها لنتبيّن الاتجاه العام للشعراء في الجانبين نحو هذا الحدث الهام. مع التنويه على أننا أوردنا شواهد عديدة من تلك القصائد في متن هذا الكتاب بحسب المواضع المناسبة لها. ويمكن أن نصنف ما تركه الشعراء من شعر في كون المليدا، إلى غرضين أساسيين: (**الأول في الفخر والمدح**)، وهذا واضح في شعر الشعراء الموالين لابن رشيد من أهل حائل ومن غيرهم باعتبارهم الجانب المنتصر، و(**الثاني في المراثي والوجدانيات**)، وهذا الغرض سيطر على شعر الطرف المهزوم من أهل القصيم.

(1) بولس سلامة، ملحمة الرياض، بيروت، 1375هـ / 1955م.

(2) اسمه حسن المهنا،ومهنا والده. كما أنه لم يقتل بل جرح ثم أسر ومات في سجنه بعد 12سنة.

وقبل استعراض ما قيل من شعر في كون المليدا مما جاء في الغرضين السابقين يستحسن إيراد شاهدين شعريين هامين كمقدمة لما لهما من دلالة خاصة. وهما:

الشاهد الأول: أحدية للأمير محمد بن عبدالله الرشيد، قالها بعد انتصاره في كون المليدا[1]:

وأنـــا أحـمـد الله طـاب نـومي	والـمـاء عـلـى كـبـدي قـراح
مـن يـوم مـا شـفـت فـعـل قـومي	بـــأولاد عــلـي بــالــبـيــاح[2]
لـومـي عـلـى الـدنـيـا ولـومـي	ربــعــي مــرويــن الــرمــاح

الشاهد الثاني: قصيدة فجحان الفراوي المطيري التي لا يمكن احتسابها لصالح إي من الطرفين في القتال، بل هي تنضح بالحكمة والإنصاف والرغبة في الصلح، وقد قالها الشاعر فجحان الفراوي بعد هزيمة أهل القصيم في كون المليدا - لائمًا ومذكرًا لحسن المهنا أمير بريدة، وكان الشاعر صديقًا له كما كان صديقًا للأمير محمد العبدالله الرشيد، وفيها يعتذر لنفسه ولموقفه الحيادي بين الفريقين.

يـا الله يـا الـلي كـل عـين تَـرَجاك	إنـك تـنـجِّي بـاذريـن الحسـانِ
لا لمهم بأمر الولي مجري الإدراك	تـحـط ميتهـم شـهـيـد الجنـانِ
عز الله إنـا يـا بوصالح[3] نصحناك	ولا طعت عقال الرجال الذهانِ
طاوعت من لا سر عينك ودهواك	واليـوم حطك فـي محل الهوانِ
طاوعت شور ابليس وابليس أغواك	وطاوعت شور مشرذمين الاذانِ[4]
مانـتـه ردي مـيـر سيفك بيسراك	جـوك الرشيد سيوفهم باليمانِ
ماهـو ردا بـك ميـر مـاهـم حلاياك	ضْبيح مـا ضلعه لـدىٍّ لابانِ
واجهت مسط الروس ماهي حكاياك	مثل الحدج في ناعمات المثاني
زامـل فكوك الريـق وانـتـه تعشاك	كـم مصعب خلـوه جا مرجعاني

---

(1) محمد السديري، الحداوي، (2/ 38).

(2) وأولاد علي: هي نخوة أهل القصيم عامة. والبياح الأرض الواسعة.

(3) أبوصالح هو الأمير حسن المهنا، وصالح هو الأمير المشهور الذي استرجع بريدة مع الملك عبدالعزيز عام 1322هـ.

(4) الشَّرذمة هي القطع،كناية عن كونهم لا يسمعون، ومن لا يسمع لن يكون ذا مشورة ورأي حصيف راجح. وجاء في رواية منديل: «مشرهفين الأذان» وشرهفة الأذان: وصف مجازي لصاحب العجلة ومحب الشر والفتنة.

بغيت أعاون ذا وهذا على ذاك ولو ماحضرته في يدي في لساني
ذكرت نو الخير من ذا وذولاك وهودت عن رأي العرب في مكاني

أ) قصائد المدح والفخر:

قلنا آنفًا إن هذا الاتجاه من الشعر كان سمة القصائد التي قيلت في جانب المنتصر. ومن هذه القصائد نأخذ هذه النماذج:

1- **قصائد حمود العبيد الرشيد:** يعتبر حمود العبيد الرشيد الذي هو ابن عم الأمير محمد العبدالله الرشيد، أحد أهم الشخصيات بعد الأمير في إمارة حائل وساعده الأيمن، وأحد قادة الجيش الرشيدي في كون المليدا، ومن هنا تأتي أهمية شعره في هذه المناسبة ليس بصفته معاصرًا ولا شاهد عيان فقط، بل لأنه كان أحد شخوصها والمشاركين الفاعلين المقدمين فيها، بل وأحد صناع القرار في هذا الحدث الكبير، وهذا ما أكسب شعره عن كون المليدا أهمية خاصة. حيث قدم لنا وصفًا تسجيليًا لأحداث المعركة عبر ما يقارب خمس قصائد عامية، وبهذا أرى أنه يستحق لقب (شاعر المليدا)، إلا أن في شعره بعض المبالغة والتهويل أملتها عليه نشوة النصر والظفر. وقد استشهدت بشعره في مواضع متفرقة من هذا الكتاب. ومن قصائده في كون المليدا قصيدته (الهائية) التي مطلعها:

أوجب علينا الشكر والحمد ما صار رب السما محيي الوطا من سحابة

وأولها فخر بقومه وقوة جيشهم، ثم أخذ في وصف أحداث المعركة ونتائجها.

ومن قصائده في المعركة القصيدة (النونية): ومنها:

يوم جرى بالضلفعة وسهالة الله يا يوم على البوران

ومنها قصيدته (البائية) وهي تتجاوز الثلاثين بيتًا، ومطلعها:

يامن لنفس ما تريد السوالي إلا من الله جامع الناس لحساب

ومن هذه القصيدة أشهر بيت محفوظ في الذاكرة الشعبية عن كون المليدا، وهو:

يوم جرى بالضلفعة له ظلالي يعده الأول لناس بالأصلاب[1]

(1) وأيضًا يروى الشطر الثاني هكذا (يعده المولود للي بالأصلاب).

وجاء فيها تصوير لشدة القتال:

جونا وجيناهم سوات الجبالي   وصار الطمع منا ومنهم بالأرقاب
سرنا كما مزن ثقيل الخيالي   خمسين جمع شمر دون الأجناب

ثم قال:

دارت عليهم مثل وصف الحجالي   ما كنه إلا حوطة ما لها باب

ثم قال:

ساعة تلاقينا وحمي القتالي   غدا لهم في حومة الجيش ضبضاب

ثم قال:

أول علفها زاملٍ والعيالي   وتفيحت ما بين ذابح ونهاب

وله قصيدة (يائية)، جاء فيها ذكر لحلفاء القصيم من البادية:

أغدوهم البرزان هم والشيابين   ومنهم تبروا حدنا سايرني

وعن المسيوق قال:

ثار الدخن بغضي بين الفريقين   والبل ساقوها عليه الكميني

وذكر مقتل الأمير زامل السليم (أمير عنيزة) ولكنه بالغ في عدد القتلى:

وزويمل بوجيهنا طاح وألفين   ذبح براس النازية والبطيني

وله قصيدة خامسة مطلعها:

ياالله اليوم تجعل حرفنا   نصرة الدين هو والشروعي

ويقول عن القتلى:

كم من عديم لراسه شلفنا   وين زامل وهاك الربوعي
والله إنا عليهم وقفنا   موتى مثل أفام التبوع[1]

(1) التبوع هي البهائم، ويقصد أن رؤوس قتلى خصومه بأفواهها المتهدلة، تشبه رؤوس البهائم المشوية بالنار.

سمحت النفس باللي حرفنا يوم صاروا سوات الجذوعي

ويقول عن حلفاء جيش حائل في القتال:

الشعالين بأيسر طرفنا والصويطات معنا فزوعي
عقب عشر وعشر رجفنا كل نزال هاك الضروعي

2- **قصيدة مفضي السلمي**: وهو مولى الأمير محمد ابن رشيد وقد حضر المعركة إلى جانبه، فهو شاهد عيان للقتال، وقد صور لنا كون المليدا في قصيدته (الرائية) وعدد أبياتها 28 بيتًا ومطلعها:

الحمد لله بيده المن والعطاء عطاني ربي على ما أريد وال البصاير

ومما قال فيها:

شالوا من القرعا يبونه بحيلة وحنا بحيل الله عليم السراير

وجاء فيها:

وثار الدخن من بين ربعي وبينهم وغدا بالمليدا مثل صفق السعاير
فضاهم بالمسيوق عمي محمد وكثر بهم فهد الزراج العثاير

3- **قصيدة عيادة بن منيس الشمري**: وتربو على (33 بيتًا)، وجاء مطلعها:

بالأتوام[1] وعقاب الجبل قايد لنا وبالشبط إلي قدت ليالي بروده

وهو بهذا البيت حدد زمان المعركة، وأنها حدثت في وقت شدة البرد في موسم الشبط. كما أنه ذكر لنا اسم أحد قادة المعركة من شمر وهو (عقاب بن عجل). وعن إطلاق المسيوق في المعركة يقول:

واللي يذود الذود بيننا وبينهم قدام فريس القبايل يذوده

وعن لحظة تصادم الجيشين، يقول:

وغدوا كما جم الركايا جموعهم وأنتم على جم الركايا وروده

(1) الأتوام، يقصد الجماداان أي شهر جمادى الأولى وشهر جمادى الآخرة

وردوا ورود الذود لي ناشه الضما	لي صار خمس والضما في كبوده

وقال في تصوير كثرة القتلى:

وغشى حزوم غضي نوما جنايزه	إليا ما غشى تال الذبايح نفوده

وعن مصير قيادات جيوش القصيم يقول:

بكفه عمس ناره والكبد برده	وخلى بريدة للضياغم جدوده
يا ذيب لا تعتاش من بطن زامل	شيخ يغير بالقبايل قعوده

والشاعر يشير في البيت الأول إلى فرار الأمير (حسن المهنا) واحتلال بريدة، ويشمت في البيت الثاني بمقتل الأمير زامل السليم.

4- قصيدة الشاعر ناصر المطيري: ويبدو من ظاهر الأبيات أن قائلها قد شهد القتال لأن وصفه فيها وصف الرائي، وهي قصيدة تنشر لأول مرة[1].

قال المطيري والمطيري ناصر	يومٍ جري يستاهل التفخير
كرامة من غضي ليا حد الغضا	وايدامها زامل وربع غير
هزّبْت بالحكام يا بن مهنا	هزّبت بالحكام يا مدعير
لا تحسبن الحرب يابن مهنا	رغفان تنور وفراش حرير
محمد كما نجم يقض من السماء	فيّض من روس الهضاب وكير
عبدالعزيز أرخي مثاني حباله	يجلهم جل الفحل لعشير
وماجد على عندا ترثّع بينهم	يضرب بسيف باليمين شطير
دغر بهم ولد الدغيري وانتخوا	كما قطيع واردن له بير
دغربهم ولد الدغيري وانتخوا	تناخوا بعلي ولابهم توخير
دغيرات باللقوات يعجبك فعلهم	ياما يتموا من عيلٍ صغير

(1) زودني بهذه الأبيات مشكورًا المؤرخ نايف بن مطلق الشمري. والقصيدة أطول من هذا.

5- **قصيدة الشاعر عبدالله بن سبيل**، والتي يمدح بها الأمير محمد العبدالله الرشيد[1]، ومطلعها:

بديت بذكر الله على كل ما طرى   مجيب الدعاء معطي العطايا والجزايل

والقصيدة ليست في كون المليدا، وإنما قيلت في مناسبة أخرى، ولكن الشاعر وهو يعدد مآثر ممدوحه ابن رشيد لم يكن ليغفل عن انتصاره في كون المليدا، ومما جاء في القصيدة عن هذا الحدث الأبيات الآتية:

مثل رثعته يوم السعود تمايلوا   وأهل القصيم وبان هرج الصمايل

ذبح روسهم والحي منهم بحبسه   خذيل ذليل بالردا والفشايل

ملك دارهم ومدارهم يوم دارهم   واللي شرد منهم رمى له حبايل

يصيدن حذرات الوحوش حبايله   صوايده ما تدرك إلا الجلايل

6- **الشاعرعبدالرحمن بن معيتق الشملاني العنزي**: نظم هذا الشاعر (قصيدته المرضية) في ستينيات القرن الماضي، وهي طويلة مدح بها قبيلته عنزة، نورد منها هذه القطعة التي يشير فيها إلى بعض أحداث المعركة:

ويومن جرى بغضي مابه تجاهيل   حنا به ابخص منك صدق صمايل

محمد بكى شاف الغنم عند اباالخيل   ردوا عليه وقربن الحبايل

يبكي و ينخي شمر يا اهل الخيل   وصكوا عليه اللي بنوا سور حايل

ومن بكوته شمر بكوا خافوا الميل   ماهمهم كسب الغنم والرحايل

وجوه الظفير اسويط ربعن مشاكيل   واهدوا عليه الشور وانكف شايل

متحيز ما بين مكرن و تذليل   وصارت على القصمان عوجا دبايل

(1) الجدير بالذكر أن ابن سبيل في هذه القصيدة، أشار في أحد أبياتها إلى ما يدور آنذاك من أن الأمير محمد ابن رشيد هو (القحطاني) الوارد في الحديث الشريف، الذي يخرج آخر الزمان، يقول ابن سبيل:

وهو خاتم الشيخان لا شيخ بعده   إشارة سميه نزلت بالرسايل

ومعنى البيت (الصدر) أن ابن رشيد هو آخر الحكام في آخر الزمان ولا شيخ بعده، (العجز) وذلك بسبب إشارة وردت على لسان سميه (النبي ﷺ) كما جاءت في الأحاديث النبوية.

ب) قصائد الرثاء:

أما أهل القصيم وهم (الجانب المهزوم) في المعركة فقد أوجعته المصيبة، فعبر شعراؤهم عن وجدانهم المعتصر بألم الهزيمة، مع فقد الأحبة والقادة والشكوى من المحتل الذي جثم على بلادهم. ونلاحظ أن الكارثة تجلت على أهل القصيم على عدة مستويات(سياسية وعسكرية واجتماعية) مما قلل شعرهم في توثيق كون المليدا[1]، وقد ركزت تلك القصائد القليلة على المراثي والتحسر على كثرة القتلى، ولكنها مع ذلك تركت لنا وصفًا متواضعًا عن مجريات القتال في المعركة. ومن هذه القصائد التي وصلتنا:

1- قصيدة نورة الهطلاني: وهي شاعرة من عنيزة شارك زوجها (نهار الرهيط) في كون المليدا وكان في عداد القتلى، وخلف لها بنتًا واحدة اسمها (هيا) فرثته زوجه بقصيدتين، ويهمنا هنا قصيدتها الشهيرة (الفائية)، حيث ورد فيها شيء من وصف المعركة وموضعها ووقتها وتاريخها. والمحفوظ منها عشرة أبيات فقط[2]، ولا نعلم هل هي أطول من ذلك أم لا. وجاء مطلعها:

لعل جو الضلفعة للدمار ... ولا يدب به الحياد دايم حاف

وقالت تصف القتال والقتلى:

حيث أنه يذكر به الحرب صارا ... حزت غروب الشمس يضرب بالأوصاف

لا واحسايف يا عيال سكارى ... زمول الأوادم ما ثمنهم بالآلاف

ترى السعيد اللي قعد له بدار ... ولا حضر كون المليدا ولا شاف

وعن تحول الحال من عز إلى ذل، قالت الشاعرة:

جته الشهود، مزنجل بالوسارا ... من عقب بيت العز طق له خصاف

2- قصيدة لشاعرة مجهولة: هذه قصيدة لشاعرة من نساء عنيزة، ولكني لم أستطع التوصل لمعرفة اسمها وقد قالتها في رثاء والدها الذي قتل في كون المليدا،

(1) محمد السلمان، الأحوال السياسية، مصدر سابق، ص274.

(2) سليمان الهطلاني، شعراء عنيزة الشعبيون، مصدر سابق (3/ 86).

وقد بلغني من الرواة أنها قد تناهز الـ (90 بيتًا). وقد ظفرت بثلاث أبيات (فقط) من هذه القصيدة. وسأضع الأبيات التي وصلتني على أمل العثور مستقبلًا على بقية القصيدة وشاعرتها، ومن حسن الحظ أن الأبيات الثلاثة معبرة، وذات قيمة تاريخية عن المعركة ووصف القتال فيها، وهذه الأبيات هي:

ذيب المليدا بالأحبة تثارا ياكل طري وذا مغب وذا جاف
تسمع رصاصة مثل ضرب الحجارا والخيل من بين الصلاتين وقاف
تتنى الكسيرة حين زال النهارا قامت على الشيخان تسعى وتطاف[1]

3- **الشاعر محمد العبدالله العوني:** وهو من كبار شعراء بريدة، ويظهر من سياق سيرته وشعره أنه لم يحضر القتال في كون المليدا، ولكنه أصيب بصدمة نفسية عنيفة لأن صديقه (عبدالعزيز بن محمد المهنا)، وهو أحد فرسان بريدة قد قتل في تلك المعركة بصفة تبعث على الحسرة والفخر في نفس الوقت. وقد رثاه الشاعر في قصيدتين، فقد رثاه ولكنه لم يذكر اسمه صراحة، ولكنه أشار إلى كيفية مقتله حيث قال:

من واهج بالصدر لا زاد حره لا صار يضرب بالنواضر شراره
عليك يا شيخ نزا عن شمره مع أيمن الصبخا يسار الزباره
نخاه خالد والسبايا مصره وعوديبي يظهر معفي جواره[2]

وللعوني قصيدة يمدح فيها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين، وجاء فيها على ذكر صديقه عبدالعزيز المهنا. والقصيدة في (74 بيتًا)، وقد جاءت هذه القصيدة كاشفة عن مقدار الألم والحسرة في قلب الشاعر لما آلت إليه أوضاع بلده بريدة بعد هزيمة المليدا، مما دفعه إلى تركها والهجرة منها، وأحد أسباب ذلك أن الوضيع صار فيها رفيع، ومنها أيضًا أن صديقه ذهب إلى البرزخ كما يقول. ويقول في مطلعها:

أقسمت بآيات عم ما نشاربها دار تكدر لنا صافي مشاربها

---

(1) يلاحظ أن قافية هذه الأبيات تشابه قافية قصيدة نورة الهطلاني وهي (الفاء). وكذلك الوزن والتفعيلة تكاد أن تتطابق، وبما أن قائلة هذه الأبيات مجهولة رغم البحث والتقصي، والرواة يروون أنها امرأة قتل والدها فهي بذلك تشبه حالة نورة الهطلاني، ولذا فيحتمل أن تكون الأبيات الثلاثة قطعة من قصية نورة الهطلاني. والله أعلم.

(2) عبدالله البسام، الخزانة (5/ 121). وقد رواها بألفاظ مختلفة يسيرًا.

ورثى صديقه عبدالعزيز المهنا بقوله:

هل كيف أبا عيش مرتاح وصاحبي زام على برزخه عالي نصايبها
لعل روح بها روحي معلقة تحشر مع أرواح أهل بدر يفاز ابها

وللعوني قصيدة ثالثة في (الشكوى من الزمان) يشكو فيها من تحول الحال وتغير الزمان. وجاءت في ما يربو على السبعين بيتًا. ويبدو أنه قالها في الكويت بعد سنتين من كون المليدا. بدليل قوله في مطلعها:

ولبٍ بصندوق الضماير مشاكين ويش الحول عزي لحالي بحله
ويش الحول ذا له بالاضلاع عامين بين المحاني والسواعد محله

ويقول فيها:

جتهم فجاة والفزوع امتتلين ما ثمنوا إنه عليهم مغله
صبت عليهم صايبات الأكاوين حقت عليهم بالفنا مستهله
أمسو بذل عقب ما هم عزيزين وحكموا وقادوهم هل الحكم كله

4- الشاعر محمد بن أحمد المطير السبيعي: وهو من شعراء عنيزة، وله قصيدتان بعد كون المليدا، يتوجد فيهما على بلده وما آلت إليه الأمور فيها، وعلى مقتل الأمير زامل وخيار رجال بلدته عنيزة.

1- القصيدة الأولى: تقع في سبعين بيتا، ومطلعها:[1]

أرى الدار ما فيها مقام أراه من يوم ذلها أو عراه
امنول أهلها على قلب واحد هذا أخي هذا وذاك أباه

وقال فيها عن الأثر المباشر للمعركة في بلدته عنيزة:

ولا نيب لايمها على ما جرى لها وأقول من حر المصيبة آه
على ديرة يا حيف راحت عطية عطية مقيط والحقوه رشاه
سكانها ماتوا وأهلها تشتتوا وصارت من الفرقا تزج عواه

---

(1) سليمان الهطلاني، شعراء عنيزة، مصدر سابق 3/ 82

تبي أمير لين على الضد قاسي رحوم غشوم ما يرد هواه

ثم بعد عدة أبيات استغرقها في مدح الأمير زاملًا والتوجد عليه، يقول:

وهو زامل المعروف مبدي كيد العدا تحير الأريا في عظيم دهاه

2- وفي قصيدته الثانية يرثي الشاعر محمد المطير الأمير زاملا، وجاء فيها[1]:

أرى المنازل كد خلت من رسومه طير شلع عنها وطير يرومه

وازمامها خلي طريح وصابوه بين النفود وبين عالي حزومه

ياما بكته العين ياما تمناه ياما رفا خملاتنا ثم غطاه

واليوم حل الضيم من عقب فرقاه صرنا دراويش تقدم سلومه

مرحوم يا ثاو على راس عثمور من عقبك الدنيا تراها بحادور

ثم يتمنى هزيمة لعدوه كالهزيمة التي مني بها قومه، فيقول:

لو كان ياطا الشمري مثل ما صار نذر عليّ ألفين يوم لصومه

5- الشاعر عبدالله العريني الملقب (ساحوت) من أهل الخبراء[2]:

صكوا علينا بالمليدا تقل سور في يوم أقشر ما لقي من عذابه

خانوا بهم يا صلوح سواقة الثور ويا نعنبوا يا صلوح شيخ سعى به

فروا فرير الذود لا صار مذعور وإلا الغنم أوحت قنيب الذيابة

خامسًا: مشاهد متفرقة من كون المليدا:

نورد هنا مشاهد متفرقة لا يجمعها سياق واحد لكون المليدا، قد تكون وقعت أثناء القتال أو قبله أو بعده، والهدف من تسجيلها هو التوثيق ونقل صور مقربة للقارئ الكريم تعكس البعد الثقافي والاجتماعي والديني في هذه المعركة الشرسة.

- عندما أغار محمد ابن رشيد بجيشه على عين ابن فهيد وهو في طريقة لحرب

---

(1) سليمان الهطلاني، شعراء عنيزة، مصدر سابق 3/ 84

(2) أحمد النفيسة، الخبراء ورياض الخبراء، 1427 هـ.

أهل القصيم في كون المليدا وجد خيلًا لمنديل بن علي الفهيد أمير عين ابن فهيد وكان عددها 36 فرسًا ترعى في روضة العين فأخذها رجاله، ومعها فرس أصيلة صعبة المراس اسمها (سعدى)، وهي خاصة بمنديل ولا يركبها إلا هو أو خادمه سعيّد، فكتب منديل لابن رشيد يطلب منه رد الخيل فردها عليه، ومن ضمنها فرسه سعدى[1]. ولشهرتها فقد قيل فيها شعرًا:

أقبلت سعدى تقادي من شمال البلادي
واعتلى منديل سرجه سم لوجه المعادي

- كان مبارك الفريخ من سنجارة من شمر حاملًا لبيرق ابن رشيد ومن الذين سقطوا قتلى في معركة القرعاء، فتقدم ابنه عبدالله وهو شاب صغير وحمل الراية، فاستحق أن يخلف والده فتولى بذلك حمل راية جيش حائل في الحروب اللاحقة. وهناك رواية تقول أن الذي قتله هو عبدالعزيز بن خالد بن عبدالعزيز الرشيد الملقب بـ(شعيل) من أهل الرس وأن ابن رشيد قبض عليه بعد المعركة جريحًا وسلمه لعبدالله بن مبارك الفريخ فقتله بوالده.
- أصيب (علي إبراهيم المجراد) من أهل حائل في القتال إصابة قاتلة، وعندما كان يحتضر أخذ من حوله يلقنونه الشهادة فقال لهم وهو في النزع الأخير خلوني من الشهادة اللي عند ربي سألقاه لكن بشروني بكسرة القصمان، فمات على هذه الحالة.
- ممن قتل في المعركة (عبدالعزيز بن محمد المهنا) قائد خيالة بريدة، إذ إنه في حال الهزيمة كان منهزمًا، وكان صديقه خالد بن عبدالله السليم قد عقرت فرس تحته وهو منسحب فأصبح راجلًا يبحث عن من يحمله فمر به عبدالعزيز المهنا فارًا على فرسه، فاستنجد به خالد السليم ليحمله فعاد إليه عبدالعزيز المهنا لينجده، فعقرت فرس ابن مهنا كذلك، فأصبحا تحت نيران عدوهما فقتلا معًا.
- كان عبيد العبدالمحسن ممن خرج للقتال مع جماعته أهل بريدة وهو شاب أعزب، فلقيه فهد الهديب قبيل المعركة، فقال له كيف تقاتل وأنت لم تتزوج فإن قتلت مت

(1) علي محمد الفهيد، عين ابن فهيد قاعدة الأسياح، الرياض، وكالة وزارة الثقافة والإعلام، 1430هـ، ص184.

أعزبًا، ثم عرض عليه الزواج من ابنته فوافق، فعقد له النكاح عليها وهما في مخيم المعركة، ثم كتب الله لهما السلامة فعادا، وأنجب عبيد أولادًا عدة سمى أحدهم فهدًا اعترافًا بفضل فهد الهديب والد زوجته عليه[1].

- قدم بريدة قبل القتال الشيخ (عبدالله بن علي بن سليم) وهو من آل سليم الذين في الدرعية على أبناء عمه المشايخ من آل سليم المشهورين في بريدة، وأثناء زيارته لهم جرت أحداث المعركة فخرج معهم للقتال وقتل فيمن قتل.

- في ليلة المعركة قدم من البصرة إلى عنيزة علي ابن الأمير زامل، فلما كان الفجر أول يوم المعركة خرج للقتال إلى جانب والده الأمير زامل، فكان إلى جانبه لحظة مقتله فأسرع إليه ليسعفه فأصيب برصاصة قاتلة فسقط قتيلًا إلى جانب والده[2]. وقبل ذلك كان (حتيش) وهو مملوك للأمير زامل قد حاول إسعاف سيده فقتل إلى جانبه. فسقط الثلاثة قتلى مجندلين بجوار بعضهم البعض.

- وممن حضر القتال مع الأمير زامل ابنه صالح، وكان فتى صغيرًا لم يتجاوز عمره 15 سنة ولذا لم يباشر القتال، وكان معه منظار (دربيل) يتابع القتال من بعيد[3]، وقد سلم ولم يقتل. وقدر له أن يكون أمير غزو عنيزة لفترة طويلة فيما بعد، حيث قتل في معركة جراب.

- بعد القتال أخذ الأمير ابن رشيد يتفقد القتلى، ويرافقه ابن عمه حمود العبيد الرشيد، فجاء من أخبره أنهم وجدوا جثة زامل السليم فتقدم ابن رشيد إليه وتفحصه وتأكد من هويته، وكان ممددًا وقد سقط عنه شماغه وانكشف رأسه، فأخذ ابن رشيد يتوجد عليه، ويشير بعصاه إلى رأسه ويقول: (والله من الدهاء بهالراس).

- كان الشيخ (محمد بن سليمان العمري) قد خرج للقتال من بريدة، وكان يطوف على صفوف المقاتلين ويحثهم على ذكر الله تعالى وكان يردد (اذكروا الله تنصروا)، وعندما وصل خبر وفاة شيخ بريدة الكبيرمحمد بن عمر بن سليم، وأهل القصيم في معسكرهم في غضي قبيل نزولهم المليدا، قام الشيخ (محمد العمري) بجمع

---

(1) رواها لي الشيخ عبدالملك البريدي في مجلسه في بريدة يوم السبت 13 شوال 1435هـ.

(2) أوردتها مصادر كثيرة من هذا الكتاب منهم عبدالله البسام في الخزانة (5/ 122).

(3) عبدالله البسام، الخزانة، (5/ 122). وقد قتل الأمير صالح في معركة جراب 1333هـ.

الناس والصلاة عليه صلاة الغائب[1]، وحضر الصلاة عليه الأميران حسن المهنا وزامل السليم[2].

- بعد انتهاء القتال ورجوع من سلم إلى أهليهم كان الشيخ محمد بن سليمان العمري ممن فقد بعد المعركة ولا يدرى هل هو حي أم في عداد الموتى، وكانت زوجته قد انتظرت رجوعه تلك الليلة وصنعت له طعام العشاء، وعندما تأخر غلبها النوم فنامت قرب باب الدار لكي تشعر به إذا جاء، وفي نومتها تلك سمعت في المنام من يهتف بها ويقول: (قومي حادي، الشيخ محمد تزوج حورية)، فأيقنت بمقتله ولبست الحداد عليه [3].

- في أثناء المصاف للمعركة حاول الأمير زامل السليم التقليل من قوة الخصم في نفوس رجاله، فعندما رأى خيول خصمه مقبلة قال لمن حوله ساخرًا: (وش ذي !! بقر الخبوب؟) فقال له بعض من حوله: (هذي خيل الرشيد الله يكفينا شرها)[4].

- ومن المواقف التي وقعت في المعركة ما حدث لـ (علي بن عثمان بن حماد الخويطر)[5] من أهل عنيزة حيث كان ممن اشترك في القتال[6]، وأصيب فيه بثلاثة جراحات في يده ووجهه وظهره، وكان أخطرها الذي في ظهره حيث كان جرحًا بليغًا غائرًا فأقعده عن الحركة فزحف تحت ظل شجرة، فهجم عليه فارس من خصومه يريد قتله بسيفه وهو يصيح يا لثارات عقاب، ولكن (علي الخويطر) تناول غصنًا طويلًا من تلك الشجرة وأخذ ضرب بها الفرس إذا أقبلت، وتكرر هذا منه حتى أجهدته جراحه وأيقن بالموت فأخذ يتشهد والفارس على فرسه ينظر إليه، عندها أحجم ذلك الفارس عنه، وقال له: نجوت، وتركه لمصيره. وذلك لأنه لم ير أن من أخلاق الفرسان الإجهاز على محتضر. وبعد انتهاء القتال كان أحد أهل القصيم يتفقد أرض المعركة ليسعف من به رمق فوجد (علي الخويطر) الذي طلب منه أن يحضر له ناقته

(1) ناصر بن سليمان العمري، ملامح عربية، ص87.

(2) صالح بن سليمان العمري، مصدر سابق، ص 53.

(3) المصدر السابق ص 446.

(4) نفس المصدر السابق.

(5) هو جد الوزير عبدالعزيز بن عبدالله بن علي الخويطر، وكان مولده عام 1261 وتوفي عام 1358هـ.

(6) اشترك العديد من أسرة الخويطر في المعركة، وقتل منهم أربعة رجال.

فأحضرها له، وقال له ضعني على الشداد واربطني جيدًا كي لا أسقط ووجه الدابة لعنيزة، واتركها فهي تعرف طريقها، وفعلا تم ذلك ولكن الناقة أخذت في طريقها من أرض المعركة إلى أن وصلت بيت الخويطر بعنيزة ثلاثة أيام بلياليها، وصاحبها الجريح فوقها يتألم من جراحه، وهي في سعة من أمرها ترعى وتبرك وتثور حتى وصلت بيته في عنيزة فجرًا، ففطن بها حريم البيت (والدته وزوجه) ولأول وهلة ظنتا أن الدابة بمفردها، وأن صاحبها قد مات وعندما اقتربتا وجدتاه مربوطًا جريحًا فانزلتاه وعالجتاه حتى عوفي وعمر، وعاش نصف قرن بعدها[1]. الجدير ذكره أن أخوه حماد شارك في القتال إلى جانبه وكان من ضمن القتلى.

- كان (عبدالله المهنا) أخو الأمير حسن المهنا ممن حضر المعركة وأصيب بها فأخذ يعرج، فدخل بريدة على ترقب وبينما هو متجه للمسجد للصلاة لحق به محمد العلي أبا الخيل فقال له محذرًا إن ابن رشيد يطلبنا، ولا بد من الهروب إلى الكويت فهرب عبدالله إلى المذنب عند أميرها يوسف العقيلي[2] الذي كان صهرًا للأمير حسن المهنا ولكن أمر ابن رشيد قد سبق لأمير المذنب بالقبض على الفارين من آل مهنا، فتظاهر يوسف بسجن عبدالله اتقاء لغضبة ابن رشيد، وسجنه في غرفة وجعل عليه حارسًا، وجعل جارية مملوكة تخدمه فتمارض عبدالله المهنا، واتفق مع الجارية على أن تتوصل لأربعة من البادية يعرفهم لتهريبه إلى الكويت فتم له ذلك، ويبدو أن هذا تم بعلم يوسف أو بتغافله حتى سهل هروب عبدالله. وهذا مما يبعد الظن بأن يوسف العقيلي كان لديه نية في تسليم (دخيله) لابن رشيد، وهروبه يدل على تراخي يوسف وعدم جديته في تسليمه لابن رشيد[3].

- ومن الطرائف أن رجلًا جاء إلى مخيم ابن رشيد في الرفيعة قرب بريدة بعد المليدا وهو يسوق (18 حمارًا) محملة (بالبرسيم والرطب) وقال هذا لخيل الأمير، فقال

(1) عبدالعزيز الخويطر، وسم على أديم الزمن، الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ، (1/ 144). وذكرها على نحو مقارب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، الخزانة (5 125)، وعلي الخويطر يصير خال الشيخ عبدالله.

(2) كان يوسف العقيلي قد تم تعيينه بعد المعركة مباشرة من قبل ابن رشيد أميرا للمذنب خلفا لصالح الخريدلي الذي قتل في المعركة مع جيش القصيم.

(3) حدثني بها من اثق به من أسرة آل أبا الخيل.

له ابن رشيد: من أنت؟ فقال أنا الكراع. قال له الأمير: أنت طويل الذراع[1].

- كان الشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة فيما بعد) أثناء المعركة في مصر يطلب العلم في الأزهر، وقد وصلت إليه أخبار كون المليدا، وبلغته هناك إشاعة مقتل أخويه حمد ومحمد في القتال، فقرر العودة إلى عنيزة عن طريق البحر فلما وصل إلى جدة توجه إلى مكة المكرمة للعمرة، وهناك علم بعدم صحة خبر مقتل أخويه، فأقام بمكة المكرمة يطلب العلم[2]، حتى حصل في نفس العام على إجازة علمية من بعض علمائها.

- بعث علي المنصور الزامل - وهو في عنيزة لم يخرج للقتال - رسالة إلى ابن عمه الأمير زامل وهو في الطريق للمعركة ينصحه بالعودة وعدم القتال وقال له محذرًا من قوة خصمه: إن ابن رشيد مثل صاحب السفينتين إن عطبت واحدة نجا على الأخرى (ربما يقصد الإبل والخيل) ثم قال له إن لم ترجع فلا تبرحوا عداين البصر (أي الكثبان الرملية للبصر) فإنها تحميكم من غارات ابن رشيد فيملّ ويرجع عنكم.

وعندما قتل الأمير زامل ووقف ابن رشيد على جسده صريعًا وجد هذه الرسالة في جيبه فأعجب برأي علي الزامل وحكمته وسعة عقله[3].

- شاع خبر كون المليدا في جزيرة العرب وخارجها فوصل إلى مصر والشام وإستانبول، وقد سجل أحد الشعراء شيوع خبر المعركة ووصوله إلى نواح بعيدة بقوله:

مدت به الطرشان والجمالة وطقت تيول به إلى السلطان

والشاعر في هذا البيت ذكر وسائل نقل خبر المعركة وانتشاره، (فالطروش) وهم السعاة يوصلون الخبر للمناطق قريبة. أما (الجمالة) فيوصلون الخبر على الجمال كالبريد إلى مناطق داخل نجد والجزيرة العربية. أما التيل (وهو التلغراف) فبه وصلت أخبار المعركة إلى مركز السلطان العثماني في إستانبول.

---

(1) ابن عبيد، التذكرة، مصدر سابق،الجزء الأول ص287.

(2) عبدالله عبدالرحمن البسام، **علماء نجد** (2/ 368). محمد القاضي، **روضة الناضرين** (1/ 154).

(3) عبدالله عبدالرحمن البسام ، الخزانة (5/ 123).

- رؤيت في كون المليدا منامات عديدة من عامة الناس في القصيم، قبل المعركة وبعدها، وأحببت توثيقها هنا لأنها تعكس أحاسيس الناس وهمومهم. وتساهم في رسم صورة اجتماعية صادقة لمجتمع القصيم آنذاك حيال هذا الحدث الجلل الذي أصابهم. (**الرؤيا الأولى**)[1]: رأى معيوف المعيوف، وهو من أهل عنيزة قبل المعركة (أن دبًا[2] كثيرًا جدا يغشى أهل عنيزة)، فأولوه بالجيش الذي يهاجمهم. وربما كناية عن كثرة القتلى من أهل عنيزة. و(**الرؤيا الثانية**)[3]: رأى أحد الناس قبل المعركة أن برج المراقبة الذي عند مدخل جامع عنيزة ساقط، فأولوه بالهزيمة. و(**الرؤيا الثالثة**)[4]: رأى رجل من أهل عنيزة ثلاثة أقمار في السماء تصادمت، أحدها سقط في الأرض، والآخر انثلم، والثالث علا واستنار في السماء. فكان تأويلها أن القمر الذي سقط هو الأمير زامل حيث قتل في أول المعركة، أما القمر الثاني فهو الأمير حسن المهنا الذي جرح في المعركة ثم سجن بعدها، أما القمر الثالث الذي علا فهو الأمير محمد ابن رشيد حيث انتصر وعلا نجمه. و(**الرؤيا الرابعة**): ومن الرؤى بعد المعركة، رؤيا رأتها السيدة (نورة بنت فهد الحميد)[5] من نساء بريدة، حيث رأت (أن دخانًا كثيفا مرتفعا يسير من جنوب بريدة إلى شمالها) فأولت الدخان بأنه الجيش الغازي. ولما أصبحت قالت لزوجها: إن جيش ابن رشيد سيرحل. حيث كان معسكره خارج بريدة، فسخر منها زوجها ثم تبين له صدق تأويلها عندما شاهد بنفسه جيش ابن رشيد وهو يرحل من معسكره في الرفيعة[6].

(1) المصدر السابق (5/ 169).
(2) والدبا: هو الجراد في مرحلة اليرقة.
(3) المصدر السابق (5/ 124).
(4) نفس المصدر السابق.
(5) نورة الحميد هي جدة (من جهة الأب) للشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن المسند الداعية والواعظ المعروف.
(6) محمد العبودي، **معجم أسر بريدة** (4/ 554).

الفصل السادس

الأحداث التي جرت
بعد توقف القتال

أسـرى بـهـم وسـرى فـي سيـره قدما الأرض قد صارت له والخصم مندثر

عبدالمحسن منصور العمري

أولًا: تحرك ابن رشيد بقواته بعد انتهاء القتال:

بعد انتصاره في كون المليدا أقام ابن رشيد في ميدان القتال أيامًا ولم يغادره، وذلك ليتمكن من متابعة تحركات حسن المهنا الذي فر جريحًا من ميدان القتال واتجه إلى بريدة، وقد خشي ابن رشيد أن يتحصن حسن المهنا في قصر بريدة المنيع، ولذا لم يستقبل الوفود للتهنئة بالنصر وهو في معسكره في أرض المعركة[1]. وبعد أن وصلته الأخبار بخروج حسن من بريدة يائسًا من المقاومة متجهًا إلى عنيزة عند ذلك تحرك ابن رشيد من معسكره وذلك بعد ثلاثة أيام من انتهاء المعركة[2]. أي في يوم الثلاثاء16جمادى الآخرة 1308هـ، ونزل في موضع يقال له (الزرقاء)[3] غرب بريدة يتميز بكثرة المياه، ثم تحرك إلى جهة شرق بريدة خارج سورها ونزل في موضع يسمى (الرفيعة)[4] وضرب مخيمه فيه، وفي ذلك الموضع بساتين لخصمه حسن المهنا[5]، وفي نزول ابن رشيد في ذلك الموضع

(1) الذكير، الخزانة (7/ 285)، مصدر سابق.

(2) عبدالله البسام، الخزانة (5/ 126)

(3) منصور الشعيبي، **الخبوب تعليم وأمجاد**، ص 231.

(4) إبراهيم القاضي مصدر سابق، ورقة 4. ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة 40. الذكير، الخزانة (7/ 285)

(5) إبراهيم بن عبيد، مصدر سابق، الجزء الأول ص 286.

تحديدًا - العائدة ملكيته لحسن المهنا - رسالة مبطنة لا تخفى على الأريب، وفي مقامه ذاك حُمل إليه خصمه أمير بريدة أسيرًا[1]. إلا أن هناك سببًا موضوعيًا لاختيار ابن رشيد لهذا الموضع ليقيم فيه معسكره. وهو أن شرق بريدة التي تقع فيه مزارع كثيفة كانت تمثل الواجهة الرئيسية لمدينة بريدة قبالة سورها وبواباتها الرئيسية. حيث خبوب بريدة الشرقية الأكثف زراعة والأقدم عمارة.

وفي مخيمه في الرفيعة أقبلت الوفود على الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد من الحاضرة والبادية، مهنأة بالنصر ولتبايعه على السمع والطاعة. وممن قدموا عليه الوجيه عبدالله بن عبدالرحمن البسام وبصحبته أعيان من أسرته، وجرى بينهم التباحث فيمن هو الأصلح ليتولى إمارة عنيزة[2]. وممن قدم عليه من أهل عنيزة عبدالله بن يحيى الصالح آل أبو غنام وأخوته صالح ومحمد وعبدالرحمن وحمد. وهاتان الأسرتان (البسام واليحيى) لم يشهدا القتال ضد ابن رشيد في كون المليدا. ولكن وثيقة عثمانية أشارت إلى دور خيّر للجناح الموالي لابن رشيد في عنيزة، حيث ذكرت أنهم سارعوا في طلب الصلح بعد المعركة[3]، أي طلبوا من ابن رشيد العفو عن أهل القصيم وعدم معاقبتهم عقابًا جماعيًا.

أما بريدة فإن الأمير ابن رشيد عزم على معاقبة أهلها، ولكن شفاعة العلماء والأعيان والوجهاء وجدت آذانًا صاغية من الأمير ابن رشيد فتراجع عن مراده[4] وامتثل لمقولة (العفوعند المقدرة)، وكان قد وفد عليه بعض العلماء ونصحوه بالعفو والإقلاع عن العقوبة ومن هؤلاء قاضي بريدة الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم، والشيخ علي الجلعود آل جليدان من فقهاء عنيزة[5]، وقد استقام ابن رشيد في مخيمه قرب بريدة قبل أن يرحل إلى بلاده (40 يومًا)، حيث دخل مدينة حائل في آخر رجب 1308هـ[6].

---

(1) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4.

(2) الذكير، الخزانة (7/ 285). عبدالله البسام، الخزانة (5/ 126).

(3) تقرير عبدالله باشا بن ثنيان عن القتال ونتائجه وقد رفعه للسلطان عبدالحميد بتاريخ 19 رمضان 1308هـ.

(4) ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة 40. وانظر: ابن عبيد، مصدر سابق، ص286.

(5) عبدالله البسام، علماء نجد في ثمانية قرون (5/ 190 - 191).

(6) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. وعبدالله البسام، التحفة...، حيث قال: (أقام ابن رشيد أيامًا في القصيم) ورقة 164. وتذكر وثيقة عثمانية مؤرخة في 6 شعبان 1308هـ: أن ابن رشيد في طريقه للرياض (أي بعد المليدا مباشرة) وهو خطأ واضح. من رسالة من والي بغداد إلى درويش باشا ياور السلطان.

ثانيًا: مطاردة وأسر الأمير حسن المهنا:

إصابته في المعركة: مع احتدام القتال واختلاط الحابل بالنابل في مرحلة الهزيمة، أصيب حسن المهنا أمير بريدة بإصابة بالغة حيث كسرت إحدى يديه[1]، وقد اختلفوا أيهما المكسورة يده اليمنى أم اليسرى. كما ورد روايات أخرى تفيد بأن رجله كسرت أيضًا، مما تطلب حمله إلى ابن رشيد فيما بعد عندما قبض عليه بعنيزة[2]، وبذلك يكون قد أصيب بإصابتين في يده ورجله، مما أعاق حركته. يقول مفضي السلمي عن مقتل زامل السليم وهروب حسن المهنا وكسره:

صار أوله بزويمل غادي الجدا   و... مكسور على الشوف ناير

دخوله إلى بريدة: بعد أن أصيب الأمير حسن بتلك الإصابات البالغة، ثم سمع بمقتل الأمير زامل وغيره من أشراف الرجال انهارت معنوياته، وفضل الهروب حين يئس من جدوى المقاومة، حيث: (ركب خيله وجيشه، هو وخدمه وطوارفه وانهزموا ناجين)[3]. وعندما علم ابن رشيد بفرار حسن من أرض المعركة خشي أن يلتحق ببريدة ويتحصن بقصرها فيمتنع عليه، فأمر خيالته باعتراض طريق هروب حسن من أرض المعركة، ولكنه فاتهم ودخل بريده فعلًا. وقد اعترى ابن رشيد القلق من أن يتحصن حسن بقصره في بريده فيتعسر عليه، مما يتطلب حصارًا لها والدخول معه في حرب مدن مجددًا. ولكن ابن رشيد رأى أن يتروّى ولا يسرع في مطاردة حسن في بريدة، منتظرًا ما تسفر عنه الأمور. وكنوع من الاحتياط أقام ابن رشيد في موضع المعركة يستجلي الوضع ولا يستقبل الوفود، لأنه خشي أن يتحصن حسن المهنا في قصره ويقاوم[4]. وكأنه بذلك لم يكن يرى أن نصره قد اكتمل ما لم يكن حسن في قبضته، ولذا لم يأذن في استقبال للوفود للتهنئة.

أما عن حسن المهنا فبعد أن هرب من ميدان القتال دخل بريده وأراد الامتناع بها[5]،

---

(1) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، مصدر سابق (4/ 1138). العبيد، **النجم اللامع**، مصدر سابق (2/ 252). كما ورد في عدة وثائق عثمانية أن حسن جرح وكسرت يده، محضر مجلس ولاية المدينة بتاريخ 6 شعبان 1308هـ. تقرير ابن ثنيان بتاريخ 19 رمضان 1308هـ. مصدر سابق.

(2) ضاري الرشيد، مصدر سابق ص113. العبودي، **معجم أسر بريدة**،مصدر سابق (21/ 386).

(3) مقبل الذكير ، مصدر سابق (7/ 284).

(4) المصدر السابق (7/ 285).

(5) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام (4/ 1138).إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. محمد العبيّد، ورقة 2/ 252. محمد أبا الخيل،مصدر سابق، ص54.

وربما هذا ما دفعه إلى الهروب على أمل أن يتحصن في(قصر بريدة)[1]، ولا يترك عدوه ينال منه بسهولة، ولكنه رأى أن أهل بريدة وأعيانها ليس لديهم أي لياقة عسكرية لمقاومة ابن رشيد، وكان رأيهم خلاف رأيه وأنه يجب تجنيب بريدة ويلات الحصار بعد الهزيمة المرة في أرض المليدا.

يقول المؤرخ إبراهيم القاضي: (يوم طب «حسن بن مهنا» بريدة تراخى أهلها، وقيل له ضف عزيزتك من خيل وجيش وانحر الإمام عبدالرحمن، لكنه ظن إن ابن رشيد ما يصفطه)[2]. إن هذا النص يؤكد أنه لم يكن لأهل بريدة الرغبة في الدخول في مواجهة جديدة مع ابن رشيد، ولكنهم أشاروا على زعيمهم المهزوم أن يلتحق بالإمام عبدالرحمن، ورغم وجاهة هذا الرأي إلا أن حسن لم يعمل به، وأخذ يتخبط في قراراته التي اتخذها فانطبق عليه بذلك بيت الشعر القائل:

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

ويروي الأستاذ ناصر العمري أن حسن المهنا عندما دخل بريدة اجتمع به الوجهاء ومنهم عبدالرحمن الربدي فطلبوا منه أن يخرج ويتركهم يواجهون ابن رشيد، فوافق حسن على الخروج من بريدة، وأعطى عبدالرحمن الربدي مفاتيح قصر بريدة، فركب الربدي إلى ابن رشيد في مخيمه وسلّم إليه مفاتيح القصر، وأخبره أن الأمير حسن هرب، فاستلم ابن رشيد المفاتيح وأرسل معه رجالًا ليضبطوا القصر[3]. وجاء في تقرير عبدالله بن ثنيان[4] ما يؤكد رفض أهل بريدة رغبة حسن المهنا لمقاومة ابن رشيد بعد القتال في المليدا، أن هذا فتّ في عضده فدفعه للاستسلام لابن رشيد

لجوء الأمير حسن إلى عنيزة: بعد أن فقد الأمير حسن المهنا الأمل في نهضة أهل

---

(1) قصر بريدة: يبدو أن القصر قديم، فقد ذكر في أحداث عام 1279هـ، وأرجّح أن بناء الأمير حسن له عام 1304هـ هو توسعة له وتشييد على نحو أكبر وأكثر تحصينًا، حتى غدا من أمنع الحصون في نجد، وكان بمثابة قلعة حربية ومقر للحاكم، وقد دارت حوله أحداث هامة، وقد هدم عام 1376هـ. للمزيد راجع: **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام مصدر سابق (4/ 981). وحسن الهويمل، بريدة، إصدار الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط2، 1408هـ،ص65. وموسى النقيدان، مسافات في ذاكرة رجل من بريدة، مدارك، ط3، 2012م، ص53.

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4.

(3) ناصر العمري، **ملامح عربية**، مصدر سابق، ص45.

(4) تقرير عبدالله باشا الثنيان، مصدر سابق، بتاريخ 19 رمضان 1308هـ، وقد أخطأ في تقريره، إذ ذكر أنّ ابن رشيد أعدم حسن ابن مهنا في طريقه إلى حائل.

بريدة معه والامتناع والتحصن بها لمقاومة ابن رشيد، قرر التوجه إلى عنيزة مع بعض أفراد أسرته[1]. وكان توجه حسن بن مهنا لعنيزة لظنه أن عنيزة أكثر أمانًا له من بريدة، وأن بطش ابن رشيد ربما لن يصله فيها، حيث كان بعض أهلها موالين له، حيث كان لأسرة البسام لهم علاقة حسنة مع ابن رشيد، ولذا نزل الأمير حسن بساحة كبيرهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ليشفع له عند ابن رشيد.

ماذا حدث للأمير حسن بن مهنا في عنيزة؟ عندما نزل الأمير حسن لاجئًا سياسيًا في حمى وجيه عنيزة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام طلب منه الشفاعة لدى ابن رشيد ليأخذ له ولمن معه الأمان منه. وبحسب رواية (ضاري الرشيد): فإن البسام اعتذر وقال لحسن: أنا ما أقدر ولا لي حجة فإن كان ودك تنهزم فأنا أدبر معك من يهزمك[2] وأنت تحتك جيش وخيل. ولكن حسن أبى إلا أن يواجه ابن رشيد. فركب البسام إلى ابن رشيد وأخبره، وطلب منه الأمان لحسن. فقال له ابن رشيد: إني لا آمنه فقد لقيت مكاتيب بينه وبين (الإمام) عبد الرحمن فيهن مواعيد عليّ، ولكن لن أقتله بل أحبسه حتى يموت، فإن قبل فيأتي، وإن ما قبل يفعل ما بدا له[3].

ولا بد هنا من وقفة مع رواية ضاري الرشيد الذي يجعل الأمير حسن هو من سعى باختياره ليكون تحت رحمة عدوه ابن رشيد. فمن الصعب التسليم بكل تفاصيل هذه الرواية الآنفة، وأرجّح أن الأمر جرى على نحو آخر، يمكن ترتيبه وفق الآتي: أن حسن عندما لجأ إلى البسام في عنيزة وطلب تدخله كان يرى أن الأمر يمكن حله وديًا مع ابن رشيد، لكنه وجد الأمر عكس ما تصوره، ولذا نجد البسام يقترح على حسن الهرب، خصوصًا مع قدرته على ذلك، ولكن أمام إصرار حسن على البسام في أن يسعى إلى التوفيق بينه وبين ابن رشيد توجه البسام لابن رشيد في مخيمه وعرض الأمر عليه، فرفض ابن رشيد العفو عن حسن ولكنه تعهد بعدم قتله والاكتفاء بسجنه مدى الحياة.

إلى هنا أتوقف ولا أوافق رواية ضاري الرشيد بإصرار حسن على مواجهة ابن رشيد وجها لوجه. وأرجح أنه أثناء التجاذب بين حسن وابن بسام، ثم بين البسام وابن رشيد بشأن حسن، وصلت آنذاك سرية سالم بن سبهان التي كانت تراقب وتطارد الأمير حسن المهنا

(1) إبراهيم القاضي، ورقة 4. **تاريخ ابن عيسى** (4/ 1138)، العبيد، (2/ 252).

(2) أي يدبّر لك طريق الهروب.

(3) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص 113.

منذ انتهاء القتال في المعركة إلى عنيزة وأطبقت عليه فيها، وحملته مأسورًا لابن رشيد. وذلك لأن رواية ضاري الرشيد لم تذكر شيئًا عن هذه السرية، وهي بذلك تختلف عن سياق بعض المؤرخين الذين ذكروا أن ابن رشيد أرسل سرية بقيادة سالم السبهان، فقبضت على الأمير حسن وهو في عنيزة وعلى من معه من آله. وأحضرتهم مخفورين إلى معسكر ابن رشيد[1]. حيث يقول ابن عيسى: (فخرج حسن إلى بلدة عنيزة وأرسل ابن رشيد سرية في طلبه إلى عنيزة فأمسكوه، وجاؤا به إلى ابن رشيد)[2]، وفي نص آخر كتب ابن عيسى: (انهزم حسن المهنا إلى عنيزة ثم جيء به إلى الأمير محمد العبد الله ابن الرشيد)[3]. أما المؤرخ عبدالله البسام فكتب: (وانهزم حسن المهنا إلى عنيزة ثم رجع إلى محمد بن رشيد فحبس بحائل)[4]، وربما توحي عبارة المؤرخ البسام بأن حسن اختار طواعية النزول على حكم ابن رشيد. ولا أستبعد أن سعي حسن لأخذ الأمان من ابن رشيد بواسطة عبدالله البسام هو الذي ساهم في الدلالة على مكانه في عنيزة، ما جعل ابن سبهان يباغته فيها ويقبض عليه.

الأمير حسن المهنا في مخيم ابن رشيد: تم نقل حسن المهنا من عنيزة بعد القبض عليه ليمثل بين يدي ابن رشيد في مخيمه بجوار بريدة، وهو جريح ومكسورةٌ إحدى يديه[5] وإحدى رجليه، فجيء به محمولاً وبرفقته بعض أفراد أسرته المقربين[6]. غير أن المصادر لم تحدثنا مطلقًا عن أي مواجهة كلامية في اللقاء بين حسن وابن رشيد. بعد ذلك أمر ابن رشيد بحمل حسن المهنا ومن معه إلى حائل، وهناك وضعوا في سجن واحد. وفي إحضار حسن المهنا مرغمًا إلى معسكر ابن رشيد ونزوله على حكمه، قال الشاعر حمود العبيد الرشيد:

ولا فكته منا خيار المجالي   جبناه منها مثل ما جيب حطاب[7]

---

(1) إبراهيم القاضي، تاريخه المخطوط، ورقة 4.

(2) **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سابق (4/ 1138).

(3) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص89 ، ولنفس المؤلف، **بعض الحوادث**، ص196.

(4) **تاريخ عبدالله البسام**، الخزانة (5/ 41).

(5) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص316.

(6) إبراهيم ابن عيسى، **عقد الدرر**...، ص89، ولنفس المؤلف (تاريخ ابن عيسى) تحقيق البسام (4/ 1138)، وإبراهيم القاضي، ورقة 4.

(7) حطاب السراح، هو المشهور بحطاب راعي الجوف، وهنا حمود العبيد يقارن بين القبض على حسن المهنا، وبين قبض «أبوه عبيد بالحيلة على حطاب في الجوف وسجنه في حائل مع ابنه غالب بن حطابٍ، وبينما فر غالب مات حطاب في سجنه».

الأمير حسن المهنا في سجن حائل: أتم ابن رشيد وعده ولم يقتل حسن المهنا حين وقع في يده، حيث حكم عليه بالسجن المؤبد في حائل، وقد قضى الأمير حسن بقية عمره في السجن. أي أنه مكث فيه 12 سنة قبل وفاته فيه عام 1320هـ. وتم سجن الأمير حسن ومن معه في قصر عبدالله بن طلال[1]، ومن خلال رواية بعض المصادر عرفنا أن سجن الأمير حسن مر بمرحلتين، (المرحلة الأولى) كان سجنه فيها محترمًا فلم يضيق عليه فيه، وكان يسمح له بالخروج مرة في الأسبوع وحضور مجلس ابن رشيد كل يوم خميس من الصباح إلى الظهر، ثم يرد إلى محبسه، حيث لم يكن في حبس انفرادي ولم يكن يوضع في يده القيد، وذلك طيلة فترة حكم الأمير محمد العبدالله الرشيد[2]. وقد روى أحد أحفاد الأمير حسن المهنا أن ابن رشيد قد رتب ذبح رأس من الغنم مع وليمة بواقع مرتين في الأسبوع لحسن ومن معه من آله في السجن[3]. وقد ذكر البارون نولده الذي زار حائلا عام1310هـ، قائلًا: إن أغلب سجناء الدولة المهمين محتجزون في مكان تحت إشراف ابن رشيد شخصيًا، وحسن بن مهنا شيخ بريدة تم تحويله - حسب معلوماتي - في يوم وصولي إلى المبنى الحكومي[4].

ولكن بعد وفاة الأمير محمد الرشيد (1315هـ)، ومجيء ابن أخيه عبدالعزيز المتعب خلفًا له، تغيرت معاملة حسن المهنا إلى الأسوأ حيث تم التضييق عليه[5]، ووضع في سجن انفرادي معزولًا عن بقية المسجونين من أسرته[6]، بل وجعل الحديد في قدميه، وذكر الشيخ محمد العبودي: (أنه ربطت رجل حسن المهنا بمرساة قوية من الحديد، وصب عليها (30 وزنة) من الرصاص)[7]. وذكر مصدر آخر أن حسن وضع في خشبة حطاب[8]، فصار مقيد الحركة مع كبر سنه وضعف حيلته. قال أحد شعراء بريدة متوجدًا على حال الأمير حسن المهنا في سجن ابن رشيد:

---

(1) ناصر بن سليمان العمري، **ملامح عربية**، مصدر سابق، ص46.

(2) محمد أبا الخيل، مصدر سابق، ص55.

(3) رواية سليمان بن حسن بن سليمان بن حسن بن مهنا، سجلها الباحث محمد السلامة، مصدر سابق، ص204.

(4) نولده، رحلته، ص 42 ربما يقصد قصر برزان الذي كان هو قصر الحكم في حائل.

(5) المصدر السابق ص42

(6) العبودي، **معجم أسر بريدة** (21/ 386) والدليل أنهم عندما هربوا من سجن ابن رشيد بحيله مطلع عام 1318هـ لم يكن الأمير حسن معهم لأنه كان في حبس انفرادي ومقيدًا بالحديد.

(7) المصدر السابق (21/ 386) [30 وزنة = 45 كغم].

(8) محمد أبا الخيل، مصدر سابق، ص55.

يا وجودي وجد مربوط بحايل صكوا البيبان والحراس دونه
عقب ركب الجيش والخيل والأصايل بالحديد مسوجر ما يطلقونه[1]

ولعل سبب هذا التشديد على حسن في محبسه ما ذكرته وثيقة عثمانية من أنه حصل نزاع بين أمير حائل عبدالعزيز المتعب الرشيد في أول إمارته مع بعض أعيان أسرة آل عبيد من الرشيد الذين كانوا يرون وجوب إطلاق سراح حسن المهنا من سجنه[2]، وربما يرجع ذلك لعدة اعتبارات منها وجود مصاهرة بين آل عبيد وآل مهنا، ومنها أن الأمير مكث مدة كافية في السجن وقد كبر سنه ووهن عظمه. ولذا لا أستبعد أن محاولة ما جرت لتهريبه من السجن بعد ذلك الخلاف، مما استوجب التحفظ عليه بسجن منفرد، ووضع القيد الثقيل في قدميه.

وفاة الأمير حسن المهنا في سجنه: طالت محنة حسن المهنا في سجنه الانفرادي الشديد العزلة، الذي استمر لمدة خمس سنوات، بين عاميّ (1315 ـ 1320). وكان أولاده وقرابته المسجونين جماعيًا قد نجحوا في الفرار من سجنهم في حائل أول عام 1318هـ، أما هو فقد بقي في سجنه منفردًا حتى مات فيه سنة 1320 هـ، وكان قد بلغ السبعين من عمره[3]. وقد قيل أنه كان أميًا[4] عند دخوله السجن، ولكنه تعلم وحفظ القرآن الكريم[5]. ويصف الشيخ العبودي حسن المهنا بأنه كان متدينًا، وأن تدينه قد أسعفه براحة البال والطمأنينة في ظلام السجن المنفرد طوال تلك المدة[6].

أين قبر الأمير حسن المهنا؟: واجتهدت لتحديد قبر الأمير حسن المهنا والاستدلال على موضعه في إحدى مقابر حائل القديمة، ولكني لم أعثر عليه، ولا على أي إشارة تدل عليه ككتابة اسمه مثلًا على شاهد هناك أو ما شابه، حيث استعنت بأخوة فضلاء من أهل حائل لهم اهتمام بالشأن التاريخي والتوثيقي لكن دون جدوى.

---

(1) العبودي، المصدر السابق (21/ 415).

(2) وثيقة عثمانية مؤرخة في 29 رجب 1316هـ.

(3) بحسب تقدير ضاري الرشيد، مصدر سابق ، ص113.

(4) ذكر الرحالة شارل هوبير أنه عندما قابل الأمير حسن المهنا عام 1298هـ، وقدم له رسالة يحملها من ابن رشيد لكنه لم يقرأها بنفسه بل دفعها لكاتبه ليقرأها.

(5) ضاري الرشيد ، مصدر سابق ،ص113. شكك بعض الباحثين في تاريخ أسرة المهنا في صحة كون الأمير حسن كان أميًا، والقول بأنه تعلم في السجن ثم حفظ القرآن فيه يصعب تصوره، فلو فرضنا صحة أميته قبل السجن فكيف له أن يتعلم في السجن والظروف غير مواتية. وفي نفس الوقت إن صحت هذه الرواية فإن هذا يصلح ليكون شاهدًا إضافيًا على أن سجنه في المرحلة الأولى كان مخففًا وميسرًا. والله أعلم.

(6) العبودي، مصدر سابق، (21/ 286).

الفصل السابع

أسباب هزيمة جيش القصيم، وانتصار جيش ابن رشيد

(للمهزوم)

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

دريد بن الصمة

(للمنتصر)

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

المتنبي

باعتبار أن المعركة هي حالة صراع مسلح بين إرادتين وقوتين فلا بد أن تنتهي لصالح طرف ضد الطرف الآخر، فهناك منتصر وهناك خاسر، ولذا فكل عامل من عوامل النصر لفريق هو في المقابل عامل من عوامل الهزيمة للفريق المقابل. وبقدر ما يتأخر النصر ـ بأمر الله ـ عن فريق، يسرع ـ بأمره تعالى ـ إلى الفريق الآخر. ولكن النصر أو الهزيمة رهن بالإعداد والاستعداد والأخذ بالأسباب الدنيوية المادية.

1- تعدد القيادات واختلافها في جيش القصيم:

عانى جيش القصيم من تعدد القيادات في صفوفهم، وذلك أنهم لم يدخلوا المعركة تحت قيادة موحدة، فكل مدينة في القصيم لها قيادة مستقلة لقواتها كما الحال في بريدة وعنيزة، كما أن زعماء البادية المتحالفين مع القوات القصيمية لم يخضعوا خضوعا تامًا

لأوامر تلك القيادة الحضرية. وهذا مما جعل الرأي يتعدد ويختلف بل ويتنافر في الأوقات العصيبة من القتال، والتي كانت تتطلب الالتفاف تحت قيادة موحدة ورأي جامع.

وفي المقابل كان الجيش الرشيدي يتميز بوحدة القيادة واجتماع الكلمة بقيادة الأمير محمد العبدالله الرشيد حاضرة وبادية، وكان زعماء البادية يهابون ذلك الأمير، وهو أيضًا كان ينزلهم منازلهم ويستشيرهم في خططه الحربية، وإن كان القرار الأخير له، ولذا كانت صفوف جيشه موحدة حاضرته وباديته، ومتماسكة حتى تحقق له الفوز في القتال.

2- انهيار قيادات القصيم العسكرية:

تمثلت قيادة أهل القصيم في كون المليدا بشخصيتين بارزتين هما أمير بريدة حسن المهنا، وأمير عنيزة زامل السليم[1]، بالإضافة إلى زعماء القصيم الآخرين. ولأنه دائمًا ما يقاس تماسك الجيوش وصمودها، بمدى ثبات قياداتها في الميدان كنموذج يحتذي به المقاتلون فلا ريب أن انهيار قيادات جيش القصيم السريع والغير متوقع أدى إلى تضعضع خطير في صفوف مقاتلي ذلك الجيش. إذ تفيدنا المصادر التاريخية النثرية والشعرية بأن زامل السليم(أمير عنيزة) سقط قتيلًا برصاصة أصابته في أول المعركة بعد أن هجم المسيوق وحدث الاشتباك المباشر بين المتحاربين. يقول الشاعر حمود العبيد الرشيد:

أول علفها زامل والعيالي   وتفيحت ما بين ذابح ونهاب

ثم توالى سقوط قيادات أخرى مثل أمير المذنب (صالح الخريدلي) وغيره من النبلاء والفرسان، ثم تلا ذلك هروب الأمير حسن المهنا من ميدان القتال وهو القائد العام لجيوش القصيم، إذ ترك قومه يقاومون بلا قيادة يقول حمود العبيد الرشيد عن هروب الأمير حسن المهنا:

وخلى لنا القصمان هم والحلالي   وفزعاته اللي جمعه كل كذاب

لقد ترك هروب حسن المهنا فراغا في القيادة الميدانية، فظهرت قيادات بديلة من أسرة أبا الخيل، كعبدالعزيز بن عبدالله المهنا قائد خيالة بريدة،الذي قاوم حتى قتل، وعبد

(1) نجد اثنين من المؤلفين الأجانب يجعلان زامل القائد الرئيسي، وهما البارون نولده في رحلته، مصدر سابق، ص75 و79. وعبدالله فيلبي في كتابه **الذكرى الذهبية**، ترجمة مصطفى كمال فايد، مطبعة الاعتماد بمصر، ص 8. ونحن لا نرى رأيهما فلا نشك في أن القيادة العامة كانت بيد أمير بريدة حسن المهنا.

الرحمن بن حسين الصالح أبا الخيل (ابن عم حسن المهنا) الذي تولى عبء حمل راية بريدة في مرحلة الهزيمة حتى خر صريعًا في الميدان.

وفي عجاج المعركة أصبحت قيادات القصيم كما أسلفنا بين قتيل مجندل في الثرى، والبعض لم يصدق في القتال وركب الريح، مما أثر سلبًا في روح المقاومة للمقاتلين الذين كانوا يجالدون خصمهم الأكثر عددًا وعدة وركابًا بشجاعة نادرة لكن سرعان ما انهارت تلك المقاومة الباسلة فالكثرة تغلب الشجاعة كما يقال. ويصور لنا المؤرخ الذكير هذا الوضع المأساوي بقوله: (فقتل زامل وابنه والمعركة حامية الوطيس، فجاء رجل وأخبر حسن بمقتل زامل وابنه، فركب خيله وجيشه هو وخدمه وطوارفه وانهزموا ناجين. تاركين جماعتهم أهل بريدة وأهل القصيم وأهل عنيزة في الميدان يقاتلون، ولم يشعروا بالهزيمة، واستمروا في القتال حتى أحاطت بهم الخيل من الخلف. وذلك أن ابن رشيد بلغه هروب حسن فأراد أن يقطع طريق الهرب عليه)[1].

3- عدم وضوح هدف القتال لجيش القصيم:

رغم الصراع المرير الذي حدث على أرض المليدا والدماء التي سالت والحماس الذي أخرج زهرة شباب ورجال القصيم لميدان القتال. إلا أننا لا نعرف على وجه اليقين هدفًا واضحًا لمقاتلي جيش القصيم للدخول في مواجهة عسكرية مع جيش ابن رشيد. فهل كان الهدف هو إبعاد خطر احتلال القصيم، أم كسر شوكة ابن رشيد الحربية.

أم أن هدف القيادة القصيمية هو الانتقام والاقتصاص من عدوهم. إذ كان هذا الهدف حقيقة ماثلة أمام أعين قادة القصيم من حاضرة وبادية، فكان لكل أمير حاضرة أو زعيم قبيلة دوافعه الخاصة للانتقام، فالأمير حسن المهنا كان له عداوة خاصة مع الأمير ابن رشيد. أما الأمير زامل فإنه صرح بأن هدفه هو الانتقام بسبب فناء بعض رجال أسرته بسيوف آل رشيد في مواجهات سابقة. أما بادية عتيبة فكانت تريد الانتقام من ابن رشيد الذي أنهكها بالحروب والغارات التي لا تهدأ. بل إن أهل القصيم لم ينظروا إلى المليدا كمعركة فاصلة كما نظر إليها ابن رشيد منذ البداية[2]، إذ كان هدفه كسر شوكة مقاوميه واحتلال بلادهم.

(1) الذكير، الخزانة (7/ 284).

(2) محمد السلمان، **الأحوال السياسية**، مصدر سابق، ص259.

وبالتالي جاء حماس أمراء القصيم واندفاعهم لمواجهة قوات ابن رشيد في كون المليدا نتيجة لحسابات غير دقيقة لموازين القوى ومعطيات المرحلة، ويبدو أنهم فسروا الموقف اللين الذي أبداه ابن رشيد عند أسوار الرياض مع أهلها مطلع عام 1308هـ - وقبل أشهر قليلة من كون المليدا- على أنه ضعف منه، وإعلان لعجزه مما أغراهم بحربه وتصوروا أنه بالإمكان النيل منه.

4- وضع وتنفيذ خطط القتال في الجانبين:

في نفس الوقت الذي كان فيه ابن رشيد قد أخذ أهبته واستعداداته الكاملة للمواجهة، إذ كان أكثر كفاءة وتنظيمًا من خصومه[1] الذين لم تكن استعداداتهم على مستوى يناسب الحدث المصيري الذي كان ينتظرهم، والحقيقة أن أهل القصيم مع حماسهم وتحفزهم للقتال قد بذلوا ما في وسعهم، ولكن إمكانيتهم الذاتية كانت أضعف مما لدى خصمهم. كما أن خطتهم القتالية بنيت بالأساس على ردود فعل لتحركات ذلك الخصم،ولم تكن لهم خطة قتالية محددة سلفًا، وقد ظهر هذا جليًا في عدم قدرتهم على أخذ زمام المبادرة للقتال مع خصمهم.

5- تذبذب أعداد الجيوش المقاتلة بين النقص والزيادة:

سبق وأعطينا أرقامًا تقريبية عن حجم القوات المتحاربة في الجانبين، وخلصنا إلى أن قوات القصيم ذات عدد أقل مقارنة بالعدد الضخم الذي اجتمع لخصمهم ابن رشيد من حاضرة وبادية. مع ملاحظة عدم التعويل على الأعداد كشرط لتحقيق النصر والتفوق الميداني في المعركة، ولكن الأهم من حجم الأعداد المقاتلة هو كيفية إدارتها واستثمار إمكانياتها.

ولم تكن قلة أعداد جيش القصيم في المرحلة الأولى من القتال في (معركة القرعاء) تشكل عقبة في التغلب على أعداد خصمهم التي تزيد عنهم كثيرًا، وذلك لأن مقاتلي القصيم في تلك المرحلة يقاتلون وظهورهم محمية في أرض غير مكشوفة لعدوهم، ولكن عندما استدرجهم ابن رشيد إلى أرض مكشوفة فيها مجال فسيح لطراد الخيل وقدرة أكبر على المناورة انكشفوا لقلة عددهم، نظرًا لاتساع ميدان القتال الفسيح المنبسط.

كما تفيد بعض الروايات بأن مقاتلي القصيم بدأوا يتناقصون بين معركتي القرعاء

(1) دليل الخليج (القسم التاريخي) (3/ 1689).

والمليدا[1]. وفي المقابل كان خصمهم ابن رشيد قد انضم إليه من مقاتلي البادية بعد (معركة القرعاء) مباشرة فتعزز موقفه العسكري أكثر من ذي قبل، وبذلك ضعف الموقف العسكري لأهل القصيم بعد أن نقص عدد جيشهم وزادت أعداد جيش خصمهم.

6- خطوط الإمدادات والمساندة:

نظرًا لطول الفترة التي استغرقتها قوات القصيم في مسيرها من بلدانها إلى الرس، ثم من الرس إلى ميدان المواجهة مع ابن رشيد، كان لذلك أثر سلبي على لياقتهم العسكرية وخطوط إمدادهم ودعمهم اللوجستي. رغم مرابطتهم على أطراف بلدانهم وليسوا بعيدين عنها، ولعل قلة الإمكانات المادية للقوات القصيمية كانت وراء ضعف خطوط الإمداد تلك، كما أن مهاجمة قوات ابن رشيد للمناطق الريفية القريبة من أرض المعركة شكّل عاملًا مساعدًا لنقص تلك الإمدادات لأقرب نقطة مفترضة يمكن أن تحصل منها القوات القصيمية على حاجتها من الطعام والماء.

ولعل القصة التي تدور حول المثل القصيمي الشهير (ما حكمتي يا مزنة) تشير بوضوح إلى مدى الوضع الحرج الذي عانى منه أهل القصيم وقواتهم المرابطة في الجبهة الشمالية الغربية لبلادهم. وتتلخص القصة بأن الأمير حسن المهنا أرسل أحد رجاله ليجلب له من بريدة ما يعتاش عليه رجاله المحاربون، وأن الرسول عندما أتى بيت الأمير حسن أعطته زوجته (مزنة) ستة ريالات فقط هي كل ما لديها من نقود، فتحسر الرسول على حال قوات القصيم، بينما الإمدادات لا تتوقف قوافلها عن جيش خصمهم ابن رشيد[2]، فقال هذه العبارة التي سارت مثلًا (ما حكمتي يا مزنة).

وعلى صعيد آخر كان إبراهيم المهنا (أخو الأمير حسن المهنا) في الكويت يرأس قافلة تجارية ضخمة من الأرزاق لأهل بريدة، تبلغ (800 بعير)، وعندما علم إبراهيم المهنا بخروج ابن رشيد لقتال أهل القصيم في المليدا خرج هو بقافلته من الكويت للقصيم مددا لقومه، وفي عرض الطريق قدم عليه (نجاب) من حسن المهنا يستحثه للإسراع بالوصول

---

(1) رواها عبدالله بن عبدالرحمن السلمان (ت/ 1350هـ)، انظر: محمد السلمان، **الأحوال السياسة** ومصدر سابق ص 264.

(2) محمد العلي العبيد، **النجم اللامع**، ورقة 41. وهناك من فند هذه الرواية ورها وكذبها، انظر: محمد أبا الخيل، مصدر سابق ص49.

لحاجة الناس إلى الطعام[1] في مصافهم أمام قوات ابن رشيد، ولكن عندما توسطوا في طريقهم بين الغاط والمجمعة وصلهم خبر هزيمة قومهم في كون المليدا[2]. فما كان منهم إلا أن رجعوا إلى الكويت خوفًا على القافلة.

وفي المقابل كانت الإمدادات تصل تباعًا لمعسكر ابن رشيد، تفد إليه من حائل والعراق محملة بما تحتاج إليه قواته من طعام وسلاح، حتى الماء كان ينقل بالقرب على ظهور الإبل، ويلخص ذلك ما قاله ابن رشيد لرجاله عندما أراد أن ينازل أهل القصيم منازلة حاسمة، قال: (أنا ما ناب مصابرن الربع هم على جال ديارهم وأنا كل شيء نقال)[3].

7- ضعف وتبدل ولاء البادية:

عادة ما تتحكم في ولاءات البادية - المصالح الآنية - فهي تخاف من الطرف القوي وتخضع له، لاعتقادها أن المشي في ركاب القوي سيمنحها المزيد من الغنائم والمجد إذا ما انتصر. بينما سرعان ما تتخلى تلك القبائل عن حليفها بمجرد شعورها بأن كفته خاسرة، هذا في أحسن الأحوال، هذا إن لم يكن ذلك الحليف المهزوم هو الغنيمة ذاتها.

وقد بدأت تظهر بوادر خيانة بادية أهل القصيم في المعركة عندما انسحب ابن رشيد بقواته من القرعاء وغضي وعسكر في الضلفعة، وبدأ يضغط على القرى الغربية عسكريًا بمهاجمتها ونهب محاصيلها ودوابها، هنا زاد طمع البادية وكثر المنضمين إليه منهم، حيث أخذت بادية القصيم تتناقص بحثا عن المكسب السريع الذي وجدوه في جانب ابن رشيد الذي كان يمثل الجانب القوي.

كما أن حلفاء أهل القصيم من بادية عتيبة ومطير لم يصدقوا في اللقاء أثناء القتال، وسرعان ما قرروا الانسحاب أو الوقوف موقف المتفرج، ثم لم يلبثوا إلا قليلًا حتى انضموا لخصم حلفائهم، وقد أشار الشاعر حمود العبيد الرشيد لموقف البادية هذا بقوله:

أغدوهم البرزان هم والشيابين ومنهم تبروا حدنا سايرين[4]

---

(1) تاريخ ابن عيسى، تحقيق البسام (4/ 1138)، ابن ناصر ورقة 41. العبيد، (2/ 253)، وللبيتين روايات متعددة تختلف في ألفاظها.

(2) المصدر السابق (4/ 1138)، ويذكر أن الموضع الذي وصلهم خبر الهزيمة فيه اسمه (البتراء). انظر: تاريخ ابن عيسى (الخزانة 2/ 260) ، أما عبدالرحمن ابن ناصر فيسمي ذلك الموضع بـ(البتير) ورقة 41.

(3) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4.

(4) البرزان من مطير، والشيابين من عتيبة.

وكلمة (أغدوهم) تشير إلى أن البدو خذلوا حضر القصيم عندما تيقنوا من رجحان كفة جيش حائل.

كما يقول أحد الشعراء (أبو منيع) عن سريان الهزيمة في قوات أهل القصيم حاضرة وبادية.

القصيم انتشر من مصره   في المليدا غدى بعشريرة
شيخ برقا نكس فيه شره   وأخو هملا يقود الكسيرة[1]

وتأييدًا للشواهد الشعرية الآنفة، جاء وصف البارون نولده لما حدث؛ حيث يفهم من كلامه أنه في الوقت الذي انهارت فيه مقاومة مشاة عنيزة أمام المسيوق الرشيدي، كانت (عتيبة) في الوسط، ولم يتدخلوا لحسم الصراع، وعندما تأخر الوقت وحلت الهزيمة قررت عتيبة التراجع إلى خيامها، ثم اضطرت إلى ترك تلك الخيام بسبب غارات الجيش الرشيدي العنيفة[2].

8- تضاريس ميدان القتال:

يخيل إليّ أن الجغرافيا كانت جنديًا محاربًا في كون المليدا، ولكنه عديم الولاء حيادي الطابع ، يميل أكثر إلى من يستقبله ويستغله على النحو الأمثل. فعامل الجغرافيا كان جنديًا مخلصًا إلى جانب أهل القصيم في معركة القرعاء وفي غضي، ولكن ابن رشيد استطاع أن يحول ولاءه لصالحه ويكسبه لصفه في كون المليدا. وذلك عندما فطن إلى الميزة التضاريسية (الرملية) التي حمت أهل القصيم في معركة القرعاء من سطوة فرسانه، فأخذ بنصيحة من أشار عليه بالتوجه غربًا حيث الأرض المسطحة المكشوفة الصالحة لطراد الخيل، وفعلًا توجه إلى المليدا وهاجم القرى الغربية، ليخرج أهل القصيم من جغرافيتهم المتصالحة معهم والمتصالحين معها، فوقع أهل القصيم في جدال حول الإجراء الأصلح هل يقون في مواطنهم حتى يمل ابن رشيد ويرحل، أم يخرجون في إثره وينازلونه وجهًا لوجه. نعم لقد حُسم الجدل وخرجوا إليه من متاريسهم الرملية، فأصبحوا قبالته في أرض المليدا فكرّ عليهم بخيله ورجله فلم يُبقِ ولم يذر. فقتل من قتل، وهرب من هرب، وجرح من جرح.

---

(1) الخزانة ، مصدر سابق (5/ 130).

(2) نولده، رحلته، مصدر سابق، ص79.

9- مدى إمكانات التسليح لدى الجانبين:

لا ريب أن قوة الأسلحة النارية هي التي حسمت الكثير من حروب الصحراء، حيث لم تعد القوة الفردية للمقاتل وأسلوب الكر والفر هما الأكثر حسمًا، ومن هنا صار معيار النصر والهزيمة يقاس بما يملكه الجيش من قوة نارية صادرة من بنادقه ومدافعه، ولذا حرصت الجيوش آنذاك على الحصول على السلاح الأحدث والأفتك في الخصم. يقول أحد شعراء البادية في هذا المعنى:

رمي الموارت ما بها نوماس حذفت شرود من بعيد
علي قضب عنانها والراس والله يفعل ما يريد

وفي كون المليدا كانت القوة النارية في صالح جيش ابن رشيد مقارنة بتواضع ما لدى أهل القصيم من أسلحة نارية، وكان ذلك على عدة مستويات من حيث كثافتها ومن حيث حداثة طرازها وفعاليتها القتالية. وقد أشار تقرير عثماني إلى تزويد جيش ابن رشيد لمقاتليه بالأسلحة الجديدة في القتال في المليدا[1]. وكان هذا البون الشاسع هو الذي أبان عن تفوق نوعي في الأسلحة النارية لصالح ذلك الجيش أمام قوات القصيم التي أضر بها كثيرا نقص سلاح نوعي مضاد في أيدي مقاتليها من حيث الكثرة والفعالية بما لدى الخصم من أسلحة نوعية كثيرة وفتاكة. أضف إلى ذلك كله النقص الذي أصاب تسليح قوات القصيم، مع ما كانت عليه إمكانيات ذلك التسليح من تواضع،فقد روى بعض الشهود المعمرين أن ذخيرة أهل بريدة قد نفذت في أثناء القتال بسبب سوء التدبير الإمدادات[2].

10- تأخر الإمام عبدالرحمن عن نجدة أهل القصيم:

تحدثنا سابقًا بالتفصيل عن مسير الإمام عبدالرحمن لنصرة أهل القصيم ضد ابن رشيد، ورغم نهوض الإمام بقواته من الرياض وانضمام البادية إليه وخروجه من الرياض فعلًا إلا أنه سار ببطء نحو القصيم، في وقت كانت المواجهة العسكرية وشيكة بين حلفائه وخصمهم ابن رشيد، بل وقعت عدة مواجهات بين الطرفين وهو لم يقطع نصف الطريق بين العارض والقصيم، ثم حدث كون المليدا وهو لا يزال في الطريق إليهم، رغم أن رسل أهل القصيم

(1) تقرير مفصل عن حالة ابن رشيد وخصومه النجديين، الأرشيف العثماني يلدز منوع 48/4، بتاريخ 3 رجب 1308هـ.

(2) ناصر سليمان العمري، **ملامح عربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،2009م، ط2، ص43.

ومكاتبتهم تترى إليه من أجل الإسراع لنجدتهم لكن من دون جدوى، بل إن المؤرخ مقبل الذكير ذكر أن الرسل تذهب يوميًا من أهل القصيم إلى الإمام عبدالرحمن[1].

وفي المقابل كان ابن رشيد يراقب ذلك المدد السعودي ويخشى وصوله، ولذا فقد حرص على الدفع بقوة للقضاء على خصومه في الميدان قبل انضمام حليفهم الإمام عبدالرحمن إليهم بالقوة التي معه، خشية أن تنقلب الموازين لصالحهم، وحتى لا يطول أمد الحرب، لأنه كان يبحث عن نصر سهل ممهد إذا ما انفرد بأهل القصيم قبل وصول الإمام إليهم بقواته، وبذلك كان تأخر الإمام عبدالرحمن عن اللحاق أهل القصيم في تلك المواجهة الشرسة سببًا مؤثرًا في صياغة النتيجة المأساوية التي حلت بالقوات القصيمية.

	مخلص أسباب هزيمة أهل القصيم وانتصار ابن رشيد في كون المليدا	
1	أسباب انتصار جيش ابن رشيد	أسباب هزيمة جيش القصيم
2	وحدة القيادة وثباتها	تعدد القادة وانهيارها بسرعة
3	وحدة الهدف	تعدد الأهداف
4	وحدة الصف والكلمة	الفرقة والاختلاف
5	وضوح الخطة والتنظيم	بنيت الخطة على ردات الفعل
6	كثرة أعداد المقاتلين	قلة أعداد المقاتلين
7	ضخامة الاستعداد والإمداد	ضعف الإعداد وقلة الإمداد
8	الروح القتالية العالية	الحماس غير المنضبط
9	إقبال الدولة	إدبار الدولة
10	ولاء البادية	خيانة البادية
11	تزايد الحلفاء	تناقص الحلفاء
12	قوة سلاح الخيالة	كثرة المشاة وقلة الفرسان
13	فعالية التسليح وكثرته	ضعف التسليح وقلته

(1) مقبل الذكير، **مطالع السعود...**، تحقيق سعود التركي، مصدر سابق ص257.



الفصل الثامن

نتائج كون المليدا

أعطيت ملكًا فلم أحسن سياسته   وكل من لا يسوس الملك يُخلَعُهُ

ابن زريق

أولًا: إحكام ابن رشيد قبضته السياسية على القصيم:

بعد النصر العسكري الساحق الذي حققه ابن رشيد على خصومه أهل القصيم في كون المليدا كان عليه أن يستثمر ذلك النصر في ميدان السياسة والإدارة، يقول الدكتور عبدالعزيز الشبل المسألة أكبر من اعتبار المليدا مذبحة هائلة فقط لرجال القصيم - مع أن هذا لا يستهان به - إنما هي حاسمة في إنهاء تطلعات أهل منطقة القصيم للاستقلال أو التمتع بشبه استقلال ذاتي كانوا يحاولون أن ينعموا به قبل المليدا[1].

وما يلفت نظر كل باحث منصف أن الأمير محمد بن عبدالله الرشيد قد تخلق بخلق العفو عند المقدرة، ولم يعاقب عامة الناس بجريرة خاصتهم[2]. حتى رؤساء خصومه في بريدة لم يقتلهم، واكتفى بحبس أعيان آل مهنا وصادر أموالهم، يقول المؤرخ إبراهيم القاضي: (المجرم من أهل القصيم عاتبه، وأما بريدة فتهيأ على آل مهنا وأولادهم

(1) عبدالعزيز الشبل، المليدا أكثر من مجرد معركة حربية، بحث منشور في منتدى مجلس عنيزة على شبكة النت.

(2) يفيد محضر مجلس ولاية المدينة المرفوع للسلطان عبدالحميد بتاريخ 1 شعبان 1308هـ (أن ابن رشيد أعطى الأمان لكبار الأهالي ثم جلب أغلبهم بالحيلة والدسائس ثم قتلهم)، ولكن المحضر لم يذكر أسماء المقتولين ولا سبب قتلهم.

وطوارفهم عتاب عظيم وسبي ونكال)[1]. ويذكر المؤرخ الذكير أن ابن رشيد لم يقبض على آل مهنا جميعًا، بل أعرض عن بعضهم، كعبدالله المهنا وولديه ومحمد وإبراهيم لكنهم اختاروا الإقامة في الكويت[2]. إلا أن بعض الباحثين من أسرة أبا الخيل ذكر لي أن عبدالله المهنا وصل إلى بريدة بعد المعركة وهو يعرج من إصابة أصيب بها في القتال، ثم أحس بخطر مطاردة رجال ابن رشيد له فهرب من بريدة مع ولديه محمد وإبراهيم إلى بلدة المذنب، فاعتقله أميرها خوفًا من نقمة ابن رشيد، ولكنه استطاع بالحيلة الفرار والتوجه إلى الكويت.

أما آل سليم في عنيزة فلم يتعرض ابن رشيد لأحد منهم، كما لم يعترض على استمرار وجودهم في عنيزة، فلم يضيق عليهم ولم يسجن أحدًا منهم، ولم ينفهم. وأصدق دليل على ذلك بقاء أولاد الأمير زامل العبدالله في عنيزة أحرارًا، ومنهم عبدالعزيز الذي كان أحد المرشحين لخلافة والده في الإمارة ونائبه أثناء خروجه للقتال، فقد بقي في عنيزة حتى حج عام1310هـ ومات بسبب الوباء في مكة أثناء الموسم.

ثانيًا: إجراءات ابن رشيد الإدارية في بلدان القصيم:

أ) الوضع في مدينة بريدة:

لم يرحل ابن رشيد من القصيم بعد انتصاره إلا وقد رتب الأمور الإدارية والمالية والعسكرية في هذا الإقليم. ففي بريدة جعل ابن رشيد حامية عسكرية بقيادة حسين بن جراد الناصري التميمي[3]، ومعه عدة رجال من أهل حائل[4]. وجعل حمود آل زيد أميرا في بريدة[5]، أي أنه عين ابن جراد قائدًا عسكريًا لحامية بريدة، وابن زيد حاكمًا إداريًا لها.

(1) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. ومقبل الذكير، الخزانة، مصدر سابق (7/ 288).

(2) الذكير، المصدر السابق (7/ 288).

(3) جاء اسمه بخط يده في رسالة منه لابن رشيد، عام1311هـ هكذا (من حسين آل محمد ابن جراد). انظر: العبودي، **معجم أسر بريدة** (21/ 421).

(4) عبدالله البسام، **التحفة**، ورقة 164. إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4 والذكير، الخزانة (7/ 286). ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص318.

(5) ابن عيسى، الخزانة (2/ 260)، ويرى ابن عيسى أن ابن رشيد ترك رجالًا مع ابن زيد. وانظر العبيد، **النجم اللامع** (2/ 253).

ويضيف المؤرخ مقبل الذكير أن ابن رشيد أطلق يد ابن جراد بكافة الصلاحيات في عموم القصيم، ما عدا عنيزة وتوابعها[1].

وقد شذ المؤرخ ابن ناصر[2] وجعل أمير بريدة (سالم السبهان)، ورغم مخالفته لمن سبقه من المؤرخين المعاصرين للأحداث إلا أنه يمكن توجيه روايته إلى أن ابن رشيد ولى ابن سبهان شؤون بريدة بعد كون المليدا مباشرة، وذلك في الفترة التي كان ابن رشيد يقيم في مخيمه في الرفيعة شرق بريدة. بمعنى أنه جعله حاكمًا عسكريًا (مؤقتًا) لبريدة قبل أن يرحل عنها إلى حائل ويعين غيره.

أما قضاء بريدة فقد كانت ولايته في يد الشيخ (محمد بن عبدالله آل سليم) منذ عام 1304هـ. وعندما خيم ابن رشيد قرب بريدة بعد المعركة خرج إليه الشيخ محمد طالبًا منه الصفح عن أهل بريدة ، فاستجاب ابن رشيد وعفا عنهم[3]. وبعد ذلك استعفى الشيخ محمد من القضاء، بحجة أن من ولاه القضاء (وهو حسن المهنا) قد زالت ولايته. فاستشار الأمير ابن رشيد أعيان بريدة فيمن هو الأنسب ليخلف الشيخ ابن سليم في القضاء، فأشار بعضهم بتولية الشيخ (إبراهيم الجاسر)، فلم يعجبه الترشيح وقال: (باب الخرقة ما يسد الثلمة)، فأعاد تولية الشيخ محمد آل سليم على قضاء بريدة، والذي استمر فيه حتى عزله الأمير عبدالعزيز المتعب بعد كون الصريف[4].

ب) الوضع في مدينة عنيزة:

نلاحظ أن ابن رشيد اتبع سياسة لينة تجاه أهل عنيزة بعد كون المليدا، فهو مثلا لم يلاحق أمراء عنيزة السابقين آل سليم وتركهم وشأنهم بعد كون المليدا. وتتضح معالم تلك السياسة حتى قبل كون المليدا حينما حاول ابن رشيد مراسلة زامل السليم أمير عنيزة حيث كان يطلب منه أن يقف على الحياد في صراعه مع حسن المهنا، وأكد له أن ليس له في عنيزة وأهلها مطمع، ولكن زامل اختار أن يتحالف مع حسن المهنا لأنه كان

(1) مقبل الذكير، **مطالع السعود..**، تحقيق سعود التركي، مصدر سابق، ص264.

(2) ابن ناصر ، مصدر سابق ، ورقة 41. الحقيقة أن هذا المؤرخ توهم أيضًا، وذكر أن عبدالله اليحيى السليم تولى إمارة عنيزة، والصحيح أن عبدالله اليحيى ليس من آل سليم. كما توهم أن حسن المهنا مكث خمس سنوات في السجن ثم مات، بينما الصحيح أنه مكث 12 سنة حتى 1320هـ.

(3) ابن عبيد، **التذكرة**، الجزء الأول، ص 286.

(4) محمد العبودي، **معجم أسر بريدة**، (10/ 73-72).

يرى أن القصيم كله في دائرة الخطر الرشيدي. يقول المؤرخ الذكير: (أما آل سليم فلم يعترضهم ابن رشيد فبقوا في عنيزة أحرارًا في أنفسهم، ولكن عبد العزيز العبدالله وصالح الزامل ذهبا إلى الكويت ورغبا الإقامة هناك، وأقام بقيتهم (أي بقية آل سليم) في عنيزة على أملاكهم وبيوتهم وعائلاتهم)[1]. ثم إن الأمير عبد العزيز العبدالله السليم أثناء مقامه بالكويت عنّت له زيارة أهله في عنيزة فذهب إلى حائل ونزل ضيفًا على ابن رشيد، الذي استقبله وأكرمه، ولكنه غادر حائل بسرعة بعد أن وصل إليه تحذير من خطر يتهدده[2]، وهذه الحادثة توحي بالتقارب جدًا مع ما ذكره البارون نولده من أن اثنان من أبناء الأمير زامل اللذين كان في الكويت جاءا إليه في بغداد - بعد عودته من زيارة نجد(عام1308هـ) ومقابلته لابن رشيد - يرجونه التوسط عن ابن رشيد، ويقول نولده أنه سعى في ذلك عبر رسالة بعثها لابن رشيد الذي استجاب لجميع مطالبهم حيث أعاد لهم بيوتهم وأملاكهم التي تمت مصادرتها قبل أكثر من عامين، كما سمح لهم بالعودة إلى عنيزة[3]. وهذه الرواية تشير بوضوح إلى وقوع حالات من المصادرة في عنيزة لأملاك وأموال بعض أعيانها من آل سليم.

وفي معسكره قرب بريدة بحث ابن رشيد مع كبار أعيان أهل عنيزة في من هو الأصلح لتولي إمارة بلدتهم، وكانت الأسماء المرشحة لتولي إمارة عنيزة هي:

1- عبدالعزيز بن الأمير زامل السليم.

2- محمد بن خليف الصالح الخليف.

3- عبدالله اليحيى الصالح.

أما ترشيح عبدالعزيز الزامل فلم يكن منطقيًا وسيوف الرشيد ما زالت تقطر من دم والده في المليدا، أما محمد الخليف فقد عرضت عليه الإمارة فرفضها، رغم أنه لم يخرج للقتال لمعارضته للحرب من حيث المبدأ، إلا أن أخاه عليًا كان من ضمن القتلى فيها.

وقد استقر الرأي على اختيار(عبدالله آل يحيى) أميرًا لمدينة عنيزة. وآل يحيى

(1) تاريخ الذكير، الخزانة، (7/ 77).

(2) المصدر السابق (7/ 288)، (7/ 77).

(3) البارون نولده، مصدر سابق، هامش ص 97.

من أسرة قديمة في الإمارة في عنيزة وهم من آل أبوغنام من سبيع[1]. وقد حكم ثلاثة أمراء من هذه الأسرة في المدة التي بين كون المليدا عام 1308هـ وعام1322هـ وهؤلاء الأمراء هم: عبدالله بن يحيى الصالح تولى عام 1308هـ حتى توفي عام 1312هـ. فخلفه أخوه صالح بن يحيى الصالح من عام 1312هـ حتى سطوة السليم الأولى في سنة الصريف 1318هـ، حيث استرجعوا إمارة عنيزة (مؤقتا) بعد أن أخرجوا الأمير صالح اليحيى منها، وتولى الإمارة عبدالعزيز بن عبدالله آل سليم لمدة لم تتجاوز18يوماً فقط. وبسبب هذه الأحداث عزل الأمير ابن رشيد الأمير صالح بعد انتصاره في الصريف وعين مكانه ابن أخيه حمد العبدالله (ابن الأمير الأول) من أواخر عام 1318هـ حتى دخل آل سليم عنيزة في سطوتهم الثانية مع الملك عبدالعزيز في المحرم سنة 1322هـ.

أما قضاء عنيزة فكان قبل المعركة بيد الشيخ (صالح القرناس) فعزله ابن الرشيد[2]، ثم عُرض قضاء عنيزة على الشيخ المؤرخ (إبراهيم بن صالح بن عيسى)، بترشيح الأهالي له، حيث قدموا كتابًا بهذا المعنى إلى الأمير ابن رشيد وعليه أختامهم، وعندما عرض عليه ابن رشيد القضاء امتنع بشدة[3]. فتم تعيين الشيخ (عبدالله بن عايض)[4] قاضيًا في عنيزة برضى من الأهالي.

ونلاحظ أن هناك فرقًا في سياسة ابن رشيد تجاه مدينتي بريدة وعنيزة بعد كون المليدا: ويعود السبب أن أمراء بريدة (آل مهنا) كانوا هم من ألب على ابن رشيد وجمعوا الجيوش والحلفاء وهم من تزعم الحرب ضده. كما كانت مدينة بريدة برمتها جبهة واحدة ضد ابن رشيد بكافة أطيافها. أما مدينة عنيزة فكان لابن رشيد فيها حلفاء من أعيان أهلها وقد أعطاهم الأمان قبل الحرب، وقد وفى ابن رشيد للجناح الموالي له في عنيزة، رغم وقوف أميرها زامل ومعه أغلبية الأهالي ضده في الحرب. **وإليك جدول يقارن بين إجراءات ابن رشيد المتباينة في بريدة وعنيزة بعد أن وضعت الحرب أوزارها:**

(1) عبد الرحمن بن صالح البسام، الخزانة 5/ 72.

(2) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. وانظر: الذكير، الخزانة (7/ 286).

(3) عبدالله البسام، **علماء نجد** (1/ 329). وانظر: أحمد البسام، **قراءة في بعض مذكرات ورسائل ابن عيسى**، ص167. ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص250.

(4) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4. وانظر: الذكير، الخزانة (7/ 286).

مدينة بريدة	مدينة عنيزة
الأمير فيها وقائد الحامية من أهل حائل	أميرها من أهلها
وضع فيها حامية عسكرية	لم يضع حامية إلا بعد بضع سنوات
مطاردة أسرة الإمارة وسجنهم	لم يعاقب أمراؤها السابقين آل سليم
هم بعقاب جماعي للأهالي ولكنه لم يفعل	لم يهم بعقاب جماعي للأهالي
أعاد تعيين قاضيها السابق وهو من أهلها	عين قاضيًا من أهلها بدل قاضٍ من الرس

ج) الوضع في مدينة الرس:

كان الصراع حول هذه الإمارة هو السبب المباشر لتوتر العلاقة السياسية والعسكرية بين محمد ابن رشيد وحسن آل مهنا حيث قام الأمير حسن المهنا بالمساعدة في عزل حسين العساف عن إمارة الرس وتعيين صالح بن عبد العزيز الرشيد، فلجأ العساف إلى ابن رشيد مستنجدًا به فأنجده وأعاده إلى إمارة الرس بالقوة، ومن هنا بدأت الوحشة بين حائل وبريدة التي تفاقمت لتصل إلى صدام مسلح على أرض المليدا. وبعد كون المليدا ثبّت ابن رشيد حسين بن عساف أميرًا في الرس.

د) الوضع في مدينة المذنب:

كان أمير المذنب (صالح الخريدلي) ممن دخل الحرب ضد ابن رشيد وقتل في المعركة، ولذا عين ابن رشيد مكانه يوسف العقيلي الذي قام بسجن بعض آل مهنا الهاربين، ثم تعاطف معهم وسهل هروبهم في ما يبدو بحسب بعض الروايات. ولعل في تعيين ابن رشيد ليوسف العقيلي كأمير للمذنب بعد المعركة مباشرة إشارة لا تخفى إلى وجود تحالف بين الرجلين في الصراع الذي كان قائمًا، ما استوجب مكافأة يوسف بتوليته على المذنب.

ثالثًا: الأوضاع العامة في العارض وسدير والوشم:

الوضع في مدينة الرياض:

بعد كل الإنجازات التي حققها ابن رشيد في ساحة القتال وميدان السياسة غدت مدينة الرياض هي مشروعه القادم بلا ريب، وأصبح طريقه إليها مفتوحًا ومكشوفًا أمامه. ولكنه

لم يستعجل سقوط تلك الثمرة اليانعة بيده، حيث كان يرجو أن يحصل عليها بأدنى كلفة، وكان يعرف أن الإمام عبدالرحمن لن يثبت فيها بعد أن خضد شوكة حلفائه في القصيم، ولم يلبث أن صدق توقع ابن رشيد حيث خرج الإمام عبدالرحمن من الرياض إلى شرق الجزيرة العربية، وتأمر فيها أخوه محمد الفيصل وسرعان ما بارك ابن رشيد هذا الوضع الجديد، دون أن يجرد لها جيشا.

الوضع في مدينة المجمعة:

دخل أمراء المجمعة (آل عسكر) في حلف ابن رشيد قبل كون المليدا، وذلك بعد معركة عروى عام 1300هـ ثم تعزز تحالفهم معه في معركة أم العصافير 1301هـ. فأقرهم ابن رشيد على إمارتهم ووضع في بلدتهم حامية مسلحة موالية له. وممن تولوا أمر الحامية عام 1300هـ سليمان السامي من أهل حائل. واستمر ولاء المجمعة لآل رشيد بعد كون المليدا عام 1308هـ. كما أنها لم تخضع لحملة الشيخ مبارك في كون الصريف 1318هـ.

الوضع في مدينة شقراء:

أما مدينة شقراء فقد تولّى الإمارة فيها بعد كون المليدا (عبدالله بن عيسى الصويغ) من أهل لبدة بحائل من قبل سيده ابن رشيد، واستمر أميرًا فيها حتى مقتله في ثرمداء عام 1322هـ.

رابعًا: المفاوضات الأولى بين الإمام عبد الرحمن والأتراك:

كان العرض العثماني مبكرًا حينما فاوضت السلطات العثمانية في الإحساء الإمام عبدالرحمن وذلك في منتصف عام 1308هـ/ 1891م بعد كون المليدا، وكان ذلك عندما اقترب الإمام من الإحساء فدعاه المتصرف هناك، والتقى به الدكتور (زاخورعازار)[1] كمفاوض نيابة عن المتصرف. وكانت خلاصة العرض العثماني في أن يحكم الإمام عبد الرحمن الرياض، باسم الدولة العثمانية ويرفع العلم العثماني، ويدفع لها خراجًا مقداره ألف ريال سنويًا[2].

(1) هو لبناني، مسيحي، عثماني، كان طبيبًا للحامية العثمانية في الهفوف، انظر: كشك، **السعوديون والحل الإسلامي**، ص433.

(2) الريحاني، **تاريخ نجد**، ص106، يبدو أن هذا المقدار للخراج من تقدير الريحاني اجتهادًا، وهذا واضح من صيغته وأسلوبه، وذكر الذكير أنه خراج جزئي (الذكير، تاريخه المخطوط، 2/ 77).

وقد رفض الإمام هذا العرض، حيث أعرب للسلطات العثمانية في الإحساء عن عدم ثقته بالقبائل بعد سيطرة ابن رشيد عليها[1]. وفي ظني أن هناك عاملًا آخر منع الإمام من الموافقة على العرض العثماني وهو خوفه من تكرار مأساة ضياع الإحساء من سلطة آل سعود عندما استعان فريق منهم بمدحت باشا، فخشي أن يحدث للرياض ما حدث للإحساء فسيتولى عليها العثمانيون، فهي وإن كانت تحت حكم الرشيد إلا أن أميرها آنذاك كان محمد الفيصل[2] أخو الإمام عبد الرحمن الفيصل. كما أن بقاء الرياض تحت نفوذ ابن رشيد أسهل في تخليصها مستقبلًا مما لو وقعت في قبضة الأتراك. كما أن الإمام يعرف أن مثل هذا العرض سيفرض واقعًا جديدًا في نجد غير مألوف، وستكون موافقة ابن رشيد عليه عسيرة وسيفشل بلا ريب[3]. ثم أن توقيت رفض الإمام عبد الرحمن للعرض قد جاء قبل فشله في معركة حريملاء 1309هـ، الأمر الذي يفسر ما كان في نفسه من بقايا أمل لإعادة حكمه، حيث عاد إلى نجد وجمع شتات قواته ودخل في مواجهة جديدة مع ابن رشيد في معركة حريملاء. ولكنه بعد هزيمته في تلك المعركة قَبِلَ التفاوض مع العثمانيين مجددًا ولكن بشروط جديدة، إلا أن العودة إلى الرياض لم تكن قد طرحت في تلك الجولة الثانية من المفاوضات.

خامسًا: امتداد حكم ابن رشيد في وسط الجزيرة العربية:

يلاحظ من مدونات المؤرخين المعاصرين للأحداث رصدهم لحالة جديدة بدأت تطفو على سطح السياسة في نجد منذ مطلع القرن الرابع عشر بشكل واضح وهي تنامي قوة ابن رشيد فيها، وأن هذا النفوذ قد أخذ في التصاعد قبل كون المليدا عام 1308هـ، ومن ذلك عبارة المؤرخ ابن عيسى في أحداث عام 1306هـ، حيث كتب (وذلك أن ابن رشيد قد تم له الاستيلاء على نجد بعد قتل عيال سعود)[4]. ولعل أهم نتيجة لانتصار ابن رشيد في كون المليدا أنه تمكن من مد نفوذه على مناطق واسعة في وسط الجزيرة العربية. غير أن هذا النفوذ لم يكتمل تمامًا إلا بعد أن قضى ابن رشيد على جيب المقاومة الذي كان

(1) الريحاني، مصدر سابق، ص106. الذكير، مصدر سابق 2/ 77.

(2) استمر محمد الفيصل أميرًا على الرياض مع وجود الحامية الرشيدية فيها حتى وفاته عام1311هـ، فعين ابن رشيد (عجلان بن محمد) أميرًا مكانه.

(3) الذكير، المخطوطة 2/ 77، الخزانة 7/ 2087.

(4) ورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ص309.

يتزعمه الإمام عبدالرحمن وإبراهيم المهنا، وذلك في معركة حريملاء بعد أقل من سنة من انتصاره في كون المليدا. حيث خرج الإمام عبدالرحمن من الرياض بعد هزيمته في حريملاء، وغادر نجد نهائيًا. وبذلك أتم ابن رشيد سيطرته على وسط الجزيرة العربية. وقد وصف بعض الشعراء حدود تلك الإمارة الرشيدية، فقال ابن هويدي عن حكم محمد بن عبدالله الرشيد:

تلقاه من عرعر لحوران للدير وما ناض من برق شرب من غديره[1]

وعن أخذ ذلك الأمير الزكاة تعبيرًا عن سعة نفوذه قال نفس الشاعر:

قادوا عليه معسكرات المسامير[2] **وأخذ زكاة اللي بكل الجزيرة**

كما أشار الشاعر عيادة بن منيس إلى امتداد حكم محمد ابن رشيد كنتيجة لانتصاره في كون المليدا، فيقول:

توليت من العارض إلى عويرض البحر وكل القبايل في خزامٍ يقوده

وإذا كان جمع الزكاة يعبر عن سعة ملك الحاكم فإن محمد بن عبدالله الرشيد قد وصل نفوذه في جمع الزكاة إلى مناطق وادي تثليث وخميس مشيط، بحسب ما جاء من شعر وروايات شفهية [3].

وكانت الدولة الرشيدية قد حافظت على تماسكها في عهد الأمير محمد بن رشيد لما اتصف به من حكمة وسياسة ناجحة، ولكن مع ذلك واجهت دولته معضلة رئيسية لم تستطع التخلص منها، وهذه المعضلة تتمثل في أنها كانت دولة صحراوية داخلية ظلت تفتقر إلى منفذ بحري يصلها بالعالم الخارجي، وهذا جعلها تعتمد على منافذ بديلة بيد خصومها من أشهرها ميناء الكويت، وميناء كل من العقير ودارين اللذين كانا تحت السلطة العثمانية المباشرة.

ويلاحظ أن الأوضاع الداخلية في المدن النجدية التي خضعت لآل رشيد بعد كون

---

(1) مجموعة ابن يحيى النبطية (2/ 222). لاحظ التشابه بين معنى هذا الشطر وبين مقولة الخليفة العباسي هارون الرشيد مخاطبًا السحابة، بقوله: (أمطري حيث شئت فإن خراجك سوفي يأتيني).

(2) معسكرات المسامير: أي الخيل المحذاة.

(3) أحمد العريفي، **مقامات حائلية** (2 74 و 75) وانظر هناك بعض الأبيات الشعرية والروايات في المعنى نفسه.

المليدا كانت مستقرة إلى حد كبير، وهذا الاستقرار كان بسبب السياسة الحكيمة التي اتبعها الأمير محمد العبدالله الرشيد، ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد في التاريخ المدون أو الشفهي في عهد ذلك الأمير ما يفيد بتمرد أهالي مدن نجد الرئيسية ضد سلطة آل رشيد في عهده. بيد أن الأمر تضعضع في عهد خلفه عبد العزيز المتعب، فالأمير عبد العزيز تولى الحكم وهو شاب وكان أقل حكمة وسياسة من عمه، وأميل إلى الشدة والبطش، ولأجل ذلك بدأت الحواضر والبوادي تنتقض عليه وتتجرأ للتمرد على حكمه، ووصل الأمر ذروته في كون الصريف عام 1318هـ[1].

وتقدم لنا الباحثة مضاوي الرشيد[2]، رؤيتها العامة لعوامل قيام وسقوط هذه الإمارة، التي وسعها الأمير محمد العبدالله الرشيد، وتذكر لنا مجمل الأسباب التي جعلتها تتفكك فيما بعد، حيث ترى أن توسع محمد العبدالله كان توسعًا إقليميًا من خلال حملاته العسكرية الناجحة، ولكنه حين توفي وخلفه ابن أخيه عبدالعزيز المتعب واجه مشكلة عدم القدرة على المحافظة على هذه الدولة الممتدة. وترى الباحثة أن ذلك يخضع لأسباب مجملة منها شح موارد الإمارة، وضعف الارتكاز على وسائل النقل لربط أجزاء الدولة.

سادسًا: هل بويع ابن رشيد كأمير للمؤمنين؟

لعل صعود النجم السياسي لابن رشيد منذ مطلع القرن الـ13 ثم تفرده لاحقًا في حكم نجد في نهاية العقد الأول من نفس ذلك القرن قد دفع بعض معاصريه من الفقهاء والشعراء اجتهادًا أو نفاقًا إلى توهم أنه صالح ليكون خليفة للمسلمين أو أميرًا للمؤمنين. والغريب أن هذا الشعور قد تولد عند أولئك رغم أن دولة آل رشيد كانت صديقة وفية وتابعة للسلطان العثماني فكيف تنازعه عباءة الخلافة هذا أمر، وهناك أمر آخر يدعو للغرابة أكثر كيف يتأتى لابن رشيد أن يكون مرشحًا لأعلى سلطة روحية في الإسلام ودولته لم تبلغ مصاف الدول التي تؤهلها لذلك فهي في أوجها (مثلًا) كانت مساحتها أصغر من مساحة الدولة السعودية الثانية، فدولة الرشيد التي سيطرت على وسط الجزيرة كانت منطقة الإحساء خارج نطاقها وبهذا الاعتبار فإن دولة الرشيد تفتقد لمنفذ بحري ولذا فهي تصنف من الدول الداخلية، وهذا يعد نقصًا خطيرًا في كيان الدول قديمًا وحديثًا. والحاصل أن مؤهلات دولة آل رشيد لم تكن بالتي تغري من يحكمها أن يدعي

(1) يمكن للقارئ الكريم التوسع في هذه المرحلة التاريخية بمراجعة كتاب (**كون الصريف**) للمؤلف.

(2) مضاوي الرشيد، **إمارة آل رشيد...**، ص168.

أنه يحكم باسم كافة المسلمين أو العرب. وهنا يجب أن نشيد بموقف الأمير محمد العبدالله الرشيد الذي رفض تلك الدعاوى والأحلام ولم ينسق ورائها، بل إنه تعامل معها بكل حكمة وسياسة. وهذا واضح من رده على الشيخ ناصر بن وادي الذي سيأتي لاحقًا.

وقد سرى بين الناس أمر ملفت للنظر لا بد من الإشارة إليه هنا عن حكم الأمير محمد العبدالله الرشيد، وهو ما شاع في زمنه من أنه هو (القحطاني) الذي ورد ذكره في الحديث الشريف: قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِاللهِ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ)[1].

وقد انعكس هذا التصور على الأدب الشعبي الموروث[2]، حيث نجده واضحًا في إنتاج الشعراء المعاصرين لتلك الفترة، حيث قال الشريف جعفر الحسيني مخاطبًا لابن رشيد على أنه القحطاني الوارد في الحديث الشريف:

ومدعي العلم منهم قد رأى كتبًا　　　تدله أنك المذكور في الكتبِ
يرون في آخر الأزمان يملكهم　　　ذو همة غير هياب ولا نكب

وفي نفس المعنى ورد في قصيدة الشاعر ابن سبيل راعي نفي في مدحه له حيث قال:

وهو خاتم الشيخان لا شيخٍ بعده　　　إشارة سميّه نزلت بالرسايل

كما جاء وصف الشاعر ابن هويدي لابن رشيد بأنه حاكم نجد وأنه خليفة وإمام للمسلمين، وذلك بعد معركة أم العصافير 1301هـ، حيث يقول:

الملك في يد خالق الناس مقسوم　　　والحكم عطي محمد واستقامي
كل ثبت عنده من الناس معلوم　　　إنه خليفة نجد وهو الإمامي

كما وجد هذا الأمر صداه لدى الفقهاء المعاصرين لذلك الأمير، ومن ذلك أن الشيخ علي بن ناصر بن وادي (ت:1360هـ) من علماء عنيزة قد انتدبه علماء القصيم لسبر حقيقة

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الماقب، باب ذكر قحطان، حديث رقم (3517)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم (2910).

(2) جاء في قصيدة ابن عقب الكاهن [ويملك نجد رجل قصير　　خيله أكثر من سيعان النمال] انظر: علي الصالح، تاريخ حائل، ص29.

الدعوة المهدية في السودان فسافر إليه لتعقب حالة حركة دعوة المهدي هناك واختبار صدقه وذلك عام 1299هـ، ولكنه عاد مقتنعًا بعدم صحة حقيقة دعواه. ونظرًا لما انتشر آنذاك بين الناس من أن محمد ابن رشيد هو (القحطاني) الموعود في الحديث الشريف فقد ذهب لمقابلته بعد عودته من السودان وفاتحه بما يراه الناس من أنه (القحطاني) الذي في الخبر النبوي، وقال له: إنهم ينتظرون منك إعلان الجهاد في سبيل الله. فقال له الأمير ابن رشيد: (نتمنى ذلك، ولكن وسائلنا ضعيفة لمثل هذا الأمر أمام الدول الكبرى)[1]. وهذه واقعية سياسية تدل على عقلانية حكم الأمير محمد بن رشيد. كما نفى الشيخ سعد ابن عتيق (ت:1349هـ) صحة ما كان يتردد من أن ابن رشيد هو (القحطاني) الوارد في الحديث لأن سياق أحداث الفتن لا يساعد على صحة هذا الادعاء[2].

كما وجد ذلك صداه في التقارير العثمانية المتبادلة بين رجال الدولة في ولاياتها المختلفة في الحجاز والشام والعراق وتعود تواريخ تلك التقارير إلي الفترة التي سبقت كون المليدا بسنوات وكذلك الفترة التي تلتها مباشرة. فقد سرت شائعات مفادها (أن ابن رشيد يدعو لنفسه ليكون أميرًا للمؤمنين ويدعى له على المنابر بذلك)[3]، ويشم من هذه التقارير أنها صادرة عن مسؤولين عثمانيين في الولايات العربية حاسدين لابن رشيد أو خائفين منه... بدليل أن السلطان العثماني عندما تحقق بنفسه من الأمر بواسطة رجال صادقين يجمعون له معلومات ميدانية واقعية أعلموه بأن ما ينسب لابن رشيد من تلك الدعاوى ليس لها أساس من الصحة.

سابعًا: تشكل المعارضة النجدية ضد حكم آل رشيد:

بعد نتيجة كون المليدا الكارثية على المناوئين لابن رشيد فقد كون الزعماء الناجين من المعركة جبهة معارضة لحكم آل رشيد لنجد، وما لبثت تلك المعارضة أن ازدادت زخما بعد نتيجة معركة حريملاء وخروج الإمام عبدالرحمن من نجد بشكل نهائي ثم سكناه في الكويت بإذن من العثمانيين، كل هذه جعل الكويت مركز استقطاب لتجمع المعارضة النجدية لحكم آل رشيد لبلادها وقد تزعم تلك المعارضة أمراء نجد وهم آل سعود وآل مهنا وآل سليم، وقد درجت

(1) عبدالله البسام، **علماء نجد في ثمانية قرون**، دار العاصمة، الرياض، 1319هـ.(5/ 307).

(2) العنقري، مصدر سابق، ص 53

(3) ستجد هذا مفصلًا في الحديث عن موقف الدولة العثمانية من الأحداث التي يتناولها الكتاب.

الأدبيات الشعبية على تسميتهم بـ (الجلوية) وهي تعني ما يعرف حاليًا (باللجوء السياسي).

ونستطيع أن نقول إن حائلًا لم تكن في عهد محمد الرشيد تتعامل بحساسية مع وجود أمراء نجد في الكويت، مع أنها لم تغفل مراقبة نشاط أولئك الأمراء وتحركاتهم، إلا أنها لم تجعلهم معيارًا محددًا لعلاقاتها مع الكويت (مثلًا)، بل إني أميل إلى أن ابن رشيد كان مطمئنًا إلى أن خصومه في كنف الدولة العثمانية وتحت بصرها في الكويت. يقول لوريمر: (واستقر (الإمام عبد الرحمن) في الكويت يحظى بعون شيخها وعون الحكومة التركية)[1].

مصير أمراء القصيم: واجهت أسرة المهنا بعد كون المليدا، مصير السجن في حائل لبعض أعيانها، فقبض على الأمير حسن المهنا جريحًا، وأودع السجن[2] ومعه عددٌ من أقربائه وهم:

1- الأمير حسن بن مهنا الصالح الحسين.

2- عبد الرحمن بن مهنا الصالح الحسين.

3- الأمير صالح الحسن المهنا الصالح الحسين.

4- سليمان الحسن المهنا الصالح الحسين.

5- محمد الحسن المهنا الصالح الحسين، وقد قتل في معركة الصريف.

6- محمد العبدالله المهنا الصالح الحسين، تولى إمارة بريد فيما بعد.

7- عبدالله العلي المحمد الصالح الحسين.

8- صالح العلي العبدالله الصالح الحسين، وقد قتل في معركة الصريف.

9- عبد العزيز العلي المحمد الصالح الحسين.

10- صالح العبدالله المهنا الصالح الحسين، وقد قتل في معركة الصريف.

وقد نجح هؤلاء بعد سنوات من الهرب من سجنهم وذلك في أول عام 1318هـ، وتوجهوا من فورهم إلى الكويت، بينما لم يستطع الأمير حسن ذلك لأنه كان معزولًا عنهم

(1) لوريمر، **دليل الخليج** 3/ 1696.

(2) ذكر العديد من المراجع سنوات الأسر بعشر سنوات، والمدة الصحيحة للأسر كانت ثماني سنوات وسبعة أشهر، كما اختلفت المراجع في عدد وأسماء الأسرى من أبا الخيل في حائل، والصحيح أن عددهم عشرة أشخاص.

في سجن انفرادي. وبذلك تعزز موقف المعارضة النجدية في الكويت للعمل لاستعادة بلدانهم من يد خصمهم ابن رشيد.

وقد أشرنا سابقًا إلى أن أمراء القصيم كآل سليم وآل مهنا، لم يطيقوا البقاء في بلدانهم وفضلوا اللجوء السياسي في الكويت، أما آل مهنا فانقسموا قسمين؛ قسم تم له الهرب إلى الكويت بعد كون المليدا مباشرة، وقسم تم القبض عليه وسجنهم في حائل حتى نجحوا في الفرار قبيل كون الصريف عام 1318هـ، أما آل سليم فإن الأمير محمد بن رشيد لم يتعرض لهم، فبقوا في عنيزة ثم تسللوا إلى الكويت على دفعتين الدفعة الأولى بعد كون المليدا بفترة قصيرة حيث توجه بعضهم للكويت طواعية، ومنهم الأمير عبدالعزيز العبدالله السليم وصالح الزامل، والبعض الآخر توجه هربًا إلى الكويت عام 1314هـ بسبب حدوث مشكلة داخلية في عنيزة تفاقم أمرها، ما أدى إلى تسرع ابن رشيد بإرسال سرية مسلحة للقبض على كبار آل سليم بعنيزة فنتج عن هذا هروب بعضهم للكويت، ثم استلحقوا عوائلهم بعد ذلك إلى منفاهم[1]. ومن لم يهرب منهم فقد تم القبض عليهم واقتيدوا إلى حائل وسجنوا هناك إلى عام 1324هـ[2].

ومما شجع أمراء القصيم على التوجه إلى الكويت استقرار حليفهم الإمام عبدالرحمن الفيصل هناك. وفي الكويت لم يسكن أمراء القصيم بجوار الإمام عبدالرحمن في حي قبلة، بل سكنوا في حي المرقاب والذي كان من الأحياء الحديثة النشأة آنذاك وهو خارج السور الثاني، وكان مقامهم عند مسجد يقال له مسجد المطران[3]، ومع مرور الوقت تكاثر أهل نجد المقيمون حول هذا المسجد حتى أن بعضهم تولى إمامة الصلاة والتأذين فيه[4].

ثامنًا: القلق العثماني من الإخلال بطرق الحج والتجارة:

كانت بلاد القصيم منذ صدر الإسلام طريقًا لمرور الحج العراقي والفارسي إلى الديار المقدسة، ولكن التنافس الشرس بين حائل والقصيم في العصور المتأخرة حول حيازة

(1) للاطلاع على تفاصيل ما حدث، انظر **تاريخ الذكير الخزانة** (7/ 301 -302).

(2) أطلق الأمير متعب بن عبدالعزيز الرشيد سراحهم في أول حكمه، وجاءت هذه المبادرة الطيبة تجاه أهل عنيزة من الأمير متعب، في إطار المصالحة مع الملك عبد العزيز.

(3) يطلق على المسجد رسميًا الآن اسم (مسجد العتيقي).

(4) عدنان سالم الرومي، **تاريخ مساجد الكويت القديمة**، ط1، 1423هـ، الكويت، ص317.

تلك الطرق ختم لصالح حائل، لما لذلك النشاط من صبغة دينية بالإضافة إلى كونه يوفر دخلًا ماديًا كبيرًا من جراء تنظيم وقيادة وحماية قوافل الحج القادمة من العراق وفارس والتي يكون مرورها على حائل.

ولذا فبعد بروز آل رشيد كقوة سياسية وعسكرية في نجد، فقد أصبح لديهم القدرة على توفير الأمن للحجاج، وبذلك استطاعوا تحويل أغلب طرق الحج والقوافل التجارية لتمر بحاضرتهم حائل، وجنوا من ذلك دخلًا ماليًا وفيرًا، وفي هذه الصدد أشارت وثيقة عثمانية لهذه المكاسب الضخمة قائلة (ومن المعلوم أن ابن رشيد يأخذ من الحجاج مبالغ ضخمة كما يأخذ من أبناء عشائره ضريبة باسم الزكاة وهو غني في المنطقة التي يقطنها)[1]، أما المؤرخ التشيكي لويس موسيل فيمدنا بتفاصيل ما أجملته الوثيقة العثمانية، حيث قال: (إن محمد بن رشيد استغل بمنتهى البراعة مركزه لإقناع قادة القوافل بالمرور في حائل، فأصبحت قوافل الحج من البصرة لا تمر بالإحساء والرياض بل تمر بحائل، وحتى القوافل القادمة من القصيم عليها أن تمر بحائل... ويتعين على الحجاج البالغ عددهم (10000حاج) دفع مبلغ (30 مجيديًا) عن كل حاج في الذهاب إلى مكة، و(15 مجيديًا) في العودة منها، إضافة إلى جمارك يدفعونها على ما معهم من سلع تجارية[2]. وقد أضر هذا بلا ريب بمكانة ودور القصيم الاقتصادي في شمال نجد وكان سببًا في حصول نزاعات بين قطبي هذا النشاط في بريدة وحائل، ومن ذلك ما حدث بين أميرها (مهنا الصالح) والد حسن المهنا، وبين أمير حائل متعب بن عبدالله آل رشيد، حول الحصول على امتياز نقل الحجاج من العراق، حيث تسابقا ليفوز أحدهما كمتعهد وضامن لنقلهم. وقد استطاع الأمير الرشيدي الفوز بهذه الصفقة رغم أن مهنا الصالح كان الأسبق في الشروع بها[3].

وأمام هذا المنافسة الاقتصادية الشرسة، نجد أن تجار القصيم اتبعوا أسلوبين للتعامل مع هذا الوضع الجديد، بعضهم رأى أن من المصلحة مصادقة هذه القوة الناشئة في حائل، وتمرير مصالحهم من خلالها والتعاون معها كآل بسام في عنيزة، أما البعض الآخر كآل مهنا في بريدة الذين جمعوا إلى التجارة إمارة بلدهم، فقد رأوا في آل رشيد منافس طامع فعارضوه في البداية ثم اضطروا لمهادنته ومصادقته، ثم اكتشفوا أن صداقتهم له

---

(1) رسالة من والي بغداد بتاريخ 12 جمادى الأولى 1308.

(2) لويس موسيل، **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، الوراق، ص27.

(3) العنقري، مصدر سابق، ص 93.

أضرت بهم أكثر مما نفعتهم، فقلبوا له ظهر المجن وخرجوا من عباءته. وعندها وقع الصدام السياسي ثم تطور ليتحول إلى صراع عسكري شرس بين حائل وبريدة والقصيم برمته. ويورد لنا المؤرخ الريحاني أن ابن رشيد لما عاد من غزوته على الرياض (في أول 1308هـ) طالبه أهل القصيم بوعده السابق لهم بإعطائهم (بادية مطير وخوة الحاج) فسوّف وتردد فنهضوا لحربه[1].

وفي جانب آخر كانت مسألة تأمين طرق الحج ممن يشغل بال صناع السياسة العثمانية وعلى رأسهم السلطان عبدالحميد الثاني، وقد سعت السلطات العثمانية لنشر الوئام بين آل سعود وآل رشيد لتسكين ما كانت تراه من فتنة بين أمراء العرب في نجد. وذلك بهدف تأمين طرق الحج والتجارة المارة في وسط الجزيرة العربية. وعندما غنم ابن رشيد بعد كون المليدا معسكر خصومه وما به من ألوف الخيل[2] والمؤن و12,000 بندقية، وقد منحها مع بعض الغنائم إلى حلفائه من قبيلة حرب الأمر الذي جعل الأتراك يتهمونه جزافا بتسليح هذه القبيلة للهجوم على قوافل الحج [3]. وفي نفس الاتجاه تحدثت الوثائق العثمانية عن القلق من توسع نشاط ابن رشيد ضد جيرانه آل سعود، مما يشكل تهديدا مباشرا للحكم العثماني في الشام والحجاز والعراق. كل ذلك رغم تفاني ابن رشيد في تأكيد ولائه للسلطان العثماني، وحرصه على تأمين سبل الحج المارة في أراضيه[4].

ومن خلال المراسلات العثمانية ينكشف لنا أن ابن رشيد يحسن العزف على الوتر الحساس الذي يطرب السلطات العثمانية، وذلك بتقديم نفسه كشرطي صارم لتأمين وتنظيم حركة الحجاج المارين بوسط الجزيرة العربية ولذا نجد إحدى تلك المراسلات بعد عتبها على المحاربة بين ابن رشيد وخصومه تقترح الآتي: (كتابة رسالة من الولاية إلى ابن الرشيد يتم إرسالها بواسطة السعاة الخاصة ليتم السؤال فيها عن نتيجة واقعة المحاربة منه مباشرة وهو دائما يدعي انقياده للدولة لقيامه بالمحافظة على

(1) الريحاني، **تاريخ نجد**، ص 105، وعبارته الأخيرة (فنهضوا لحربه)، وربطها بمسألة البادية والحجاج ربط ضعيف وغير دقيق، فهناك من العوامل ما هو أخطر أثرًا في تخريب العلاقات بين حائل والقصيم والانجراف نحو الحرب.

(2) نستبعد وجود ألوف من الخيل في معسكر أهل القصيم لأن سلاح الخيالة لديهم كان قليلًا جدًا، وهو الأمر الذي كان من أسباب إخفاقهم. كما استبعد وجود هذا العدد الكبير من البنادق في معسكر أهل القصيم.

(3) نولده، مصدر سابق، ص 80.

(4) نولده، المصدر السابق ص80. وانظر: كورشون ، **آل سعود والعثمانيون**، مصدر سابق ص240.

طريق الحجاج وتأمينه كما في السابق، وفي حالة وجود الإمكانية يتم إرسال ثلاثمائة أو أربعمائة فارس، وفي الحقيقة إن كان ابن الرشيد عاجزًا عن مقاومة العدو فسوف يوافق حتمًا على إرسال العساكر)[1]. وعلى صعيد آخر كشفت لنا الوثائق العثمانية التي تتحدث عن تبعية ابن رشيد للدولة العثمانية أنه كان يستغل بذكاء سياسي فطري رحلات الحجاج في مرحلة العودة للعراق ليقوم رجاله المرافقين للحملة بالإعلان دومًا عن خضوعه للدولة وكرهه للأجانب، وفي إحدى الرسائل ذكر والي بغداد: أن ابن الرشيد يقوم بمراسلة الولاية بين حين وآخر. وفي الرسائل المرسلة يعرض دائما الثقة والانقياد للسلطنة العلية، وأن رجاله القادمون مع الحجاج يكررون نفس اللهجة ونفس المشاعر[2].

---

(1) رسالة مرفوعة من والي بغداد إلى الباب العالي بإستانبول، بتاريخ 3 رمضان 1308.

(2) نفس الرسالة السابقة. كما ورد هذا في رسالة مماثلة بتاريخ 12 جمادى الأولى 1308.

الفصل التاسع

معركة حريملاء
عام 1309هـ

شر العواقب يأس قبله أمل وأعضل الداء نكس بعد إبلال

البحتري

تمهيد: ذكرنا سابقًا أن الإمام عبدالرحمن عاد إلى الرياض بعدما بلغه وهو في الطريق - لنجدتهم - هزيمة حلفائه أمراء القصيم في كون المليدا. وفي هذه الأثناء كان ابن رشيد يرصد عن كثب رد فعل الإمام عبدالرحمن ويحاول اكتشاف نياته ومراقبة تحركاته[1]، ولكنه لم يطارده بعد انتصاره في كون المليدا بل عاد إلى حائل من القصيم وكأنه غير مكترث به، وذلك ربما لعلمه أن الإمام عبدالرحمن لن يثبت في الرياض، وفعلًا سرعان ما رحل الإمام من الرياض وخرج إلى بادية العجمان[2].

وللتحريض ضد الإمام عبدالرحمن كتب ابن رشيد إلى المسؤولين العثمانيين في ولاية بغداد بتاريخ (13/ 9/ 1308هـ)، يحذر فيها تلك السلطات من تحركات الإمام عبدالرحمن في بادية العجمان شرق الجزيرة العربية، ويزعم أنه ينوي الاستيلاء الإحساء بمساعدة تلك العشائر، ولكن السلطات العثمانية لم تأخذ تحذيرات ابن رشيد مأخذ الجد ولم تصدق وشايته[3]. فسارع الإمام عبدالرحمن إلى إرسال رسالة تطمين لمتصرف الإحساء بأنه ليس في نيته احتلال الإحساء، خصوصًا بعد المناوشات

(1) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص113.

(2) عبدالله البسام، **التحفة**، ورقة 164.

(3) كورشون، **سواحل نجد**، مصدر سابق، ص 185. وانظر سعيد مفرح، مصدر سابق، ص 19.

التي جرت بين الإمام عبدالرحمن تسانده البادية وبين القوات التركية المرابطة في المتصرفية[1].

اتفق المؤرخون على أن معركة حريملاء وقعت في سنة 1309هـ، ولكن حصل خلاف بينهم[2] في الشهر الذي وقعت فيه المعركة. (فالقول الأول) على أنها وقعت في شهر جمادى أول، واختار هذا الشهر المؤرخ إبراهيم القاضي إذ قال: (في أول التاسعة توجه ابن رشيد... والتقوا في حريملاء في جمادى أول 1309هـ)[3]. ويقول المؤرخ الذكير: (فخرج ابن رشيد من بلاده في شهر ربيع 1309هـ)[4]. وبهذا يكون خروج ابن رشيد في أحد الربيعين من بلاده والقتال حصل في جماد أول من عام 1309هـ. و(القول الثاني) على أنها وقعت في مطلع عام 1309هـ، واختاره المؤرخان (عبدالله بن محمد البسام وإبراهيم ابن عيسى)[5]، حيث ذكرا أن ابن رشيد رجع إلى بلاده بعد معركة حريملاء في آخر شهر صفر من عام1309هـ. وهذا يقتضي أن المعركة وقعت إما في آخر شهر محرم أو في أول شهر صفر.

وقد استأنف الإمام عبدالرحمن مقاومته لابن رشيد بعد أن التحق به إبراهيم المهنا - أخو حسن المهنا - وهو في بادية العجمان[6]، فقوي عزمه به وكان إبراهيم المهنا في الكويت يترأس قافلة تجارية ضخمة من الأرزاق لأهل بريدة، تبلغ (800 بعير)، وعندما علم إبراهيم المهنا بخروج ابن رشيد لقتال أهل القصيم في المليدا خرج هو بقافلته من الكويت للقصيم مددًا لقومه، وفي عرض الطريق قدم عليهم (نجاب)[7] من الأمير حسن المهنا يستحثهم على الإسراع بالوصول لحاجة الناس إلى الطعام[8] في مصافهم أمام قوات ابن رشيد، ولكن عندما توسطوا في طريقهم بين الغاط والمجمعة وصلهم خبر هزيمة قومهم

---

(1) محمد السلامة، مصدر سابق، ص212. و سعيد بن مفرح، مصدر سابق، ص 19 .

(2) ينفرد المؤرخ ابن ناصر برأي ثالث، حيث جعلها بعد عام 1308هـ، ورقة 42.

(3) إبراهيم القاضي، مصدر سابق، ورقة 4.

(4) الذكير ، مصدر سابق، الخزانة (7/ 286).

(5) عبدالله البسام، **التحفة**، ورقة 164. وابن عيسى، **عقد الدرر** ، ص90.

(6) هناك احتمال التقاء إبراهيم بن مهنا مع الإمام عبدالرحمن في أطراف سدير بعد وصول خبر هزيمة حلفائهما في القصيم إليهما. خصوصا إذا استفدنا من التزامن الذي حدث بين وصولهما لنفس المنطقة تقريبًا وبلوغها خبر الهزيمة هناك، مع الاعتراف بأن هذا يبقى في دائرة التخمين، إذ ليس هناك أي مصدر أشار إلى التقائهما في تلك الفترة وفي ذلك المكان.

(7) النجاب، هو البريد الذي يركب الناقة السريعة لإيصال خبر ذي أهمية على رأس السرعة بأجر مضاعف.

(8) **تاريخ ابن عيسى** ، تحقيق البسام (4/ 1138)، ابن ناصر ورقة 41. العبيد، (2/ 253).

في كون المليدا[1]. فما كان منهم إلا أن رجعوا إلى الكويت خوفًا على القافلة[2]. ومن الكويت توجه إبراهيم المهنا ليلتحق بالإمام عبدالرحمن وهو في بادية العجمان شرق الجزيرة، ومعه جماعة من أهل بريدة[3]. وبذلك تم التحالف بين إبراهيم المهنا والإمام عبدالرحمن ضد ابن رشيد، يساعدهما فريق من العجمان بزعامة محمد الدامر وشافي بن منيخر[4] وفريق من سبيع[5]، كما انضم إليهم بعد استرجاع الدلم عدد من مقاتلي أقليم جنوب نجد[6]. وعند ذلك زحف الإمام عبدالرحمن بمن معه على الدلم وطرد حامية ابن رشيد منها، قال المؤرخ ابن عيسى: (واجتمع عند الإمام جنود كثيرة فتوجه بهم إلى بلد الدلم وكان في قصرها عدة رجال من جهة ابن رشيد فلما وصل الإمام عبدالرحمن بن فيصل البلد فتح له أهل البلد الأبواب واستبشروا بقدومه فدخل بمن معه من الجنود البلد وحصروا من في القصر من أتباع ابن رشيد أياما ثم أخرجوهم بأمان وأقام الإمام هناك عدة أيام ثم ارتحل من الدلم وتوجه إلى بلد الرياض)[7]، ثم قام العجمان الموالون له بمهاجمة الخرج وقتلوا أميرها من قبل ابن رشيد[8]، ثم دخل ذلك الإمام الرياض بغير قتال وكان أميرها من قبل ابن رشيد أخوه الأمير محمد بن فيصل آل سعود. وفور صول هذه الأخبار لابن رشيد تحرك نحو العارض لمواجهة هذا التحالف الجديد ضده[9].

أمام هذه التطورات السريعة والمتلاحقة، تحرك ابن رشيد من فوره وزحف بجيشه

---

(1) المصدر السابق (4/ 1138)، ويذكر أن الوضع الذي وصلهم خبر الهزيمة فيه اسمه (البتراء). وانظر/ **تاريخ ابن عيسى** (الخزانة 2/ 260)، ويسمي ابن ناصر ذلك الموضع (البتير) ورقة 41. وفي **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، جاء ذكر لموضع اسمه البتيرة قرب جلاجل، مصدر سابق(4/ 1123).

(2) ذكر المؤرخ إبراهيم القاضي أن (إبراهيم المهنا) في انهزامه من المليدا جنب عنيزة وتوجه إلى الإمام عبدالرحمن، وقد وافقه المؤرخ الذكير على ذلك. وهذا يخالف الرواية السائدة عند أغلب المؤرخين التي أوردناها، وهي أن إبراهيم لم يشارك في المليدا وانه كان في الطريق من الكويت إلى نجد على رأس قافلة تجارية أثناء مرابطة الجيوش في المليدا. وقد ذكر ابن عيسى صراحة في أحداث عام 1309هـ أن إبراهيم بن مهنا كان في الكويت، ولم يحضر وقعة المليدا، ابن عيسى، المجموع (وما زال مخطوطا)، ورقة 246.

(3) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، (4/ 1142).

(4) العنقري، حكم محمد بن رشيد، مصدر سابق، ص98.

(5) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص113. وانظر/ سطام الحربي، مصدر سابق، ص 108. ومحمد السلامة، مصدر سابق، ص212. وجاء في التقرير الذي رفعه عبدالله الثنيان للسلطان (مصدر سابق) أن حلفاء الإمام عبدالرحمن في حريملاء سبيع والسهول والدواسر والمرة والعجمان والهواجر.

(6) إبراهيم القاضي، مصدر سابق ورقة 4.

(7) **تاريخ ابن عيسى**،تحقيق احمد البسام، مصدر سابق (4/ 1142).

(8) سطام الحربي، مصدر سابق، ص 108. بحسب ما جاء في وثيقة عثمانية.

(9) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، مصدر سابق (4/ 1142).

واستنفر غزو القصيم وساروا معه وكاتب أهل سدير والوشم للالتحاق به وواعدهم بلدة (ثرمدا)[1]، وأخذ يبعث العيون لمراقبة مسير الإمام عبدالرحمن وحلفائه الذين تحركوا نحو حريملاء، في حين أن الإمام ومن معه لم يشعروا أن ابن رشيد قريب منهم. وسبب ذلك أن ابن رشيد منذ انصرافه من المليدا وتوجهه إلى حائل وهو يراقب تحركات الإمام عبدالرحمن، واستمر يتابعه إلى أن نزل حريملاء. أما الإمام وأتباعه فيظهر أنهم غفلوا عن المتابعة الجيدة لابن رشيد ولم يشعروا بزحفه نحوهم[2] بهذه السرعة التي لم يتوقعوها، فكان له عليهم ميزة المباغتة كما سنرى.

وقد اختلفت المصادر متى كان تحرك ابن رشيد لاعتراض تحركات الإمام عبدالرحمن؟ هل هو قبل استرجاعه للدلم؟ أم بعد دخوله للرياض؟ فابن عيسى يقول: (خرج ابن رشيد عندما علم بخروج (إبراهيم) ابن مهنا من الكويت واجتماعه بالإمام عبدالرحمن، ومر (ابن رشيد) بالقصيم وطلب غزو الوشم وسدير وواعدهم ثرمدًا)[3].وأثناء مرور ابن رشيد بالوشم[4]جاءته عيونه التي بثها بأن الإمام عبدالرحمن خرج من الرياض متوجهًا إلى حريملاء[5].وفي كل الأحوال كانت عين ابن رشيد ساهرة لأن القلق طالما سايره من التحالف القائم بين الإمام عبدالرحمن وإبراهيم بن مهنا، حيث كان متيقنًا أن نجد لن تصفو له- بعد كون المليدا- إلا إذا قضى على جيب المقاومة الذي يقوده ذلك التحالف ضده.

وصف القتال في معركة حريملاء:

في الوقت الذي نزل فيه الإمام عبدالرحمن حريملاء، كان ابن رشيد قد وصل بلدة (أشيقر). ثم سار بعدها إلى بلدة (البرة) وترك فيها أثقاله[6]. وحسب رواية المؤرخ محمد العبيّد فإن الإمام عبدالرحمن عندما نزل حريملاء، لم يكن قد علم أن ابن رشيد سار فعلا من حائل وأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى منه، حيث أن ابن رشيد وقتها كان قد نزل بلدة (ثرمداء)[7].

(1) المصدر السابق (4/ 1142)

(2) المصدر السابق ، (4/ 1143)، وانظر ، محمد العبيد (2/ 253).

(3) **تاريخ ابن عيسى** ، مصدر سابق، (4/ 1142).

(4) عبدالله البسام ، التحفة، ورقة164

(5) ضاري، مصدر سابق، ص113.

(6) ابن ناصر ، مصدر سابق، ورقة 42.

(7) العبيّد، مصدر سابق، (2/ 253).

وقبل أن يتحرك ابن رشيد ليهاجم جيش الإمام عبدالرحمن ومن معه في حريملاء بث عيونه ليستطلع وضعهم العسكري، حيث رجع إليه رجاله وأخبروه بأن هناك مخيمًا خارج حريملاء فيه ثلاثون خيمة، وأن جيش الإمام متفرق بعضهم خارج البلد وبعضهم داخلها[1]، عندها علم ابن رشيد أن خصومه على غير تعبئة[2]، وأنهم لم يفطنوا به، فأراد اهتبال هذه الفرصة المواتية فقرر شن هجومٍ مباغتٍ على الإمام ومن معه وهم على هذه الحال، فنفذ خطته وأخذهم على حين غرة.

وعن وقت القتال في معركة حريملاء لدينا روايتان مختلفتان في تحديده، فالمؤرخ عبدالرحمن الناصر ذكر أن القتال وقع (قريب العصر)[3]، أما المؤرخ العبيّد فيذكر أن القتال وقع (في الضحى)[4]. ولدينا رواية ثالثة لضاري الرشيد، إذ ذكر أن ابن رشيد أمر بالزحف عندما (تعلت الشمس). ثم ذكر أن المسافة بين المعسكرين مسير (خمس ساعات)[5].

ومن خلال راوية ضاري الرشيد يمكن الجمع بين روايتي ابن ناصر والعبيّد من دون تعارض للوصول لرأي توافقي لتحديد وقت القتال، ليكون كالتالي: كانت بداية زحف ابن رشيد على خصومه بعد ارتفاع الشمس (كما قال ضاري والعبيّد). وعندما نضيف الزمن اللازم للمسير وهو خمس ساعات يكون وقت الزوال قد اقترب، وبهذا يكون التحام الفريقين بدأ مع الزوال وامتد إلى قريب العصر. (كما ذكر المؤرخ ابن ناصر).

وقد شن ابن رشيد بقواته هجومًا مباغتًا على قوات عبدالرحمن وهم على غير تعبئة، حيث كان جيشه متفرق داخل حريملاء وخارجها. حيث يقول ابن عيسى: (وصل ابن رشيد إليهم وهو على غير تعبئة والإمام وبعض القوم في البلد وبعضهم في منزلهم خارج البلد، فحصل بين الفريقين مناوشة قتال)[6]. ولكن المؤرخ عبدالله البسام يصف القتال بأنه كان شديدًا[7].

---

(1) ضاري، مصدر سابق، ص113.

(2) تاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، (4/ 1143).

(3) ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة 42.

(4) العبيّد، مصدر سابق، (2/ 253).

(5) ضاري، مصدر سابق، ص113.

(6) تاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، (4/ 1143).

(7) عبدالله البسام، التحفة، ورقة 164.

أما ضاري الرشيد فيصف لنا الهجوم بتفاصيل أدق، حيث ذكر: (أرسل ابن رشيد خيلًا عيونًا جاؤوه مسرعين على أنهم قد رأوا خيام عبدالرحمن وقد كانت ثلاثين خيمة، فحالًا أمر القوم أن يجردوا الركاب من جميع الثقل وأن يركبوا خفافا، والمسافة التي بينهم خمس ساعات، وذلك بعد ما تعلت الشمس. فعند ذلك أغاروا عليهم فجأة، ولم يكن لهم من النجدة إلا الهزيمة)[1]. وعن عنصر المفاجأة الذي حققه ابن رشيد في المعركة يقول المؤرخ عبدالرحمن الناصر عن جيش الإمام عبدالرحمن: (ولم يشعروا إلا بظهور العج)[2].

استطاع ابن رشيد أن يشتت شمل قوات الإمام عبدالرحمن باستخدامه عنصر المفاجأة، وهم على غير تعبئة وبذلك حسم النتيجة لصالحه، فهرب من هرب كالإمام عبدالرحمن وإبراهيم بن مهنا وزعماء البادية. أما من أدركه مقاتلي الجيش الرشيدي فكان مصيره القتل. ومن مشاهير القتلى في المعركة مساعد بن جلوي آل سعود.

أما الإمام عبدالرحمن فقد نجا بفضل أربعة من فرسان حلفائه من قبيلة العجمان، حيث أنقذوه في لحظة حاسمة وذهبوا به إلى مناطق نفوذهم في البادية نحو الإحساء وذلك حسب رواية ضاري الرشيد[3]. ولكن رواية أخرى لبعض المؤرخين[4] يفهم منها أن الإمام انسحب بعد هزيمته في معركة حريملاء وتوجه إلى الرياض أولًا ثم خرج منها.

أما إبراهيم المهنا فإنه هرب من ميدان القتال بعد الهزيمة ولكنه لم يبتعد كثيرًا. فأرسل ابن رشيد سرية تبحث عنه فوجدوه مختبئا في مكان فيه نخل قريب من حريملاء، فجيء به إلى الأمير ابن رشيد[5] قبل مسيره إلى الرياض فقتله في حريملاء مع عدة رجال وذلك حسب رواية ابن عيسى[6]. بينما يذكر المؤرخ ابن ناصر رواية أخرى وهي أنه جيء بإبراهيم المهنا لابن رشيد بعد وصوله للرياض فقتله فيها[7]. وهذا ما يفهم من

(1) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص114.

(2) ابن ناصر ، مصدر سابق، ورقة 42، والعج هو الغبار الناتج من الغارة.

(3) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص114.

(4) الذكير ، مصدر سابق، الخزانة (7/ 287)، **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سابق (4/ 1143).

(5) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص90، الذكير، الخزانة (7/ 288)، عبدالله البسام، **التحفة** ورقة 164، إبراهيم القاضي، ورقة 4.

(6) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص 90.

(7) ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة 43.

سياق وثيقة عثمانية ذكرت مقتل إبراهيم بن مهنا بعد أن عددت أفعال ابن رشيد في الرياض وحولها[1].

وعن عدد القتلى فقد ذكرت وثيقة عثمانية أن القتلى في معركة حريملاء بلغ عددهم (300 رجل) من أتباع ابن سعود[2]، وهو رقم لا يخلو من المبالغة. أما المؤرخون المحليون فعبروا عن حجم القتلى بالوصف من دون العدد، فقال ضاري الرشيد: (أما الذي قضب (قبض عليه) ذاك النهار فلا تسأل عنه)[3]. أما المؤرخ عبدالله بن محمد البسام فيقلل في عبارته من عدد القتلى بقوله: (وقتل من أتباعه (أي الإمام عبدالرحمن) عدة رجال)[4].

توجه ابن رشيد إلى الرياض بعد معركة حريملاء:

بعد أن تم لابن رشيد النصر في معركة حريملاء على الإمام عبدالرحمن وإبراهيم بن مهنا ومن معهما. دخل حريملاء وأخذ يتتبع حركة الإمام عبدالرحمن الذي فر من المعركة ودخل الرياض ثم خرج منها إلى جهة الإحساء. وفي حركة استباقية خشية أن ينهض أهل الرياض مع الإمام عبدالرحمن ضد ابن رشيد، أرسل إليهم ابن رشيد (يعدهم ويمنيهم) والإمام عبدالرحمن كان لا يزال في الرياض لم يغادرها، وعندما علم الإمام عبدالرحمن بأن ابن رشيد اتصل بالأهالي مباشرة فت هذا في عضده وتيقن بقلة جدوى المقاومة في الرياض فقرر الخروج منها[5]. ويلاحظ المؤرخ الذكير أن ابن رشيد لم يطارد الإمام عبدالرحمن بعد فراره من معركة حريملاء لأنه يعلم - كما يقول ذلك المؤرخ - أن الإمام لا يثبت في الرياض[6].

والملاحظ أن ابن رشيد اتبع هذا الأسلوب قبل ذلك، حيث لم يتعقب بقواته الإمام عبدالرحمن عندما لجأ للرياض بعد كون المليدا، ثم لما لجأ إليها مرة أخرى بعد معركة حريملاء، كما لم يطارده في أثناء وجوده في بادية العجمان شرق الجزيرة مع علمه بخطورة تحركات الإمام ضده في تلك الجهات. وسبب ذلك في رأيي أن ابن رشيد لا يرغب في مواجهة مباشرة مع آخر أئمة آل سعود، وإن كان في نفس الوقت يريد التخلص من خطره

---

(1) وثيقة عثمانية بتاريخ 16 ربيع الثاني 1309هـ. مسجلة بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض برقم 18000.

(2) برقية من ولاية الحجاز إلى الصدر الأعظم بتاريخ 7 ربيع الآخر 1309هـ. انظر: العنقري، مصدر سابق، ص99.

(3) ضاري الرشيد، ص114.

(4) البسام، **التحفة**، ورقة 164.

(5) **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سابق (4/ 1143).

(6) الذكير، الخزانة (7/ 287).

على نفوذه، ولذا كان ابن رشيد يرى أن خروج الإمام عبدالرحمن من بلاد نجد كفيل بقطع أمله في الاحتفاظ بحكمها، ومحقق لغايته التوسعية في وسط الجزيرة العربية.

أعمال الأمير محمد ابن رشيد العسكرية في الرياض:

بعد أن حسم الأمير محمد الرشيد الصراع في نجد لصالحة بانتصاره عسكريًا في معركة حريملاء زحف على الرياض ليعاقب أهلها ويجعلها مدينة ضعيفة غير عصية عليها مرة أخرى، فأفقدها لياقتها العسكرية وأضعف تحصيناتها الحربية، ولا ريب أن هدفه من وراء ذلك كان سحب بساط الزعامة النجدية من تحتها. فعندما وصلها بعد مغادرة الإمام عبدالرحمن لها، أمر بهدم تحصيناتها لكي لا تمتنع عليه يوما، وقد شمل الهدم[1]:

1- سور الرياض، حيث هدم أجزاء كبيرة منه[2]، وترك المدينة مكشوفة من دون سور يحميها[3].

2- القصر العتيق: المسمى (قصر فيصل) وسواه بالأرض.

3- القصر الجديد: المسمى (قصر عبدالله الفيصل) هدم أكثره.

وقد ورد في وصف الرياض عام1308هـ/ 1890م أنها محاطة ببساتين البديعة التي قطعها الأمير محمد بن رشيد، كما هدّم سورها ولم يرغب فيما بعد أن يصلح هذا السور، إلا أن أبوابه الرئيسية ظلت قائمة يدافع عن أبراجها رجلان أو ثلاثة (لكل برج)، كما يمكن سد نقص مناعة السور باستدعاء الرجال للدفاع عنها متى ما دعت الحاجة، وكانت حامية المدينة مكونة (من 50 إلى 60 رجلًا)[4] يسكنون القلعة ويرابطون داخلها، غير أولئك المسلحين الذين يدافعون عنها وقت الأزمات، ويبلغ ارتفاع سورها (6 أمتار)، وفي وسط

---

(1) لمعرفة أعمال ابن رشيد في الرياض راجع: ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص90. وعبدالله البسام، التحفة، ورقة 164. وضاري الرشيد، ص115. **ودليل الخليج**، (3/ 1694). بينما يرى المؤرخ الذكير أن ابن رشيد لم يتوجه إلى الرياض بعد حريملاء، **مطالع السعود**..،تحقيق سعود التركي،مصدر سابق،ص265 هامش5.

(2) بدليل أنه في أحداث الصريف بعد ذلك بعشر سنوات لم يشكل السور للملك عبدالعزيز عائقًا عن تقدمه إلى داخل المدينة حيث كان أغلبه مهدمًا.

(3) كان سبب هدم السور هو أن لا يمتنع فيه ثائر من آل سعود، ولكن الأحداث اللاحقة أثبتت أن السور المهدم كان سببًا في تسهيل استعادة الرياض في سنة الصريف 1318هـ، وفي سنة فتح الرياض 1319هـ.

(4) محمد المانع، **توحيد المملكة**، ص42.

المدينة ساحة يطل عليها كل من الجامع والقصر[1]. وحسب وثيقة عثمانية صدرت في أوائل عام 1308هـ فإن عدد بيوت الرياض (4500 منزل)[2].

وقد ذكر الملك عبدالعزيز - ضمن روايته لفتح الرياض - ما كانت عليه من تحصينات أحدثها ابن رشيد حين استولى عليها، وخلاصة روايته أن ابن رشيد هدم سور الرياض وهدم قصر الإمام عبدالله الفيصل، وهدمت كذلك بعض بيوت آل سعود المقابلة لبوابة المصمك، أما البيوت الأخرى لآل سعود فقد أحيطت بسور خاص لكي تكون مقرًا لحاكم الرياض من قبل ابن رشيد.[3]

وعن الأعمال الأخرى لابن رشيد في الرياض، جاء في بعض الوثائق العثمانية أن ابن رشيد نهب مواشي الإمام عبدالرحمن وأهل الرياض[4]. كما جاء في مصدر محلي أن ابن رشيد فرض الضرائب الباهضة على أهل الرياض عقابا لهم[5]. وذكر مصدر بريطاني أن ابن رشيد أحرق نصف أشجار النخيل المثمرة لأهل الرياض[6].

وقبل رحيل ابن رشيد من الرياض جعل عليها أميرًا (فهاد بن رخيّص) من أهل حائل، وذلك بحسب رواية ضاري الرشيد[7]. ويبدو أن ابن رخيّص تولى قيادة الحامية الرشيدية المقيمة في الرياض. أما إمارة الرياض فبقيت بيد محمد الفيصل آل سعود، ولكن تحت ولاية محمد ابن رشيد.

لماذا عيّن ابن رشيد محمد بن فيصل آل سعود أميرًا على الرياض؟

كان الأمير محمد ابن رشيد قد عين محمد الفيصل أميرًا على الرياض بعد أن غادرها أخوه الإمام عبدالرحمن بعد كون المليدا، ولكن بعد انتصاره في معركة حريملاء يأتي

(1) المصدر السابق.

(2) كورشون، **العثمانيون وآل سعود**، مصدر سابق، ص244.

(3) فؤاد حمزة، مصدر سابق، ص 20.

(4) كورشون، **سواحل نجد**، ص 265. وانظر وثيقة عثمانية مؤرخة في16ربيع الثاني1309هـ. وهي مسجلة بدارة الملك عبدالعزيز، برقم 18000.

(5) مقبل الذكير، **مطالع السعود**..، تحقيق سعود التركي، مصدر سابق، ص265.

(6) **دليل الخليج** (4/ 1694) ولا أستبعد أن هذا المصدر خلط بين غزوة محمد بن رشيد للرياض في هذه المرة، وبين أحداث حصاره لها مطلع عام 1308هـ.

(7) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص115.

إبقاء ابن رشيد لمحمد الفيصل أميرًا في الرياض ملفتًا للنظر، خصوصًا وهو قد ثل عرش آل سعود في نجد، وبالتالي فإن هذه الخطوة تحمل دلالة خاصة لا بد من الوقوف عليها، وذلك بالنظر للاعتبارات الآتية:

1- لقد كان محمد الرشيد يقف إلى جانب حزب الإمام عبدالله الفيصل ضد حزب أبناء أخيه سعود الفيصل[1] وكان محمد الفيصل يرى أن أخوه الإمام عبدالله الفيصل هو الحاكم الشرعي.

2- كان محمد الفيصل صهرا لآل رشيد حيث كان زوجًا لطرفة بنت عبيد الرشيد، وهي أرملة أخيه عبدالله، وهي ابنة عم الأمير محمد ابن رشيد.

3- بالإضافة إلى ذلك ذكر الرحالة البارون نولده أن الأمير ابن رشيد صارحه بمبررات هذا التعيين، حيث قال له: إن هذا من متطلبات السياسة، ومراعاة لحق آل سعود الذين حكموا نجدًا قرنًا ونصف القرن، حتى أن والدي كان تابعًا لهم، ولا أريد أن أجعل منهم لاجئين وأزيد عليهم محنتهم[2].

4- أن الأمير (محمد الفيصل) لم يكن ذا طموح سياسي قد يخشى منه ابن رشيد، وبالتالي لم يكن يشكل خطرا على نفوذ السيد الجديد لنجد.

نتائج معركة حريملاء:

1- سقوط الدولة السعودية الثانية.

2- إحكام ابن رشيد سيطرته على نجد وكل وسط الجزيرة العربية بادية وحاضرة.

3- إبقاء محمد الفيصل أميرا في الرياض تابعًا لحائل.

4- لجوء آل سعود إلى قطر والبحرين، ثم استقرارهم في الكويت مع بقية أمراء القصيم.

5- تحييد الموقف السياسي لأبناء وأحفاد الأمير سعود الفيصل آل سعود في الخرج.

---

(1) كان الأمير سعود الفيصل قد توفي عام 1291هـ واستمر أولاده في النزاع ضد عمومتهم، وآنذاك لم يكن قد بدأ التدخل الرشيدي في شؤون آل سعود.

(2) البارون نولده، **الأوضاع السياسية**، مصدر سابق، ص81 .

الفصل العاشر

مواقف القوى المحيطة
داخل الجزيرة العربية وخارجها

وسـوى الـروم خلف ظهرك روم   فعلى أي جانبيك تميل المتنبي

المتنبي

لم يكن تأثير كون المليدا مقتصرًا على منطقة نجد فقط، بل تطاير شررها بدرجات متفاوتة لمناطق أخرى في الجزيرة العربية وخارجها. ونريد هنا الإشارة لبعض ردود الفعل لبعض القوى المحيطة، لإدراك أهمية وأثر كون المليدا في الحياة السياسية والعسكرية في الجزيرة العربية وخارجها آنذاك.

أولًا/ موقف الدولة العثمانية

متابعة الموقف العام:

كانت السمة الصورية تغلب على واقع النفوذ العثماني في منطقة نجد. فبينما يعترف الجميع (العامة والأمراء) بالسلطة الروحية للسلطان العثماني كسلطان وخليفة للمسلمين، إلا أنه على مستوى السلطة الزمنية كانت إجراءات ذلك النفوذ ذات طابع شكلي ضعيف يقتصر على بعض مظاهر محدودة منها الضرائب السنوية على المشيخات النجدية التي تصب في خزينة ولاية المدينة، وفي المقابل تسدي الدولة الأوسمة والخلع على المشيخات الحاكمة والأعيان في منطقة نجد. بينما وردت شكوى من ضعف النفوذ العثماني في منطقة نجد حيث جاء في إحدى الوثائق: (إن موظفي الحكومة في العراق لا يتدخلون في أعمال تلك النواحي(أي نجد) فحسب بل إنهم لا يمكنهم الإطلاع على

أحوالها إذا لم يأتِ أحد رجالهم أو تأتي رسالة من هناك)[1]. وقد كانت منطقة نجد تفتقد لكافة الخدمات العامة والمتنوعة للدولة العثمانية، ولا يوجد فيها موظف عثماني واحد.

ويظهر من سلوك العثمانيين السياسي أنهم حاولوا استمالة زعامات حائل والقصيم على حد سواء منذ شعروا بظهور بوادر ضعف آل سعود في إقليم العارض، حيث اتجهت تلك السلطات لسياسة الاحتواء لملء الفراغ السياسي الذي قد أحدثه انهيار سلطة آل سعود في نجد. فقد وجهت عام1289هـ لمنح أمراء حائل وبريدة وعنيزة أوسمة عثمانية رفيعة، ويلاحظ أنها كانت تتعامل بنفس المستوى تقريبًا مع جميع أولئك الأمراء.

وقد زاد الاهتمام العثماني بمنطقة نجد مع وصول السلطان عبدالحميد الثاني للسلطنة في عام 1293هـ، وذلك راجع إلى قوة ذلك السلطان واهتمامه بالإصلاح ونشر هيبة الدولة في الولايات البعيدة والمناطق المهملة كنجد. ورغبة ذلك السلطان في إعطاء الجنس العربي في دولته الاعتبار اللائق والإصلاح من شأنهم، رغم أن الزمن كان متأخرًا جدًا لإدراك أهمية هذه السياسة القائمة على إعلاء شأن العرب في دولة بني عثمان.

وقد تواردت العديد من الاقتراحات العثمانية لصياغة إصلاح إداري فعال لمزيد من السيطرة العسكرية والتحكم السياسي في منطقة نجد، وذلك عن طريق البحث في أيهما أفضل هل هو في جعلها ولاية أو متصرفية مستقلة، أو قائمقامية تابعة لأقرب ولاية في العراق كالبصرة أو كربلاء مثلا[2]. ولكن الأمر في النهاية بقي كما هو وفق العرف الإداري المعمول به آنذاك، إذ بقيت مشيخات منطقة نجد تابعة لولاية المدينة النبوية.

ويمكننا رصد الموقف العثماني من الصراع بين أمراء العرب في منطقة نجد عن كثب بتتبع الوثائق الصادرة من مختلف الولايات صاحبة العلاقة، كمتصرفية الإحساء وولاية المدينة وولاية الحجاز بالإضافة لولايتي بغداد والبصرة، التي كانت تراقب وتحلل وتقترح تصورا لعلاج الأزمات الناشبة ثم ترفع تقاريرها إلى الصدارة العظمى أو قصر السلطان في إستانبول ثم تتلقى التوجيهات بشأنها.

لقد كان لدى السلطات العثمانية في متصرفية الإحساء خطة تعود لعام 1292هـ تهدف لغزو الرياض وتنصيب الإمام عبدالله الفيصل آل سعود بعد وفاة أخيه سعود، وطرد أولاد

(1) رسالة سرية مشفرة مرفوعة من والي البصرة إلى والي بغداد في أول عام 1308 هـ، بخصوص الأحوال في نجد.
(2) نفس الوثيقة السابقة.

سعود الذين خلفوا والدهم في حكم الرياض[1]، إلا أن السلطة العثمانية تراجعت عن تنفيذ هذه الخطة. ثم عندما غزا ابن رشيد الرياض عام1305هـ نصرة للإمام عبدالله الفيصل وطرد أبناء الأمير سعود الفيصل منها، عندها بعث ابن رشيد رسالة إلى العثمانيين مؤكدًا لهم أن هذا النصر تحقق باسمهم[2]. فهل كانت خطوة ابن رشيد تلك قد تمت بإيعاز من العثمانيين لإحياء خطتهم القديمة؟ أم أن ابن رشيد قرأ أفكار العثمانيين القديمة ووظفها في تحقيق أهدافه وأطماعه التوسعية في نجد؟ حيث رأت السلطات العثمانية أن تحركات ابن رشيد جاءت باعتبار أنه تابع عثماني كان يفترض أن لا يتحرك إلا بإذن من مرجعه العثماني الأعلى وأن تصرفه نابع من تبعيته للسلطان. ومن ذلك ما جاء من تأييد مبطن لتحرك ابن رشيد ضد الرياض عام 1305هـ، حيث ذكر تقرير عثماني هذه العبارة عن أبناء سعود الفيصل (أن تلك الحركات تخالف صداقتهم الحميمة تجاه الدولة العلية)[3]. وهذه العبارة توحي بأن إرادة ابن رشيد معبرة عن إرادة الدولة العثمانية العلية تجاه قمعه لتمرد أبناء سعود على عمهم عبدالله الفيصل. بل إن بعض الباحثين أشار إلى دعم عثماني عسكري لابن رشيد في إخضاعه للرياض عام 1305هـ[4].وبهذا يكون ابن رشيد قد حصل من العثمانيين على دعم عسكري ومعنوي وغطاء سياسي لغزوته تلك[5]. وخلصت وثيقة عثمانية صدرت في نفس العام الذي غزا فيه ابن رشيد الرياض إلى أن سبب تنامي قوة ابن رشيد هو ضعف حكم آل سعود لنجد بسبب الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل [6].

ولدينا تقرير سري شامل رفعه والي البصرة لوالي بغداد[7] يشرح فيه جوانب الصراع بين أمراء نجد ويقترح الحلول ويبدو من سياق التقرير أنه رفع في أول سنة 1308هـ قبل نشوب القتال في كون المليدا. ويتناول بداية الخلاف في البيت السعودي الحاكم في الرياض ثم تدخل ابن رشيد في ذلك الخلاف، ويرصد كذلك الحلف بين ابن رشيد وحسن بن مهنا ثم نشوب الخلاف بينهما، وتحالف ابن مهنا مع الإمام عبدالرحمن في ثورته في الرياض

(1) البارون نولده ، رحلته ، ص74.

(2) لوريمر، **دليل الخليج**، (3/ 1692).

(3) رسالة مرفوعة من رؤوف باشا إلى الصدر الأعظم بتاريخ 20 رجب 1305هـ.

(4) سعيد بن مفرح، مصدر سابق، ص17.

(5) ومما يؤيد ذلك إرسال العثمانيين صرة سلطانية مالية لابن رشيد في عام 1305 وخلع لبعض أمراء الرشيد وشيوخ القبائل. المصدر السابق ص 18

(6) كورشون، **سواحل نجد**، مصدر سابق، ص 183.

(7) رسالة سرية مشفرة مرفوعة من والي البصرة إلى والي بغداد في أول عام 1308 هـ. بخصوص الأحوال في نجد.

على حامية ابن رشيد، وعجز ابن رشيد عن احتلال الرياض، ثم ينتقل التقرير للحديث عن الصراع بين ابن رشيد وأمراء القصيم وحليفهم ابن سعود، لكنه لا يذكر شيئًا عن القتال في المليدا، ما يعني أن التقرير كتب قبل المعركة،ثم يناقش التقرير مدى صدق ولاء ابن رشيد للسلطان ويقترح أفكارا لسبر هذا الولاء، ويقترح تنظيمًا إداريًا لحائل ونجد يضمن السيطرة والمراقبة على حركة الزعماء فيهما.

كما صدر تقرير أمني من دائرة الأمن بالمدينة النبوية إلى والي الحجاز إسماعيل باشا مؤرخ في 27 جمادى الآخر 1308هـ أي بعد كون المليدا بأسبوعين فقط، ويبدأ التقرير بالعوامل المسببة للحرب حيث يجعل غزو ابن رشيد للرياض مطلع عام 1308هـ سببا في تحرش ابن مهنا به ثم انتقام ابن رشيد من ابن مهنا، ما أدى إلى وقوع الحرب بين الطرفين ويذكر التقرير أن المعركة وقعت في قرية الشيحية وهو كلام غير دقيق كما بيناه سابقًا. وكذلك لدينا في ذات الاتجاه تقرير عثماني آخر[1] يتحدث عن الخلاف بين أمراء نجد ويقترح: إمداد ابن رشيد بقوة مسلحة تتراوح بين 300 و400 من العساكر للسيطرة على الرياض وحماية طريق الحج. وذلك بعد انتصاره في كون المليدا لأن التقرير صادر بتاريخ 3 رجب 1308هـ، ويقترح التقرير ذاته الإنعام على ابن رشيد بلقب الباشا مقابل جعل حائل متصرفية عثمانية.

واستمرت التقارير العثمانية ترفع لوصف حالة النزاع الذي لم يتوقف بانتهاء الأعمال الحربية في القصيم بعد كون المليدا، وقد انتبه لذلك والي الحجاز إسماعيل باشا[2]، إذ رصد بوادر نزاع جديد (وهو ما أسفر عن معركة حريملاء)، ولذا طالب بوقف تسلح ابن رشيد، ونبه القصر العثماني إلى أن الأطراف المتنازعة لم ترضخ لرغبة السلطان في المصالحة وكف يد الحرب بينهما.

وفي تقرير مرفوع من المدينة النبوية إلى إستانبول[3] في غرة شعبان 1308هـ تناول التقرير بالتفصيل أعداد القتلى في كل مدينة من مدن القصيم، وكان إجمالي

(1) تقرير مفصل عن حالة ابن رشيد وخصومه النجديين، الأرشيف العثماني يلدز منوع 4 48، بتاريخ 3 رجب 1308هـ.

(2) رسالة مرفوعة من والي الحجاز إسماعيل باشا إلى رئاسة ديوان السلطان عبدالحميد بإستانبول بتاريخ 16 رجب 1308هـ.

(3) محضر مجلس ولاية المدينة ومرفوع إلى السلطان عبدالحميد الثاني في إستانبول بتاريخ 1 شعبان 1308هـ.

القتلى 377 قتيلا[1]، مما يوحي بوجود مصدر قريب من الأحداث استقى منه التقرير معلوماته.

وفي تاريخ 3 رمضان عام 1308هـ جاء في محضر مجلس ولاية الحجاز تقريرٌ عن النزاع الحاصل في القصيم، ويغلب على لهجته تجريم فعل ابن رشيد ضد أهل القصيم ومما جاء فيه: (إن محمد بن رشيد تحرك بجمع غفير من العربان إلى القصيم وهجم على أهلها بغير حق وقتل الأنفس ونهب الأموال واستولى عليها)[2]. وفي تقرير آخر يوجه محرره اعتراض شديد اللهجة لإقدام ابن رشيد على تعيين أمراء جدد على بلدان القصيم بعد انتصاره في كون المليدا، من تلقاء نفسه دون الرجوع للسلطات العثمانية، معتبرًا هذا التصرف جرأة سياسية لا بد من الوقوف عندها بسبب أنه تجاوز صلاحياته الممنوحة له من قبل تلك السلطات[3].

وعن انتصارات ابن رشيد في كون المليدا فقد تحدث تقرير عثماني عن تلك المعركة، إذ يقول التقرير (بتصرف): (تقدم ابن رشيد نحو هدفه بخطوات ثابتة، وحسب ما يفهم من الأخبار القادمة، فإن ابن رشيد زحف أولًا على (العارض) ثم اتجه إلى (القصيم)، واستمر القتال نحو عشرين يومًا وفقد ابن رشيد خلالها 800 من رجاله. غير أن هذه المعارك أسفرت عن خسائر بشرية كبيرة في صفوف القبائل المناهضة ولم تكشف الحرب عن نصر حاسم. وفي أواخر (آذار/ مارس) نفذ ابن رشيد هجومًا أخيرًا ألحق الهزيمة بأهل القصيم - أنصار ابن سعود - في منطقة (مليدة). ثم تقدم حتى الرياض فهدم قلعتها ونهبها ثم سيطر على كامل المنطقة)[4].

ونلاحظ أن التقرير العثماني السابق يعرض الأحداث عرضاً مجملًا، وفيه الكثير من الغموض والتشويش والتداخل في سياق الأحداث، كما أنه وقع في أخطاء عدة منها جعل عدد قتلى ابن رشيد في معركة القرعاء (800 قتيل). بينما لم يقتل في تلك المعركة بحسب المصادر المحلية سوى (85 قتيلًا) فقط. كما أن التقرير وقع في خطأ آخر حيث جعل

---

(1) يمكن رؤية تفاصيل الأعداد في موضوع سابق عن أعداد قتلى كون المليدا.

(2) محضر مجلس ولاية الحجاز بتاريخ 3 رمضان 1308هـ.

(3) تقرير مفصل أعدته لجنة خاصة عن علاقة ابن رشيد بالأجانب وحروبه مع خصومه النجديين، الأرشيف العثماني يلدز متنوع 82 48 بتاريخ 21 فبراير 1891م الموافق 12 رجب 1308هـ.

(4) كورشون، **آل سعود والعثمانيون**، مصدر السابق، ص250.

الشهر الذي وقع فيه القتال هو شهر (آذار/ مارس) الذي هو الشهر الثالث من الأشهر الميلادية، بينما المواجهة بجميع مراحلها وقعت في شهر (كانون الثاني/ يناير).

وقياسًا على المثال السابق فإن أغلب التقارير العثمانية عن الفترة التي نتحدث عنها مليئة بالأخطاء والمعلومات المشوشة عن المنطقة وتداخل الأحداث فيها ويتبع ذلك اضطراب في التحليل والربط بين المقدمات ونتائجها. ويمكن لنا سوق بعض الأمثلة على ما نقول. فقد ذكر تقرير عثماني[1] أن الأمير حسن بن مهنا مات متأثرًا بجراحه بعد المعركة، بينما ذكر تقرير آخر عن الأحداث أن ابن رشيد أعدم ابن مهنا في طريق عودته لحائل[2]. وهي معلومات غير صحيحة البتة.

وفي تقرير عثماني عن كون المليدا يجعل القتال قرب قرية الشيحية[3] (غرب القصيم) ثم يذكر بعد ذلك أن الجيوش اجتمعت في ملاجل (هكذا)[4]،و(ملاجل)غير واضحة ولعلها تحريف لكلمة (المليدا)، والحقيقة أن المواجهات بدأت في القرعاء وانتهت بالمليدا وهي بعيدة نسبيًا عن الشيحية. ومن الأخطاء في تحديد مواقع القتال ما جاء في خلاصة أحد التقارير: (أن ابن رشيد هجم على عنيزة مركز القصيم وهلاك كثير من الأهالي)[5]. فعنيزة كمدينة لم تتعرض للهجوم فميدان القتال بعيدًا عنها، كما أنها لم تكن مركزًا للقصيم، وإذا أحسنا الظن بالعبارة السابقة قلنا إنه كاتبها ربما يقصد: (أن جبهة مقاتلي عنيزة تعرضوا لهجوم شرس أشد من الجبهات الأخرى وقتل كثير منهم) وهو بهذا الوصف قد يكون مقبولًا.

وفي تقرير مشوش عن الأحداث كتبه موظف عثماني يدعى (محمد أمين)، جاء فيه: (هزمت فرقة ابن رشيد واضطرت للتراجع وهزم أهل القصيم فرقة حائل، والخسائر تبلغ 4000 قتيل، وسلبت فرقة ابن سعود خيمة ابن رشيد ولم يتبعهم ابن سعود رحمة بهم، وعاد ابن رشيد إلى حائل)[6]. وهذه الفقرة تغني عن بقية التقرير الذي لا يمت لحقيقة

---

(1) سهيل صابان مداخل الأعلام في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص 90. وثيقة كتبت بتاريخ 6 شعبان 1308هـ.

(2) تقرير عبدالله باشا الثنيان مرفوع للسلطان العثماني بتاريخ 19 رمضان 1308هـ.

(3) ناقشنا سابقًا مواضع القتال وحددناها.

(4) تقرير دائرة الأمن بالمدينة المنورة ومرفوع إلى ولاية الحجاز بتاريخ 27 6 1308هـ.

(5) كورشون، **سواحل نجد**، مصدر سابق، ص 184. الوثيقة بتاريخ 25 رجب 1308هـ.

(6) تقرير كتبه محمد أمين مبعوث عثماني لجمع المعلومات كتب تقريره بعد تاريخ 20 شعبان 1308هـ.

الأحداث بصلة بل يقدمها بطريقة مقلوبة بحيث جعل المنتصر مهزومًا والمهزوم منتصرًا. ولعل سائلًا يسأل ما سبب هذه الأخطاء الشنيعة في سرد الوقائع في التقارير العثمانية، والحق أن السبب الرئيسي هو نوعية المصادر الذي تستقي منه تلك التقارير معلوماتها فهي تتفاوت من حيث درجة التوثيق، فتقرير (محمد أمين) الآنف استقاه من بدوي شمري من جماعة ابن رشيد. ولا نعلم على وجه اليقين هل الخطأ في رواية الراوي أم في نقل محمد أمين نفسه عن ذلك البدوي.

وهذا يفتح لنا الباب لنعطي نماذج لبعض مصادر كاتبي تلك التقارير العثمانية عن الصراع في نجد في الفترة التي يتناولها الكتاب، فقد يكون مصدر المعلومة بعض النخب من التجار النجديين ذوو الخبرة في أحوال منطقتهم فمثلًا اعتمد التقرير التفصيلي عن أحوال نجد المرفوع من ولاية البصرة إلى والي بغداد على تقرير مطول كتبه مقبل بن عبدالرحمن الذكير[1] عن ابن رشيد وصراعه مع خصومه آل سعود وأمراء القصيم[2]. كما زود الشيخ عبدالرحمن بن نقادان المري السلطات العثمانية بمجريات الأمور في الفترة بين معركتي المليدا وحريملاء، ورفع تقريره ذاك في 8رمضان 1308هـ[3]. وهذا يدل على أن بعض زعماء البادية كانوا على تواصل مع السلطات العثمانية لإمدادها بالمعلومات الجديدة. بل إن السلطات العثمانية قد تطلب توضيحًا من الخصوم أنفسهم، ومن ذلك أنها طلبت من ابن رشيد عدة طلبات صادرة من عدة جهات لإفادتها عما يجري من أحداث مع خصومه وأسبابها. وكان ابن رشيد يستجيب لذلك كما سيأتي بيانه. ومن مصادر السلطات العثمانية لجمع المعلومات عن أحداث نجد أولئك المبعوثين من الموظفين المرسلين لمهمات خاصة، مثل محمد أمين صاحب التقرير الآنف ذكره، ومن هؤلاء الموظف العثماني الذي أرسله العثمانيون لتقصّي الحقائق حول حرب المليدا، ولكن تم توقيفه بأمر الوالي[4].

ونلاحظ أن هناك نقدًا ذاتيًا من تلك السلطات لبعض مصادر معلوماتها، ففي إحدى الوثائق[5] تم تصحيح عدد المسيوق الذي تم قتله حسب إفادة وثيقة سابقة من 8000 إلى

(1) مقبل بن عبدالرحمن بن مقبل الذكير ولد في عنيزة ومات بها (1260 – 1341هـ)، وكان من كبار التجار النجديين في الخليج والهند كانت أغلب تجارته في اللؤلؤ، وكان يسمى فخر التجار.

(2) تقرير ولاية البصرة تم رفعه في عام 1308هـ. وتقرير مقبل الذكير كتب في 5 ربيع أول 1306هـ.

(3) سعيد بن مفرح، مصدر سابق، ص 18. وانظر العنقري، مصدر سابق، انظر الملاحق.

(4) كورشون، سواحل نجد...، مصدر سابق،ص 178.

(5) وثيقة عثمانية بتاريخ 6 شعبان 1308 هـ.

800 جمل. بل وصل الأمر إلى التشكيك في تقرير دائرة أمن المدينة بسبب أن المعلومات مأخوذة من البدو في السوق وأن الواقع اختلط بالمبالغة ولم يتم التحقق من رجال موثوق بهم[1]. كما سبق وأن ناقشنا تشكيك بعض الجهات العثمانية في التقارير التي ذكرت أن الأسلحة تأتي لابن رشيد بالتهريب عبر ميناء الكويت، وكذلك ناقشنا سابقا تقارير عثمانية أخرى تهول من حجم قوة ونفوذ ابن رشيد ورد بعض اللجان الخاص عليها.

المساعي العثمانية في الصلح:

وقعت هذه الأحداث في عهد السلطان عبدالحميد الثاني الذي عرف عنه ميله إلى الإصلاح الشامل للدولة وكان من مظاهر إصلاحه تقريبه للعرب عبر سياسة تهدف لتقوية الدولة العثمانية ومن هنا حظيت الجزيرة العربية ونجد في حكمه بعناية خاصة منه.

كانت السلطات العثمانية تتابع عن كثب - كما مر بنا آنفًا - الصراع المرير بين ابن رشيد وخصومه آل سعود وأمراء القصيم عبر الرسائل والتقارير المرفوعة لمختلف الجهات العثمانية، وكانت هناك رغبة عارمة للبحث عن مسارات للصلح بين تلك الأطراف المتنازعة في سبيل منع الصدام الوشيك بينها، وقد أكدت بعض تلك التقارير أن الصلح بين هؤلاء الخصماء هي رغبة سلطانية أكيدة كما أنها إلى جانب ذلك واجب شرعي لكف القتال بين المسلمين وحقن دمائهم[2]، وفي سبيل تعزيز التوجه لحقن الدماء تنبهت السلطات العثمانية العليا إلى وجوب مراقبة الموانئ لمنع وصول الأسلحة للفرقاء المتحاربين [3].

ولأن تلك المساعي الإصلاحية جاءت متأخرة وبطيئة وباردة فقد وقعت حرب المليدا بين ابن رشيد وأهل القصيم ولم تجدي تلك المساعي شيئا. ولكن هذا لا يعني توقفها بل استمرت المطالبة بتفعيل مساعي الصلح عندما تجددت نذر الحرب وتجمعت سحبها قبيل معركة حريملاء بين ابن رشيد والإمام عبدالرحمن. وتم توجيه رسائل للفرقاء لوقف الحرب بينهم [4].

---

(1) تقرير لجنة خاصة بتاريخ 15 شعبان 1308 هـ.

(2) رسالة من إسماعيل باشا والي الحجاز إلى رئاسة ديوان السلطان عبدالحميد، بتاريخ 16 رجب 1308 هـ

(3) الوثيقة السابقة.

(4) محمد السلامة، مصدر سابق، ص 193 هامش1. وانظر وثيقة عثمانية مؤرخة في 3 رمضان 1308 أشارت إلى أن مجلس ولاية الحجاز وجه رسائل للخصماء لكف يد الحرب والقتال.

وربما يرجع سبب فشل مساعي الصلح إلى عدم جدية العثمانيين في مسعاهم. كما لم يكن لهم وجود ميداني في منطقة نجد على أي مستوى لا عسكري ولا إداري، وبالتالي لم تكن لديهم القدرة على فرض حل ما على الأطراف المتصارعة.

ومن الخطوات العملية للعثمانيين للإصلاح بين المتنازعين ما تم عرضه على الإمام عبدالرحمن بعد كون المليدا وقبل معركة حريملاء، ليبقى حاكمًا للرياض تحت راية العثمانيين من قبل متصرف الإحساء، وضمانهم كف يد ابن رشيد عن العارض.

وصول أخبار كون المليدا إلى السلطان:

وصلت أخبار المعارك إلى السلطان عبدالحميد عبر البرقيات المرسلة لرجال المابين. الذي أطلعوا السلطان عليها في حينها. وقد أشار أحد الشعراء إلى وصول أخبار كون المليدا للسلطان العثماني، حيث قال:

مدت به الطرشان والجمالة وطقت تيول به إلى السلطان

والشاهد من البيت قول الشاعر (طقت تيول) وهي جمع (التيل) وهي اختصار للتلغراف(البرقية)، حيث يشير الشاعر إلى أن خبر المعركة وصل إلى السلطان العثماني(عبدالحميد) عبر التلغراف، كناية عن سرعة وصول الخبر وانتشاره نظرا لأهميته. كما كانت التقارير المرفوعة لقصر السلطان والصدارة العظمى والولايات تترى متناولة مجريات الصراع والحرب بين الفرقاء في كون المليدا وما قبله وما بعده.

تحريض ابن رشيد للعثمانيين ضد خصومه:

سارع ابن رشيد إلى التجاوب مع رسائل العثمانيين إليه لبيان سبب خلافه مع جيرانه النجديين وقتاله لهم، وأبان للعثمانيين أن سبب ذلك كان من لوازم إخلاصه للسلطان وولائه للدولة العلية[1].

وبرر ابن رشيد للسلطات العثمانية في العاصمة إستانبول والولايات الأخرى بأن تحركاته العسكرية ضد القصيم كان سببها أن الإمام عبدالرحمن الفيصل تحالف مع أهل القصيم والبادية باسم الدين للإغارة وقطع الطرقات والإخلال بالأمن، وأن شيخ

(1) محمد السلامة، مصدر سابق، ص 193. وثيقة عثمانية بتاريخ 3 رمضان 1308هـ.

القصيم (ربما يقصد حسن بن مهنا) يساعده، وكذلك تسانده قبيلتي عتبة ومطير[1].

كما جاء ذلك في رسالة من ابن رشيد إلى الشريف في مكة المكرمة والوالي العثماني فيها، ومما جاء في رسالته تلك[2]:

1- أن أهل القصيم يخربون البلاد وينهبون البدو.

2- أنهم يكفرون الدولة العثمانية وولاتها، بما فيهم ابن رشيد نفسه.

3- أنهم يرمون بالشرك كل من جاء من طرف الدولة العثمانية ولا يسلمون عليه.

وبعد كون المليدا وانحياز الإمام عبدالرحمن إلى بادية العجمان في جهات الإحساء استمر ابن رشيد في بث الدعاية المضادة لتحركاته وتحريض العثمانيين ضد الإمام ومن معه،حيث اتهم الإمام بأنه يسعى للاستيلاء على الإحساء[3]، فسارع الإمام عبدالرحمن إلى مخاطبة متصرف الإحساء (عاكف باشا)، وبيّن له أنه لا يهدف إلى احتلال المتصرفية[4].

ومما يلفت النظر أسلوب ابن رشيد للتهويل والتخويف من خطر آل سعود وحلفائهم في رسالته تلك للعثمانيين، وتصوير أعمالهم بأنها تخريبية لصرف نظر العثمانيين عن الأسباب الموضوعية لخلافه معهم، كما أن ابن رشيد أراد أن يعزف على الوتر الأهم لدى العثمانيين وهو (الأمن) فأراد أن يوهم العثمانيين بأن تحرك الإمام عبدالرحمن وحلفائه أهل القصيم يفسد الأمن ويخيف الطرقات، وكان هدفه من ذلك تقديم نفسه للعثمانيين كشرطي قادر على حفظ الأمن في نجد وشمال الجزيرة العربية.

القلق العثماني من توسع نفوذ ابن رشيد:

لقد كان ابن رشيد باعتباره عثمانيًا مخلصًا يجتهد في تحسين صورته أمام السلطات العثمانية المركزية، وذلك أمام حملات التشويه والتأليب التي تخرج ضده عبر تقارير مغرضة من بعض الولايات العثمانية في المدينة المنورة وسوريا، ولكن ابن رشيد اتبع سياسة مرنة تقوم على دعاية مضادة لتفكيك تلك الإشاعات المغرضة ضده في بلاط

---

(1) كورشون، مصدر سابق، ص240.

(2) محمد السلامة، مصدر سابق، ص 186 ملحق 10. من رسالة من ابن رشيد إلى والي مكة العثماني، غير مؤرخة ولكن سياقها يوحي بأنه أرسلت في الفترة بين معركتي المليدا وحريملاء.

(3) كورشون، سواحل نجد،مصدر سابق، ص 185.

(4) سعيد بن مفرح، مصدر سابق، ص 19.

السلطان، معتمدا على كسب ثقة السلطان عبدالحميد وصداقته الشخصية، وذلك عبر هدايا شبه سنوية من الخيول العربية الأصيلة لإسطبل السلطان نفسه[1]. وأيضًا استطاع ابن رشيد الاستفادة من صداقته لرجال المابين[2] العثماني المقربين من السلطان، وتعاطف بعض الولاة معه لتحسين صورته السياسية والعسكرية في دوائر صنع القرار العثماني، عبر المسؤولين في ولايتي بغداد والبصرة وذلك لوجود مصالح تجارية مباشرة له مع هاتين الولايتين.

وقد بدأ تصعيد الحرب النفسية من قبل تلك الولايات العثمانية المعادية لابن رشيد قبل كون المليدا، وتنامى هذا التصعيد المضاد بعد إحكام ابن رشيد قبضته على حواضر نجد بعد انتصاره في كون المليدا، وقدرته على مطاردة البادية في مناطق واسعة من الجزيرة العربية، وإجبارها على دفع الزكاة له. ولذا نجد والي الشام يعرب عن تخوفه من نيات ابن رشيد لغزو (معان والكرك) جنوب الشام وذلك في رسالة مؤرخة في[3] يوم 21 شوال 1308هـ، وذلك بعد كون المليدا بأشهر قليلة.

وفي نفس الاتجاه تحدثت الوثائق العثمانية عن القلق من توسع نشاط ابن رشيد ضد جيرانه آل سعود، مما يشكل تهديدًا مباشرا للحكم العثماني في الشام والحجاز والعراق. كل ذلك رغم تفاني ابن رشيد في تأكيد ولائه للسلطان العثماني، وحرصه على تأمين سبل الحج المارة بأراضيه[4].

تشكيل لجنة عثمانية للمتابعة:

والجدير بالذكر أن تلك التقارير التي تصل من الولايات إلى قصر السلطان عبدالحميد، قد حركت السلطان للتأكد من صدقها وبشكل مباشر من رجاله المقربين الذين يثق بهم، بعيدا عن الحاقدين والفاسدين من رجال الولايات العثمانية في الشام والحجاز، ولذا قرر السلطان عبدالحميد تشكيل لجنة خاصة لمتابعة التطورات المتعلقة بذلك الصراع في نجد، واكتشاف نوايا وأهداف ابن رشيد الحقيقية وتمحيص كل ما قيل عنه من رجالات

(1) حمد العنقري، المصدر السابق، ص171، أهدى ابن رشيد في عام 1301هـ إلى السلطان عبدالحميد (6 أفراس)، وفي عام 1306هـ أهداه (15 فرسًا)، وفي عام 1307هـ أهداه (6 أفراس).

(2) المابين: هو جهاز إداري عثماني مرتبط بقصر السلطان مباشرة، وكان يقوم بدور همزة الاتصال بين القصر ورئاسة الوزراء.

(3) المصدر السابق، ص156.

(4) كورشون، آل سعود والعثمانيون، مصدر سابق ص240.

الدولة العثمانية من ولاة وعسكريين. وتكونت تلك اللجنة من الشخصيات التالية:

1- إبراهيم درويش باشا، وهو قائد الجيش العثماني برتبة مشير (رئيسًا).

2- شاكر باشا، المستشار الخاص للسلطان (عضوًا).

3- الفريق ركن شاكر باشا، وهو المرافق العسكري الخاص للسلطان(عضوًا)[1].

وقد رفعت تلك اللجنة توصياتها إلى السلطان عبدالحميد بتاريخ 3 رجب 1308هـ، الموافق 11 شباط/ فبراير 1891هـ، وذلك بعد خمسين يومًا من وقوع كون المليدا. وقد جاء في تلك التوصيات والملاحظات ما يلي:

1- أنه ليس لدى ابن رشيد القوة لكافية في الوقت الحاضر التي تجعله يشكل مصدر إزعاج لجيرانه العثمانيين[2].

2- نفت اللجنة أن يكون ابن رشيد أطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين[3].

3- عدم وجود دلائل على اتصال ابن رشيد بالأجانب (الإنجليز)[4].

4- أوصت اللجنة بمنح ابن رشيد لقب باشا. وجعل حائل متصرفية عثمانية[5].

5- استنكرت اللجنة قيام ابن رشيد بالإنفراد بتعيين أمراء القصيم دون الرجوع إلى الحكومة العثمانية، واعتبرت اللجنة هذا الإجراء يعكس جرأة ابن رشيد بأبعاد سياسية خطيرة على النفوذ العثماني[6]. كما رفضت تلك اللجنة السلطانية في اجتماعها بتاريخ 1308/ 7/ 29هـ، اقتراحا من رجب باشا قائد الجيش السادس من بغداد، يقضي باتخاذ إجراءات عسكرية صارمة ضد ابن رشيد للحد من نشاطه العسكري بعد انتصاراته المتلاحقة على خصومه في نجد. وبررت اللجنة رفضها لهذا المقترح العسكري بالأسباب الآتية:

---

(1) العنقري، مصدر سابق، ص160.

(2) كورشون، مصدر سابق، ص248.

(3) المصدر السابق،ص246. وقد قال الشاعر ابن هويدي يمدح ابن رشيد عام 1301هـ بعد انتصاره في معركة أم العصافير واصفًا إياه بالخليفة والإمام:

[كل ثبت عنده من الناس معلوم إنه خليفة نجد وهو الإمامي].

(4) المصدر السابق ص161.

(5) كورشون، المصدر السابق ص245، والعنقري، المصدر السابق، ص161.

(6) كورشون، المصدر السابق، ص243-244-246.

1- شدة ولاء ابن رشيد للسلطان العثماني.

2- أن الضغط على ابن رشيد ربما يقدم ذريعة لتدخل الأجانب (الإنجليز) في الشؤون الداخلية لنجد.

3- أن التقارير التي بني عليها هذا الاقتراح من رجب باشا؛ تقارير مغلوطة لا تعكس بدقة حقيقة وضع ابن رشيد[1].

وبعد رفع التوصيات السابقة لمقام السلطان عبدالحميد توالت الاقتراحات من بعض رجالات الدولة العثمانية لوضع آلية تحويل حائل إلى (متصرفية) والإنعام على ابن رشيد برتبة باشا وتعيينه (قائمقام)، وقد أكد صاحب الاقتراح أنه من الغباء التلويح بعزل ابن رشيد وتعيين شخص آخر مكانه في حالة رفضه لهذا المقترح[2]. وذلك في إدراك لقوة ابن رشيد ومكانته الجديدة في وسط الجزيرة العربية.

وقد ورد في تقرير عثماني بتاريخ 3 رمضان عام1308هـ[3] تحذير من قوة ابن رشيد ووجوب مراقبته والحد من نفوذه المتصاعد، ووجوب تأديب العربان الذين تحت ولايته. ولكننا نجد ابن رشيد يتبع سياسة مرنة مع العثمانيين حيث أظهر تعاونًا ملحوظًا مع الهيئة السلطانية المرسلة إلى نجد لتقصي الحقائق في أواخرعام1309هـ[4]. أي بعد انتصار ابن رشيد في معركة حريملاء وسيطرته على نجد بصورة تامة.

تقرير البارون نولده المرفوع لمقام السلطان عن الوضع في نجد:

أمر السلطان عبدالحميد الثاني باستمرار متابعة تحركات ابن رشيد، وكشف نياته ومدى إخلاصه له، ولذا نراه بعد مضي أكثر من سنتين على تقرير اللجنة الآنفة التي شكلها بنفسه، يلجأ إلى أسلوب آخر لمتابعة نشاط وأهداف ابن رشيد، حيث استغل السلطان رغبه البارون الروسي (نولده) لزيارة ابن رشيد، فأذن له بالزيارة بشرط أن يرفع له تقريرًا عن مشاهداته أثناء تلك الزيارة، وبعد أن أتم نولده مهمته عام 1310هـ رفع تقريره المطول للسلطان باللغة الإنجليزية عن زيارته لابن رشيد، والذي أكد

---

(1) العنقري، مصدر سابق، ص162.

(2) المصدر السابق، ص245.

(3) تقرير مرفوع من إسماعيل باشا والي الحجاز إلى الصدر الأعظم بتاريخ 3 رمضان 1308

(4) كما جاء هذا في وثيقة عثمانية بتاريخ 9 ذي الحجة 1309هـ. انظر/ كورشون، سواحل نجد، مصدر سابق، ص 180هـ.

في ختامه أن ابن رشيد لا يزال مواليًا للعثمانيين، وأنه يكن تقديرًا عاليًا للسلطان عبدالحميد[1].

موقف ابن رشيد من ثورة اليمن ضد الحكم العثماني:

تزامن وقوع ثورة شعبية عارمة في اليمن ضد الحكم العثماني هناك مع صراع ابن رشيد مع خصومه النجديين ثم وقوع كون المليدا، وقد حاولت الدولة العثمانية إخماد الثورة بالقوة المسلحة ويبدو أن الحل العسكري قد فشل هناك بدليل أن شرر هذه الثورة تطاير حتى وصل إلى نجد.

وقد رصد لنا الرحالة البارون نولده الذي قابل ابن رشيد في تلك الفترة موقف ابن رشيد كأحد أهم حكام العرب آنذاك عن هذه الثورة، حيث ذكر أن ابن رشيد سأله هل رأى في طريقه جنود أتراك هاربين من الخدمة في اليمن، حيث رفض ابن رشيد أن تكون بلاده مأوى للهاربين من خدمة السلطان، ولكنه كان يرى أن من واجبه تقديم المساعدة الإنسانية لهم، وطلب ابن رشيد من نولده أن يحقق معهم ليعرف نواياهم ورغباتهم والأخبار التي لديهم.

وصارح ابن رشيد البارون نولده بأن اليمن وإن كانت لا تدخل ضمن اهتماماته إلا أنه يشعر بالسخط مما يحدث هناك من أعمال وحشية، فبالرغم من ضخامة الجيش العثماني المرسل إلى اليمن إلا أن المسألة لا تبدو قريبة الانفراج، وأخذ ابن رشيد ينتقد الباشوات الفاسدين الذي يربحون من إطالة أمد مشكلة اليمن لاستنزاف خزينة الدولة العثمانية.

ثم رفع ابن رشيد من سقف انتقاده للعثمانيين عندما أبدى لنولده مشاعر العرب السلبية الساخطة تجاه كل ما هو تركي، ما يجعلهم جاهزين لأي استفزاز يظهر ذلك الغضب العارم[2]. وكانت الصحف الأوربية آنذاك قد تحدثت عن هذه الثورة وتنبأت بتفشي أثرها السلبي في البلاد العربية تجاه العثمانيين للثورة ضدهم.

مفاوضة العثمانيين للإمام عبدالرحمن الفيصل[3]:

ومن الخطوات العملية للعثمانيين ما تم عرضه على الإمام عبدالرحمن بعد كون

(1) العنقري، مصدر سابق ص166.

(2) البارون نولده، مرجع سابق، ص 88

(3) خالد الخويطر، كون الصريف، دار جداول، بيروت، ط1، 2013م، ص 97.

المليدا ليبقى حاكمًا للرياض تحت راية العثمانيين من قبل متصرف الإحساء، وضمانهم كف يد ابن رشيد عن العارض. وما يهمنا من هذا العرض العثماني التفاوضي مع الإمام عبدالرحمن تأكيد رغبة الدولة العثمانية لإحداث التوازن بين قوة ابن رشيد وآل سعود في نجد، ولكبح جماح قوة ابن رشيد المتصاعدة والرغبة في تحجيم نفوذه في الجزيرة العربية[1]. وتسكين ما كانت تراه الدولة العثمانية من فتنة بين أمراء العرب في نجد. وتأمين طرق الحج والتجارة المارة في تلك المنطقة.

ولنفس بعض تلك الأسباب أذنت السلطات العثمانية للإمام عبدالرحمن ومن معه بسكنى الكويت بعد هزيمته في معركة حريملاء، وفرضت له ولمن معه راتبًا شهريًا، وكان ذلك للتحكم في حركة آل سعود الذي يجوبون صحراء شرق الجزيرة وبعض حواضر الساحل الشرقي حيث كانوا يبحثون عن حليف من البادية أو من الحاضرة لمناصرتهم ضد خصمهم ابن رشيد، والشاهد قول البريطاني عبدالله فليبي: (إن عبدالرحمن لم يلبث أن ارتحل إلى قطر فأثار بذلك ظنون الترك في أنه قد يعمل مع مضيفه قاسم بن ثاني على خداعهم وإثارة الفتنة ضدهم)[2]. ولذا كان في ضمان الدولة العثمانية لمحل سكنهم ضبط لحركتهم وتسكينًا للأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، ومن جانب آخر كان آل سعود كقوة معنوية ذخيرة سياسية في يد الدولة العثمانية لتحريكها في المستقبل ضد ابن رشيد الذي كان يتظاهر بتحالفه مع السلطان ولكنه كان يتصرف كحاكم مطلق الصلاحيات، وبما أن هذا السلوك كان يزعج الدولة العثمانية وولاتها فقد كانت التقارير تحذر من تنامي قوته كما أسلفنا، وبالتالي كانت ورقة آل سعود في الكويت ورقة رابحة في يد الساسة العثمانيين لتلويح بها في وجه ابن رشيد في المنطقة لو احتاجوا إليها يومًا. يقول أحد المؤرخين الألمان: (وهكذا بسط السلطان رعايته على آل سعود المطاردين على أمل أن يكون الأمير عبدالرحمن في المستقبل سلاحًا بيده يستعمله عند الحاجة ضد ابن رشيد)[3].

ثانيًا / موقف ولاية الحجاز:

يعتبر الحجاز - لوجود الحرمين الشريفين فيه - درة التاج العثماني، وقد كانت هي

---

(1) المصدر السابق، ص164.

(2) عبدالله فليبي، كتابه الذكرى الذهبية، مصدر سابق، ص 9.

(3) داكوبرت فون ميكوش، عبدالعزيز، ترجمة أمين رويحة، بدون ذكر لسنة الطبع ومكانها، ص25.

الجهة الإدارية التي يتبع لها ابن رشيد وأمراء القصيم، فهي مرجعهم حسب الإجراء الإداري العثماني المتبع آنذاك، ومن هنا فقد تواردت العديد من التقارير العثمانية التي تحذر من خطورة ابن رشيد عسكريًا على ولايات الحجاز خاصة ولاية المدينة. وذلك بعد انتصاره على خصومه في داخل نجد وبسط سيطرته على الحاضرة والبادية، وقد حذرت الأوساط الحاكمة في الحجاز من خطورة تصاعد نفوذ ابن رشيد في نجد على المناطق التابعة لها مما يستوجب حماية المدينة (خصوصًا) التي كانت تقع في دائرة الخطر الرشيدي[1]. كما جاء في أحد التقارير العثمانية المطولة تحذير مباشر من أن ترك قوة ابن رشيد تتنامى دون كبح فإنه قد يستولي على كل الحجاز، وبالتالي فسوف يسبب أزمة خطيرة للدولة العثمانية تشابه ما سببته الدولة السعودية الأولى عندما ضمت الحجاز، ودعا التقرير إلى تحرك عثماني شامل في كل الولايات في العراق والشام بالإضافة للحجاز للوقوف ضد خطر ابن رشيد المتوقع[2]. وكان سلوك ابن رشيد العسكري في جهات الحجاز قد عزز تلك المخاوف العثمانية، ورغم أن ابن رشيد لم يسع يوما لاحتلال الحجاز أو إحدى ولاياته، إلا أن عملياته العسكرية التي كانت موجهة بالأساس للسيطرة على قبائل البادية ومطاردتها وتأديبها، وإجبارها على دفع الزكاة لخزينة حائل تخيف السلطات هناك. فقد تحدث تقرير عثماني صدر في اب/ أغسطس 1892م الموافق عام 1309هـ، أن قوات ابن رشيد تقدمت إلى العلا وخيبر التابعة لولاية المدينة، وجمع الزكاة من هذه المناطق. وقد استمر ابن رشيد في نشاطه العسكري ذاك حتى جاءته رسالة من الصدارة العظمى مؤرخة بتاريخ 11/ 10/ 1892م الموافق 1310هـ تأمره بالتوقف عن تلك الأنشطة العسكرية، فامتثل للأمر العثماني[3]. ولكن يبدو أن ذلك الامتثال للأمر العثماني كان شكليًا، بدليل أن ابن رشيد لم يتوقف عن مطاردة بادية عتيبة في الحجاز حيث شن ضدهم غارة في ربيع عام 1893م وهم على مسافة خمسة أيام من مكة المكرمة، وأخذ منهم (5000 بعير)، على اعتبار أنها تمثل عشر الزكاة التي له عليهم[4]. كما استمرت هجمات ابن رشيد على عتيبة أيضا في العام التالي، وأخذ منهم زكاة مواشيهم. مما أغضب السلطات العثمانية في الحجاز فاقترحت على إستانبول تجريد حملة عسكرية لتأديب ابن رشيد وكف يده

(1) كورشون، **سواحل نجد**، مصدر سابق، ص 176.

(2) عبدالفتاح أبوعلية، دراسة حول المخطوط التركي (حجاز سياحتنامه سى)، دار المريخ، الرياض، 1403هـ، ص77.

(3) كورشون، **آل سعود والعثمانيون**، ص253.

(4) المصدر السابق، ص253.

عن بادية الحجاز،ولكن السلطان العثماني عبدالحميد الثاني رفض حل المشكلة بالقوة العسكرية وأمر بحلها بالطرق السلمية[1]. وفي كل الأحوال فقد حرص ابن رشيد على تكرار تطميناته للسلطات العثمانية بأنه ملتزم بتأمين سبل الحج المارة في أراضيه[2]. خاصة بعد اتهام عثماني له بأنه سلح حلفاءه من قبيلة حرب التي كانت تقطع الطريق على الحجاج وتخل بأمن طرق الحج[3].

ثالثًا/موقف ولاية الإحساء (لواء ساحل نجد):

كانت السلطات العثمانية قد فرضت نفوذها المباشر على منطقة الإحساء عندما سلبته باشوية بغداد من آل سعود عام 1288هـ. ووضعت فيها حامية عسكرية تمثلها هناك. وكان هذا قبل تفرد ابن رشيد بحكم منطقة نجد بسنوات عديدة، وبعد أن أصبح لابن رشيد نفوذ واسع في نجد تنامت مخاوف بعض الولايات العثمانية المحيطة من أن يطمح بنظره إلى الإحساء للبحث عن منفذ بحري كانت دولته بأمس الحاجة إليه. ومما شجعه على ذلك أن الإحساء ذاتها كانت قد طرحت كجائزة عثمانية لابن رشيد مقابل غزوة يقوم بها إلى جهات عمان عام 1306هـ، ومما يؤكد ذلك ما جاء في وثيقة بريطانية مؤرخة في 28 محرم 1306هـ من أن ابن رشيد أرسل إلى الشيخ قاسم آل ثاني (شيخ قطر) يخبره بأنه سيسير من الرياض إلى الإحساء وأنه ينتظر موافقة الحكومة العثمانية على هذا المشروع[4]. ولكن كانت الأخبار قد جاءت من عنيزة في رسالة للتاجر مقبل بن عبدالرحمن الذكير بأن الأمير ابن رشيد لم يتحرك من حائل نحو الساحل حتى تاريخ الرسالة التي أرسلت في صفر 1306هـ[5]. وكان وضع الإحساء كجائزة لهذه الحملة قد فتح شهية ابن رشيد مما جعله يخطو خطوات جدية في تجهيز حملة عسكرية لهذا الغرض، وخرج من بلاده واستنفر حلفاءه خاصة أهل القصيم قبل وقوع الخلاف معهم وعسكر في منطقة المستوى(شرق القصيم). ولكن هذه الحملة فشلت بعد أن تراجع ابن رشيد عن المضي فيها قدمًا، وذلك لأن السلطات العثمانية تراجعت عن فكرة منحه الإحساء كمكافأة له مقابل غزوته

(1) المصدر السابق ص253.

(2) المصدر السابق، ص240.

(3) نولده، مصدر سابق ص80.

(4) حمد العنقري، مصدر سابق، ص 192.

(5) المصدر السابق، ص 192.

تلك[1]. وذكرت بعض المصادر أن ابن رشيد أرسل لهذا الغرض سفارة ضخمة مكونة من (18جملًا) يترأسها سالم السبهان لمقابلة متصرف الإحساء[2] بهدف إتمام صفقة استئجار ابن رشيد للإحساء بحسب العرض الذي اقترحه على الوفد العثماني الذي زار حائل سابقًا[3]، ولكن السلطات العثمانية تراجعت عن الفكرة تمامًا، فما كان من ابن رشيد إلا أن أوقف حملته على ساحل عمان ورجع من المستوي إلى حائل. وفي أغسطس عام 1892م تحدثت بعض التقارير عن إشاعة مفادها أن ابن رشيد تقدم بجيشه نحو الإحساء بعد أن استولى على القصيم والرياض[4]. ولكن هذه التقارير لم تكن حيادية لأن ابن رشيد لم يمض في مشروعه لضم الإحساء كما كان مرتبا له.

كما تعرضت الإحساء لمشاكل من باديتها المحيطة بها ممثلة في قبائل العجمان خاصة بعد تقوي جانبها بانضمام الإمام عبدالرحمن الفيصل إليها بعد هزيمة حلفائه أهل القصيم في كون المليدا، فترك الرياض إلى جهات الإحساء وقام من هناك بمناوشات لحاضرتها والتضييق عليها بمساندة العجمان وهنا استغل ابن رشيد هذه الأوضاع وبدأ يمارس نوعًا من الدعاية المضادة للإمام عبدالرحمن بتخويف العثمانيين من انطلاق نشاطه العسكري في تلك الجهات. ولكن ذلك الإمام نقض وشاية ابن رشيد بأن طمأن متصرف الإحساء بأنه ليس في وارد تهديد حكمه في المتصرفية[5]. ولاحتواء الإمام عبدالرحمن في تلك الظروف وتسكين ثائرته اضطلعت متصرفية الإحساء بمهمة مفاوضته كممثل لآل سعود لتهدئة الخلاف بينهم وبين آل رشيد، وإرجاعه لحكم نجد تحت راية العثمانيين، ولكنه هذه المفاوضات لم تسفر عن نتائج مشجعة.

رابعًا / موقف مشيخة آل صباح في الكويت:

كان النزاع على الحدود أحد مثيرات الخلاف بين الكويت وحائل، فالكويت مثلًا، كانت تدعي ملكيتها لآبار حفر الباطن رغم أنها أقرب إلى حائل من الكويت، بينما يعتبرها

(1) كورشون، **آل سعود والعثمانيون**، مصدر سابق، ص243.

(2) حمد العنقري، مصدر سابق، ص198.

(3) المصدر السابق، ص191.

(4) كورشون، المصدر سابق، ص252.

(5) محمد السلامة، مصدر سابق، ص212

ابن رشيد من حمى الرعي التابع له، تهيم فيها دوابه صيفًا[1]. وبهذا يكون مجال النزاع بين الإمارتين هو الحدود البرية والنفوذ على البادية فيها، يقول سلوت كانت الحدود الصحراوية للكويت هي نقطة ضعفها، حيث شكلت البادية ستارًا غير آمن للكويت عن العدو الطامع ابن رشيد [2]. وفي نهاية المطاف ترجمت حالة الحذر والحرب الباردة بين حائل والكويت على شكل حروب صحراوية، ومناوشات قبائل، ففي عام 1295هـ هاجم الأمير محمد بن رشيد (الصبيحية)[3]، وقد خرج أهل الكويت لصده، وعندما وصلوا إلى (ملح) جنوب الكويت، فإذا به قد ارتحل. ويرى المؤرخون أن هذا هو الهجوم الرشيدي الأول على أطراف الكويت[4]. ويرى بعض الباحثين أن هذا الهجوم كان ردًا من حائل على الكويت، لأن غزوًا كويتيًا وصل إلى منطقة الأجفر التابعة لحائل، في منتصف الطريق بين حائل والكويت[5]. وكنتيجة لغزو الصبيحية، حصل تعدٍّ من عريب دار على جماعة من شمر عام 1296هـ، وقد طالب ابن رشيد شيخ الكويت بما أخذوه ولكن من دون فائدة.

وعلى كل حال يبدو أن هذه الحوادث لم تؤثر كثيرًا في العلاقات بين الطرفين وإن أبقت على تلك العلاقات في دائرة الترقب والحذر، ولكن على صعيد آخر فضلت الكويت تغليب مصالحها الاقتصادية على حدس القلق من جارتها حائل فمررت الكثير من السلاح إليها عن طريق ميناء الكويت في الفترة التي تصاعد فيها الصراع بين ابن رشيد وبين آل سعود وحلفائهم أمراء القصيم،حيث ذكر مصدر بريطاني أثناء عرضه لحجم قوة جيش ابن رشيد فقال ما نصه (وقيل أيضًا إنه كان يستفيد كثيرًا من صداقته لشيخ الكويت) في إشارة لا تخفى إلى تسلح ابن رشيد عبر ميناء الكويت بعلم ورضا شيخها[6]. كما تأكد لدينا تسلح ابن رشيد عبر ميناء الكويت كما ذكرته رسالة صادرة عن إسماعيل باشا والي الحجاز خاطب فيها المابين العثماني لوقف تسلح ابن رشيد عبر الكويت. ولكن مصادر عثمانية أخرى استبعدت مرور السلاح لابن رشيد عن طريق الكويت معللة ذلك

---

(1) سلوت، مصدر سابق ص 205.

(2) المصدر السابق ص205.

(3) عبدالعزيز الرشيد، **تاريخ الكويت**، ص136. وكانت هذه الغزوة الرشيدية على الصبيحية في عهد الشيخ عبد الله الصباح (ت:1309هـ) الذي هب لنجدة حدود وطنه، ولكنه لم يحصل قتال بينهم.

(4) خليف الشمري، **المستودع والمستحضر....**، مصدر سابق، ص31،30.

(5) المصدر السابق، ص31.

(6) دليل الخليج 3/ 1689.

بوجود عداوة قديمة بين الكويت وحائل[1]. ولكن ربما كانت المصلحة الاقتصادية أقوى من العداوة السياسية بينهما. وقد فسر بعض الباحثين هذا التساهل من شيخ الكويت في تمرير السلاح لابن رشيد بأنه مساعدة له لحربه مع أمراء نجد[2]، بينما كان للكويت دوافع منطقية لدعم وتسليح ابن رشيد[3]. (أولها) تحقيق مكاسب مالية وفيرة خاصة إذا علمنا أن هذه الأسلحة تذهب للبادية والحاضرة على السواء، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التسليح لا يقتصر على ابن رشيد وحلفاؤه بل لا بد أن يستفيد منه الطرف المعادي لهم بلا ريب سواء عبر صفقات علنية أو سرية مهربة. و(ثانيها) أن التدخل البريطاني السافر لم يكن قد وصل مداه آنذاك في شؤون الكويت، وبالتالي فشيخ الكويت وقتها كان (قائم مقام) عثمانيًا كما كان ابن رشيد (قائم مقام) في حائل، وبالتالي لا نستبعد أن تكون السلطات العثمانية هي من أوعزت لشيخ الكويت من أن يدعم حليفها القوي ابن رشيد. و(ثالثها) خشية الكويت من امتداد الصراع بين آل سعود إليها كما حدث عام 1290هـ عندما غزا الأمير سعود الفيصل الكويت ووصل إلى الوفرة.

وفي المقابل يبدو أن الشيخ عبدالله الصباح اتبع سياسة احتياطية لاتقاء خطر ابن رشيد في حال حقق انتصارا على خصومه النجديين ولذا نراه يراسل أميري القصيم حسن المهنا أمير بريدة وزامل السليم أمير عنيزة سرًا، ويؤكد لهما في رسائله أنه معهم ضد ابن رشيد ويحرضهم عليه عام 1305هـ. وقد أثمر هذا التحريض مع غيره من العوامل في تأجيج الصراع، حيث وصل ذروته في كون المليدا منتصف عام 1308هـ[4].

ولكن العلاقات بين البلدين انفرجت على نحو مشجع في عهد الشيخ محمد الصباح الذي تولى مشيخة الكويت بعد وفاة أخيه الشيخ عبدالله عام 1309هـ وهو نفس العام الذي تمت لابن رشيد فيه السيطرة على نجد بلا منازع، ولا أدل على هذا الانفراج من مرور الشيخ محمد الصباح على حائل ونزوله ضيفًا على ابن رشيد،في طريق ذهابه للحج في تلك السنة، يقول أحد المؤرخين (توجه ابن صباح عام 1309هـ باسم الحج ووصل حائل

(1) انظر وثائق عثمانية عدة صادرة بتواريخ مختلفة منها: ما صدر بتاريخ 15شعبان 1308هـ، وما صدر بتاريخ 19 رمضان 1308هـ. وما صدر بتاريخ 23 شوال 1308هـ. وانظر أيضًا: محمد السلامة، مصدر سابق، ص193.

(2) خليف الشمري، مصدر سابق،ص31 (معتمدًا على وثيقة عثمانية بتاريخ 16رجب 1308هـ). وانظر/ **دليل الخليج** (3/ 1522).

(3) حمد العنقري، مصدر سابق، ص 208.

(4) عبد الرحمن بن صالح البسام، الخزانة (5/ 82).

وأزال ما في خاطر ابن رشيد، وزالت الوحشة بينهما واستمرت الأحوال ساكنة إلى أن قتل مبارك أخوه الشيخ محمد)[1].

ويأتي هذا الانفراج في العلاقات بين البلدين كخطوة دبلوماسية وقائية من شيخ الكويت الجديد ليواكب الوضع السياسي الراهن والظروف التي جعلت من ابن رشيد أقوى الأمراء في الجزيرة العربية، وذلك بعد انتصار ابن رشيد على خصومه النجديين في معركتي المليدا وحريملاء، مما زاد القلق الكويتي خوفًا من أن تصبح الكويت هي الوجهة العسكرية التالية لابن رشيد، ولذا نرى الشيخ محمد الصباح يتقرب من ابن رشيد ويتبادل معه على إثر ذلك السفارات والهدايا بين البلدين[2]. وبذلك دخلت العلاقات بين البلدين طورًا جديدًا استمر حتى مقتل الشيخ محمد الصباح على يد أخيه الشيخ مبارك عام 1313هـ[3].

استقبال آل صباح لآل سعود في الكويت: عندما رغب الإمام عبد الرحمن الفيصل في أن يلجأ إلى الكويت كان قد خرج توًا من صراع مرير مع أمير حائل المنتشي بالنصر في معركتي المليدا وحريملاء، والذي أحكم قبضته بعدها على نجد سياسيًا وعسكريًا. ولذا عندما رفض الشيخ محمد الصباح استقبال آل سعود في الكويت كلاجئين أول الأمر فإنه قد نظر إلى الأمر لعدة اعتبارات:

1- أن الشيخ محمد الصباح قد خاف نقمة ابن رشيد إذا ما استقبل خصومه آل سعود. أو ربما أنه أراد مجاملة ابن رشيد برفض استقبال خصومه في بلاده.

2- خشية ابن صباح أن تنتكس العلاقة السياسية بين الكويت وحائل، وهي التي دخلت توًا في طور إيجابي، حيث قد يوفر استقباله لآل سعود عاملًا في توترها مع حائل.

3- أن استقبال الكويت لآل سعود قد يحرك أطماعًا قديمة عند آل رشيد في احتلال الكويت للاستيلاء على مينائها، بذريعة وجود أعدائه فيها لما يشكلونه من خطر مستقبلي ضد حائل.

---

(1) المصدر السابق، (5/ 82) نقلته بتصرف.

(2) خليف الشمري، مصدر سابق، ص32.

(3) مما أغضب ابن رشيد من هذا الفعل واحتج عليه برسالة شديدة اللهجة إلى الشيخ مبارك، ما يعد نكسة في العلاقات بين البلدين. انظر/ عبدالعزيز الرشيد، **تاريخ الكويت**، مصدر سابق، ص159.

4- كيلا تخسر الكويت حائلًا كشريك تجاري لها؛ لأن الكويت كانت ميناءً حيويًا مفتوحًا لحائل على ساحل الخليج العربي.

5- كانت عين الشيخ محمد الصباح على الأتراك توجسًا من غضبهم لو استقبل آل سعود أعداء حليفهم ابن رشيد من دون استئذانهم، وهذا ما أكده الزركلي بقوله: (لم يجرؤ محمد بن صباح على الجمع بين مناوأة ابن رشيد، ومخالفة سياسة الترك، فاعتذر وعاد الإمام عبد الرحمن إلى البر)[1].

ولكن بعد موافقة السلطات العثمانية للإمام عبدالرحمن وأسرته بسكنى الكويت وإجراء رواتب لهم، هان الأمر على الشيخ محمد الصباح وأمن جانب ابن رشيد. ورغم أن ابن رشيد بدأ ينظر إلى الكويت على أنها ملجأ لأعدائه من أمراء نجد، إلا أنه رأى من جهة أخرى أن استقرارهم في الكويت تحت نظر وسمع السلطات العثمانية ضمان لتسكين حركتهم ضده، ومن هنا لم يعترض على استقبال الشيخ محمد الصباح لهم، وإن ظلت عيونه تراقب تحرك خصومه هناك. بعد تلك التطورات السابقة يمكننا القول بأن الخطر الرشيدي قد زال عن مشيخة الكويت وذلك للأسباب التالية:

1- كانت الكويت تابعة رسميًا للدولة العثمانية، وغزو ابن رشيد للكويت وهو العثماني المخلص سيغضب تلك الدولة عليه.

2- الحضور البريطاني القوي في الخليج العربي والمتربص حول الكويت شكل مانعًا من أي تحرك رشيدي ضدها لما سيسببه ذلك من أزمة بين البريطانيين والعثمانيين.

3- أن غزو ابن رشيد للكويت سوف يثير ضده المعارضة النجدية الساكنة فيها ويحركها ضده.

خامسًا / موقف مشيخة آل ثاني في قطر:

كانت تربط الشيخ قاسم آل ثاني علاقة صداقة بابن رشيد تحولت إلى مشروع سياسي وعسكري، وقد أشرنا في مواضع سابقة إلى حيثيات وجوانب تلك العلاقة القائمة على مصلحة طرفيها. كما تبادل الطرفين نتيجة لذلك السفراء والهدايا، ومن ذلك سفارة ابن

---

(1) الزركلي، مصدر سابق، (1/ 65).

نايفه الذي أرسله الشيخ قاسم إلى ابن رشيد في أواسط عام1306هـ، وحمّلهُ هدية لابن رشيد عبارة عن (160ذلول)، وعندما رجع (ابن نايفه) حمّله ابن رشيد هدية مماثلة للشيخ قاسم عبارة عن (حصانين، وثلاث من الإبل) كما وعد بإرسال (1500مقاتل) لمساندة الشيخ قاسم ضد الشيخ زايد حاكم أبو ظبي[1]. وكان هناك تنسيق عثماني من عدة أطراف هدفه غزو ساحل عمان حيث الشيخ زايد حاكم أبو ظبي، وهذه الأطراف هي: (ابن رشيد، والشيخ قاسم، ومتصرفية الإحساء)، ولكن فشل هذا المشروع لأسباب موضوعية منها على سبيل المثال: صعوبة الدعم اللوجستي لجيش ابن رشيد، وعدم استقرار الأوضاع في نجد، وتراجع الدولة العثمانية عن منح حكم الإحساء لابن رشيد كمكافأة لغزوته تلك، وانفضاح أمر هذه الحملة ودوافعها للسلطات البريطانية التي احتجت عليها بقوة لدى العثمانيين[2].

ولذا سارع ابن رشيد يزف البشرى إلى الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني شيخ قطر بانتصاره على أهل القصيم في كون المليدا، إذ كانت تربطه آنذاك علاقات دبلوماسية حسنة مع ابن رشيد[3]. كما كانت موانئ قطر أحد المعابر التي تمر بها الأسلحة لصالح الجيش الرشيدي، خصوصا وأن سواحلها كانت بعيدة نسبيا عن أعين السلطات البريطانية التي كانت تطارد تهريب الأسلحة على سواحل الخليج العربي.

ولكن لا بد من التنويه أن الشيخ قاسم آل ثاني كان قد اتبع سياسة متوازنة مع أطراف الصراع في نجد، حيث كان له قدر كبير من الاحترام لدى الأوساط السياسية في نجد آنذاك. ولذا حاول السعي في الوساطة بين آل سعود وآل رشيد لحل النزاع سلميًا، وبحسب المصادر البريطانية فإن شيخ قطر عرض صلحا بين الإمام عبدالرحمن والأمير محمد ابن رشيد يقوم على فكرة أن يحتفظ كل طرف منهما بما تحت يده من البلدان، وتقف الحرب بينهما، مع إظهار الإمام عبدالرحمن الطاعة لابن رشيد[4]. ولكن هذا العرض لم يلق قبولا من الأطراف المعنية، ربما نظرًا لعدم واقعيته. كما احتضن

---

(1) المصدر السابق، ص200، وابن نايف أحد شيوخ الهواجر وكان حليفًا رئيسيًا للشيخ قاسم آل ثاني.

(2) المصدر السابق، ص186 وما بعدها.

(3) العنقري، مصدر سابق، ص205.

(4) سطام الحربي، **الدور السياسي للإمام عبدالرحمن الفيصل 1288 ـ 1320هـ**، رسالة ماجستير غير منشورة. ويبدو أن هذا العرض قد جرى في الفترة التي تقع بين معركتي المليدا وحريملاء.

الشيخ قاسم بعض آل سعود عندما خرجوا من نجد بعد معركة حريملاء[1]، وذلك قبل استقرارهم في الكويت. ويبدو أن استقبال الشيخ قاسم آل سعود لم يفقده علاقته الحسنة مع ابن رشيد لأن ما قام به ينسجم مع القيم العربية الإسلامية.

وعلى صعيد آخر كان للشيخ قاسم علاقة مع بعض الأسر التميمية في نجد باعتبار آل ثاني من بني تميم، ومن أبرزها أسرة البسام في عنيزة، التي كانت لها علاقة متميزة مع حليفه ابن رشيد ، ومن هنا تتقاطع علاقة الشيخ قاسم مع ابن رشيد بعلاقتهما مع بعض تلك الأسر النجدية الموالية له.

سادسًا / موقف مشيخة آل خليفة في البحرين:

كان للإمام عبدالرحمن آل سعود علاقة وثيقة وقديمة بالشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين ترجع لعام 1291هـ، عندما قدم الإمام من بغداد إلى المحرق ومنها حاول استرجاع الإحساء وساعده الشيخ عيسى بن علي[2]، وذكر تقرير بريطاني أن الإمام عبدالرحمن نزل وقتها في بيت خاص به في ضيافة الشيخ عيسى[3].

وبعد هزيمة حلفاء الإمام عبدالرحمن في المليدا أراد أن يودع أهله في مأمن بعيدًا عن الأخطار في نجد فرحل بأسرته وبصحبته ابنه الفتى عبدالعزيز (الملك)، ونزل المحرق في البحرين، ولدينا رواية مصدرها آل خاطر أهل البحرين عن لحظة وصول الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز لبلادهم. فقد روى لي الأخ الباحث خالد الخاطر عن أخيه الأكبر يوسف[4] ابن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حسن بن خاطر، حادثة مجيء الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز إلى البحرين، حيث قال: (جاء الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز من قطر[5] بحرا

---

(1) ذكر المؤرخ ابن عيسى في أكثر من موضع لجوء آل سعود لقطر بعد معركة حريملاء، بل إنه ذكر أن الأمام عبدالرحمن رحل بأولاده وأهله إلى هناك وفي نفس الوقت لم يذكر من أمر وصول بعضهم إلى البحرين أي شيء. وسنقف مع هذه الملاحظة في الكلام عن موقف البحرين لاحقًا.

(2) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام، مصدر سابق (4/ 1064)

(3) عبدالله بن خالد آل خليفة، الصلات التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية، المنشور في مجلة الوثيقة البحرينية، عدد 36، ربيع أول 1420هـ، ص 85 -86.

(4) نقل الأخ يوسف بن خاطر رواية الحادثة عن والده عبدالله الذي نقلها عن والده يوسف الذي نقلها عن والده الشيخ محمد بن حسن بن خاطر، كما سمعها عبدالله بن محمد الخاطر من الملك عبدالعزيز بنفسه عندما قابله في الرياض عام 1370هـ تقريبًا. وإضافة لذلك فإن هذه الحادثة متواترة عند كبار السن في المحرق قديمًا وحديثًا.

(5) ذكر قدومهم من قطر بصيغة التمريض حيث قال نصًا: (كانوا جايين على ما اعتقد من صوب قطر)

إلى جزيرة المحرق في البحرين، ولم يرسو جالبوتهم[1] إلا الساعة الرابعة ليلا[2]، فقال الإمام لابنه ابحث لنا عن أقرب مسجد ننام فيه حتى الفجر فليس من المناسب أن نذهب إلى الشيخ عيسى[3] في هذا الوقت المتأخر من الليل، فنزلوا من الجالبوت ووجدوا أقرب مسجد ففرشوا المداد، وناموا حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر، عندها علموا بعد السؤال أن المسجد هو مسجد بن خاطر، وبعد الصلاة جاء الجد (محمد بن حسن بن خاطر)[4] وسلم عليهم وأخذهم إلى بيته ضيوفًا عليه، وبعد واجب الضيافة رافقهم إلى منزل الشيخ عيسى بن علي)[5]. وقد ساهم الشاعر عبدالمحسن بن محمد الصحاف[6] بتوثيق الحادثة في قصيدته في مدح البوعينين والمعروفة بالميمية بها الشيخ محمد بن حسن آل خاطر، ومما جاء فيها:

محمد الحسن بن خاطر انفتحت	له كنوز المعالي دون تقليم
هو استضاف أمير العرب في عسر	عبدالعزيز وخويه بتكريم
مذ أم مسجده في ليل مظلمة	فبات فيه بتحنان وتنعيم
فقام معه إلى عيسى المليك ولم	يدعه إلا على عز وتعظيم

فاستقبلهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وأسكنهم في بيت خاص تحت ضيافته قرب قصره شرق المحرق، وبعد ذلك ترك الإمام عبدالرحمن أسرته برفقة ابنه عبدالعزيز في البحرين، وعاد إلى نجد لمقاومة خصمه ابن رشيد[7]. ولكن هزيمته في حريملاء أجبرته على استئناف البحث عن مأوى جديد لبقية آل سعود وحريمهم فكان التوجه إلى قطر حيث شيخها قاسم آل ثاني حتى لا يثقل الضيافة على الشيخ عيسى بن علي، وهذا يعني أن آل سعود قد انقسموا إلى قسمين من حيث الوجهة قبل استقرارهم في الكويت لاحقًا،

(1) نوع متوسط الحجم من السفن الشراعية آنذاك.

(2) الساعة الرابعة جاءت هنا بحسب التوقيت العربي (الغروبي) المعمول به آنذاك، وهي توافق بالتوقيت الزوالي الذي نستخدمه الآن الساعة التاسعة ليلًا.

(3) هو حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي بن خليفة آل خليفة، كانت وفاته عام 1351هـ.

(4) هو الشيخ محمد بن حسن بن خاطر البوعينين الدارمي التميمي توفي أواخر عام 1308هـ.

(5) من أراد التوسع في هذه الحادثة فليراجع كتاب (**أبا المساجد، الشيخ محمد بن بن خاطر**) لمؤلفه خالد عبدالله الخاطر، في طريقه للنشر بإذن الله.

(6) يعتبر الشاعر الصحاف معاصر للحادثة، وقد توفي عام 1351هـ.

(7) إن صح هذا الإسناد فإنه يؤكد عدم مشاركة الملك عبدالعزيز لوالده في معركة حريملاء.

حيث وصلت أسرة الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز إلى البحرين بعد كون المليدا، أما بقية الأسرة السعودية ومنهم آل جلوي فقد ذهبوا إلى قطر ونزلوا في ضيافة الشيخ قاسم آل ثاني بعد معركة حريملاء كما نص المؤرخ ابن عيسى في تواريخه[1].

وبعد موافقة العثمانيين على استقرار الإمام عبدالرحمن وآله في الكويت وتعيين راتبه له، نقل أسرته التي في البحرين إلى الكويت بحرًا[2]، وكذلك لحق به آل سعود الذين في قطر.

(1) **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق أحمد البسام،مصدر سابق (4/ 1143). وورقات غير منشورة لتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق ص319.

(2) مجلة الوثيقة،مصدر سابق، عدد 36، ربيع أول 1420هـ.ص86.

الخاتمة

وفي الختام أرجو بذكر هذه المواطن التاريخية للأجداد أن نعزز ونرسخ بها قيمة الأمن العميم الذي أزال عصر الفتن بفضل ومنّة من الله تعالى، وذلك عندما نقارن بين الماضي والحاضر حيث أبدلنا الله تعالى من بعد الشقاق والإحن الإخاء والوحدة في وطن عزيز بقبائله المسالمة وحاضرته البانية، لنستلهم بعد ذلك من التاريخ ما فيه تسلية وعبرة لحاضرنا وخبرة لمستقبلنا.

نعم لقد رحل الأشخاص وبقيت ذكراهم وذاكرتهم التاريخية محفوظة لا تغادرنا مهما ابتعدنا عن الصفحات التي سطروها، ولذا فمن الحكمة أن نسترجع أفعالهم ونتذكر إسهاماتهم، غير هيابين من وعورة المسلك وهاجس الفتنة، ولو فعلنا ذلك لمات الزمان وبهت المكان وضاعت معالمهما، وطويت صفحاتهما، فهكذا شأن التاريخ لابد لاستمراره من تفعيل ذاكرة الأجيال ليس في الحسن والمحبوب منه وحسب، بل حتى للمكروه منه، ولكننا حتما سنوغل فيه برفق وسكينة من دون تشنج أو تخوين، وذلك من أجل أن نُكسِب الجيل الجديد مناعة تحول دون تكرار تجارب الخطأ السالفة، فنحقق بذلك هدف البحث التاريخي لنعلي مكانته وشأنه في صياغة عقول الجيل الجديد ووعيه الحضاري في استرجاع الماضي، من أجل استلهام الخبرة المعينة لتفسير الواقع واستشراف مستقبل الأمة.



الملاحق

ملحق (1)

قوائم بأسماء القتلى

وما شهداء الحرب إلا عمادها   وإن شيّد الأحياء فيها وطنّبوا

أحمد شوقي

اجتهدت في حصر أسماء القتلى في كون المليدا من جميع الجيوش المتحاربة ومن مختلف المدن التي شاركت في القتال، وجاءت نتيجة هذا الحصر متلائمة بحسب توفر المصادر من عدمها، مع تسجيل ملاحظة مهمة أن ذكر الأسماء لا علاقة له بتقدير أعداد القتلى، حيث قتل الكثير ممن لم نتوصل لمعرفة هوياتهم (للأسف) بسبب إهمال التسجيل ولضعف الذاكرة الشعبية المندثرة نظرا لانقراض الجيل الذي شهد المعركة أو عاصرها، وكذلك انقراض الجيل الذي عاصر من عاصرها، وبالتالي وجبت الإشارة إلى أنه لا علاقة لعدد الأسماء المذكورة بالعدد الذي سقط من القتلى فعلاً.

أولاً: قائمة بأسماء قتلى مدينة بريدة وقراها[1]

1- إبراهيم بن عبدالله الهزاع

2- إبراهيم بن ناصر العجاجي (مع إخوته الأربعة)

3- أربعة من أسرة الرواف

4- تركي بن حميدان التركي

5- حمد بن سعيد

(1) مصادر أسماء القتلى: عبدالله بن عبدالرحمن البسام الخزانة (5/ 181،180). ومحمد العبودي، **معجم أسر بريدة** (19/ 345) و(4/ 655). وتاريخ ابن عيسى، تحقيق أحمد البسام 4/ 1136.. وعبدالله الوليعي من كتابه **الشماسية**. ومخطوط تاريخ ابن ناصر ورقة 40، وابن عبيد أولي النهى 1/ 290. وقتلى القصيعة المصدر محمد السلامة هامش ص 202، نقلاً عن كتاب عبدالرحمن الخميس **القصيعة، عراقة وإشراقة**. ومنصور الشعيبي، **الخبوب تعليم وأمجاد**، ص 16.

6- حمد بن محمد بن سليمان الشعيبي أمير البصر (كان يقود 30 مقاتلًا من جماعته)

7- حمد بن ناصر العجاجي

8- حميدان بن عبدالرحمن التركي (ذكره العبودي باسم حميدان بن محمد بن عبدالعزيز التركي)

9- راشد بن عثمان بن راشد الجلال (وقتل معه اثنان من أخوته)

10- سابق بن فوزان بن كليب الفوزان (أمير الشماسية)

11- سليمان المزيني

12- سليمان بن أحمد الرواف

13- سليمان بن ناصر الجربوع

14- صالح آل مديفر (أمير الصباخ)

15- صالح بن عثمان بن راشد الجلال

16- ضيف الله الشبرمي

17- عبدالرحمن بن حسين الصالح أبا الخيل (أحد حملة الراية بعد وقوع الهزيمة)

18- عبدالرحمن بن علي الرشودي (أخو الزعيم فهد الرشودي)

19- عبدالرحمن بن ناصر العجاجي

20- عبدالعزيز التويجري

21- عبدالعزيز الحماد

22- عبدالعزيز العقيل

23- عبدالعزيز العميريني

24- عبدالعزيز بن صالح المهنا

25- عبدالعزيز بن عبدالله المهنا الصالح، (رثاه صديقه الشاعر العوني)

26- عبدالعزيز بن علي الشعيبي

27- عبدالعزيز بن محمد المهنا

28- عبدالعزيز بن محمد بن حمد بن محمد القسومي

29- عبدالله التويجري

30- عبدالله الجربوع

31- عبدالله الحمر، (وجدت اسمه في وثيقة أهلية تعود لعام 1379هـ)

32- عبدالله المطلق

33- عبدالله بن حسن آل عودة آل أباالخيل

34- عبدالله بن عثمان بن أحمد العثيم

35- عبدالله بن عثمان بن راشد الجلال

36- عبدالله بن علي بن سليم (فقيه/ ابن عم لأسرة آل سليم، وليس منهم، قدم عليهم زائرًا فخرج معهم للحرب فقتل)

37- عبدالله بن ناصر العجاجي

38- عبدالمحسن بن مدالله

39- عثمان الدبيخي

40- عثمان العريني

41- علي السدلان (قتل معه أخوه)

42- علي بن عبدالله الهزاع

43- علي بن مرشد الصالح المرشد (قتل معه ابنه محمد)

44- علي بن هتيمي بن عبدالرحمن اللاحم

45- عمر بن ناصر العمر

46- عمر بن ناصر العمر

47- عودة بن حسن آل عودة آل أبا الخيل

48- غانم السدلان

49- محمد إبراهيم العجلان (أبوه الفقيه المشهور)

50- محمد آل عودة آل أبا الخيل

51- محمد بن سليمان بن محمد العمري (فقيه، وهو جد كلٍّ من: الشيخ صالح العمري صاحب جريدة **القصيم** الإعلامي والتربوي الشهير، وأخوه الأديب الشيخ ناصر العمري مؤلف كتاب **ملامح عربية**)

52- محمد بن صالح الحماد

53- محمد بن صالح العليقي

54- محمد بن عثمان الهميلي

55- محمد بن علي بن مرشد الصالح المرشد (قتل مع والده)

56- محمد بن ناصر العجاجي

57- منصور بن عثمان العيدان

ثانيًا: قائمة بأسماء قتلى عنيزة وقراها[1]:

1- إبراهيم الراشد

2- إبراهيم الزعاقي

3- إبراهيم السعد الصانع

4- إبراهيم الشنيفي

5- إبراهيم الصالح الزامل، يلقب بـ العميد

6- إبراهيم العبدالله الشبل

7- إبراهيم العبد المحسن البسام

8- إبراهيم العبدان قتل معه أخوه يوسف

9- إبراهيم القوبع (ابن عيسى المجموع)

10- إبراهيم المحيميد (إبراهيم الحميميد)

11- إبراهيم المداوي (ذكره ابن عيسى في المجموع)

12- إبراهيم المطرودي

13- إبراهيم بن راشد، ويسمى (مبلش بن زاروق) صاحب منجم الجص بعنيزة

14- إبراهيم بن عبدالله الخرب قتل معه اثنان من اخوته

15- ابن أبومغير

16- ابن الحمدان، وقتل معه أخوه

---

(1) المصادر/ عبدالله البسام، **التحفة** ورقة 163. عبدالله العبدالرحمن البسام، الخزانة (5/180 - 181) محمد العبودي، **معجم أسر بريدة** (19/ 345) و **تاريخ ابن عيسى**، تحقيق البسام (4 1136).. ابن عيسى الخزانة 2/ ص252 وما بعدها...قائمة عبدالله بن عثمان البيبي... وقائمة أخرى مشابهه لها لكن بخط آخر. محمد العلي العبيد **النجم اللامع** (ذكره ابن عيسى في المجموع قرابة 25 ممن قتل من أهل عنيزة ثم قال: وقتل من الإخوان أربعين منهم: من أهل المذنب أربعة، ومن عنيزة خمسة عشر، ومن بريدة ثمانية عشر، ومن البكيرية والهلالية خمسة) وعند جمع الأعداد المذكورة يكون الجميع 42 قتيلًا.

17- ابن الحمدان، وقتل معه أخوه
18- ابن الحميدي
19- ابن الخراز
20- ابن الخريجي
21- ابن الرويشدي
22- ابن الزريطي
23- ابن السبيعي (الجزار)
24- ابن الصانوت
25- ابن العبيدالله قتل معه عمه حمود العبيدالله
26- ابن العبيدالله، قتل مع عمه حمود العبيدالله
27- ابن العبيدالله قتل معه أخوه حمود
28- ابن العثيمين قتل مع أخوه عبدالله
29- ابن العميد (ابن عيسى المجموع)
30- ابن العمير قتل معه شقيقه عبدالرحمن
31- ابن العويس
32- ابن المجحدي
33- ابن المشعلي
34- ابن الموسى قتل معه أخواه
35- ابن الموسى قتل معه أخواه
36- ابن الموسى قتل معه أخواه
37- ابن النزهة
38- ابن النفيسة
39- ابن بن ضيف
40- ابن جعيثن
41- ابن حمد العصيل
42- ابن خويرة، (هكذا؟؟ مجهول الاسم)، وخويرة والدته، وهي من معاتيق آل

بسام، وهذا القتيل جاء مع علي الزامل (رقم 2 في هذه القائمة ابن الأمير زامل) من الأحساء وبعد وصولهما إلى عنيزة التحقا بالغزو مباشرة فقتلا معًا.

43- ابن دريس

44- ابن رميح

45- ابن رويشد

46- ابن زميرين، مشهور براعي الوادي ابن سليمان الراشد

47- ابن سليمان آل محمد البسام، (ابن عيسى المجموع)

48- ابن سليمان قتل معه أخوه محمد

49- ابن ضيف، آل ضيف من بني عمرو من تميم قدموا عنيزة من بلدة المستجدة قرب حائل

50- ابن عبد العزيز الغاشم

51- ابن عبدالله الناصر السعد

52- ابن عبدالرحمن السليم (الطاقية)

53- ابن عبدالرحمن العمير

54- ابن عبدالله العلي وأخوه

55- ابن عبدالله العلي وأخوه

56- ابن عبدالله الناصر

57- ابن عبدالله بن سليمان القاضي ذكره (ابن عيسى في المجموع)

58- ابن عبدالله دعيجان والد عبدالله ومحمد الدعيجان، وهما مؤذنا مسجد الهفوف

59- ابن عدوان

60- ابن عقل

61- ابن علي الثويني

62- ابن علي الثويني

63- ابن علي الخياط الشاعر المشهور

64- ابن علي الشويشي

65- ابن عمير وأخوه

66- ابن غرير

67- ابن غرير.. جزار

68- ابن قعوس، بتشديد العين

69- ابن كريشان واخوه

70-ابن محمد إبراهيم البسام (قتل مع والده)

71- ابن محمد الحمد الشدوخي

72- ابن محمد العمرو، آل عمرو من الصمدة من الظفير

73- ابن مطلب

74- ابن مطلق

75- ابن مفرح

76- ابن منصور الغانم وأخوه

77- ابن منصور الغانم وأخوه

78- ابن منيِّع، بتشديد الياء مكسورةً، من أسرة الصاغة آل منيع

79- ابن موسى الضبيبان

80- ابناخي ابن محبوب من الموالي

81- ابناخي القعدي وابنه رميح

82- ابناخي فهد الحمدان

83- أبو إبراهيم اللون

84- أبو صفرية، من دون أي إضافة أو معلومة أخرى

85- أبو عسم

86- أبو عقل

87- أبو عقيل

88- أبو علي الغذامي، من قبيلة شمر

89- أخو عبدالله بن فويس

90-أخو نهار بن رهيط

91- تركي بن حمود بن جفنان

92- جابر بن واصل

93- حركان

94- حركان الخريجي

95- حسن الصهيل، وقتل معه أخوه حمد

96- حصيني........ مجهول الاسم الأخير

97- حماد العثمان الخويطر، هو عم والد الوزير عبدالعزيز بن عبدالله بن علي بن عثمان الخويطر

98- حمد الشريم

99- حمد الصالح القنيعير

100- حمد الصهيل، وقتل معه أخوه حسن

101- حمد العبدالله الشبل

102- حمد الغصوني (ابن عيسى المجموع)، وقتل معه أخوه عبدالله

103- حمد الفايز

104- حمد المحمد المرزوقي

105- حمد المرشد

106- حمد بن حمود الحمد العرينان

107- حمد بن صالح الماضي

108- حمد بن عبدالله الخرب، وقتل مع اثنين من أخوته

109- حمد بن محمد العبدالله القاضي (ابن الشاعر)،وهو جد عبد العزيز القاضي صاحب قصيدة العنيزية ذكره(ابن عيسى في المجموع)

110- حمد عبدالله القعدي

111- حمد عبدالله المرشد

112- حمود السيوفي

113- حمود العبيدالله، وقتل معه أخوه

114- الحميدي

115- حتيش، مولى للأمير زامل العبدالله السليم.

116- خالد العبدالله السليم، هو والد أمير عنيزة عبدالله الخالد. (ذكره ابن عيسى في المجموع)

117- خزعل الجريفاني، من قبيلة شمر مقيم في عنيزة، وقتل معه ابنه شقران.

118- خلف (مولى التاجر محمد العماري) قتلا معا

119- راشد البنيان

120- رشيد بن عبد العزيز الدغيثر، من الأعيان

121- رميح عبدالله القعدي

122- زامل العبدالله السليم، أمير عنيزة وقائد غزوها، قتل وعمره اثنتان وستون سنة. (ذكره ابن عيسى في المجموع)

123- زامل المحمد الزامل

124- زويان

125- سالم البراهيم الجلهم، وقتل معه أخوه عبدالله

126- سالم الموسى

127-سبعة قتلى مجهولين من آل تركي

128- ستة قتلى من آل سليم

129- ستة قتلى من آل زامل

130- سعد الحماد

131- سعد الحماد الخويطر

132- سعيد الزويد (جزار)

133- سلوم الصائغ

134- سليمان إبراهيم بن حمد المطرودي الخالدي الملقب بـ(الحنية) من أهل العوشزية شرق عنيزة كان موصوفًا بالشجاعة والإقدام.

135- سليمان الجريفاني، الملقب (القريان)

136- سليمان الحسين الخويطر

137- سليمان الخويطر

138- سليمان الزامل (الأشقر) ذكره (ابن عيسى في المجموع) الأشقر من الزامل

139- سليمان الصالح الصائغ (ابن عيسى المجموع)

140- سليمان الصالح القاضي

141- سليمان العامري العبيد

142- سليمان العبدالله الخنيني

143- سليمان العبدالله القاضي

144- سليمان العلي الكريشان، (من ذرية زهري بن جراح)

145- سليمان القرعاوي

146- سليمان المحمد الزامل

147- سليمان المحمد السليم. (هو جد سليم الذي قتل غيلة عام 1351هـ)

148- سليمان صالح الجريفاني

149- شقران بن خزعل الجريفاني، من قبيلة شمر مقيم في عنيزة مع والده الذي قتل معه

150- صالح (الدلقمة)

151- صالح البطحي

152- صالح السليمان الطجل، قتل معه أخوه عبدالله

153- صالح العبدالله السليمان آل (أبا الشحم)

154- صالح العبدالله الغاشم، من تجار الإبل في سوق عنيزة

155- صالح العلي الزامل آل هديان

156- صالح العلي الكريشان

157- صالح العليان (ابن صالح)، من السرحان من عنزة

158- صالح الكليب

159- صالح المحمد الحمد الشميمري

160- صالح المنصورالغانم

161- صالح بن دواس

162- صالح بن ناصر بن عضيب بن ناصر بن الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيب، وقتل معه أخويه عثمان وناصر.

163- صقر الهتيمي، وقتل معه أخوه ضيفي

164- ضويحي آل حلوان، أحد خدام إمارة عنيزة (ابن عيسى المجموع)

165- ضيفي الهتيمي، وقتل معه أخوه صقر

166- ظاهر

167- عبد الرحمن البراهيم السليم

168- عبد الرحمن الحميدي، بكسرالحاء وتشديد الميم،وهم من آل جراح من سبيع

169- عبد الرحمن الزيدان

170- عبد الرحمن السلمي

171- عبد الرحمن العلي الحُميدي

172- عبد الرحمن العلي الخياط، وقتل معه أخوه، وهما ابنا الشاعر علي الخياط

173- عبد الرحمن العلي السليم (ابن عيسى المجموع)

174- عبد الرحمن العمير، من شمر

175- عبد الرحمن المقيطيب

176- عبد الرحمن بن عبدالله الصهيل

177- عبد العزيز بن حسن الصائغ ذكره (ابن عيسى في المجموع)

178- عبد العزيز بن صالح القاضي

179- عبد العزيز بن عبدالله الشبل جد الدكتور عبدالله الشبل مدير جامعة الإمام سابقًا

180- عبد العزيز بن عبدالله العثيمين (قتل مع والده وأخوه وعمه)

181- عبد العزيز بن عبدالله المنصورالخنيني ذكره (ابن عيسى في المجموع)

182- عبد العزيز بن عبدالله الخرب (قتل مع اثنين من اخوته)

183- عبد العزيز بن محمد بن عبدالله القاضي (ابن الشاعر) ذكره (ابن عيسى في المجموع)

184- عبد العزيز بن مقبل الذكير (والد المؤرخ مقبل الذكير)

185- عبدالله الحسون

186- عبدالله الخراز

187- عبدالله السعلو

188- عبدالله الشويشي

189- عبدالله الصالح الخطيب

190- عبدالله الصالح المزيد، من الصمدة من قبيلة الظفير

191- عبدالله الصقيري (وهو حامل راية أهل عنيزة في هذ الغزوة وما قبلها)

192- عبدالله العثيمين، وقتل معه أخ له واثنان من أبنائه

193- عبدالله العلي، وقتل معه اثنين من أبنائه

194- عبدالله العيسي

195- عبدالله الفدغوش

196- عبدالله المحمد التركي

197- عبدالله النجيجير

198- عبدالله الهطلاني

199- عبدالله بن براهيم الجلهم

200- عبدالله بن حمد الفايز

201- عبدالله بن سليمان الطجل قتل معه أخوه صالح

202- عبدالله بن صالح بن بن عبدالرحمن العيسى، جد المذيع سليمان العبدالله العيسى

203- عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله الجمعي، جده عبد الله هو الذي كان أميرًا لعنيزة الذي قتله يحي آل سليم عام 1238هـ

204- عبدالله بن محمد بن عبدالله الحميميدي

205- عبدالله بن مرزوق

206- عبدالعزيز الحمد الراشد

207- عبدالعزيز العوهلي ذكره (ابن عيسى في المجموع)

208- عبدالعزيز بن إبراهيم السليم (ابن عيسى المجموع)

209- عبدالعزيز بن عبدالله الخرب

210- عبدالله البراهيم الجلهم وقتل معه أخاه سالم

211- عبدالله الخبيب

212- عبدالله الرجيد

213- عبدالله الغصوني

214- عبدالله المحيميدي

215- عبدالله بن سعد الناصر

216- عبدالله بن صالح القاضي ذكره (ابن عيسى في المجموع)

217- عبدالمحسن الرشيد الدغيثر، وقتل معه أخوه علي

218- عثمان آل منصور (ابن عيسى المجموع)

219- عثمان البيبي

220- عثمان العبد الرحمن الزامل

221- عثمان بن ناصر بن عضيب بن ناصر بن الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيب. (قتل معه أخواه صالح وناصر).

222- عثمان بن ونين، من الخويطر من قبيلة بني خالد

223- عثيمين العبدالله العثيمين (قتل مع والده وأخوه وعمه)

224- عقيل التركي

225- عقيل المحمد العليان

226- علي الجابر (عليوي) (قتل معه أخوه محمد)

227- علي الجناحي من بني خالد

228- علي الحميميدي

229- علي الخضير

230- علي الدمشي

231- علي الطويرات

232- علي العضيبي

233- علي العليان (ابن علي)، من السرحان من عنزة

234- علي الغرير

235- علي القرعاوي

236- علي بن خليف بن صالح الخليف، وقد كان أخوه محمد أحد المرشحين لتولي

إمارة عنيزة بعد المليدا، ولكنه رفض توليها.

237- علي بن رشيد البراهيم الدغيثر، وأخوه عبد المحسن

238- علي بن زامل العبدالله السليم (ابن أمير عنيزة) (ذكره ابن عيسى في المجموع)

239- علي بن سعد الصانع

240- علي بن عبدالله الحماد ذكره (ابن عيسى في المجموع) من دون ذكر والده

241- علي بن محمد البذرة

242- علي بن محمد التركي

243- علي بن محمد الصوينع

244- علي محمد الدغيثر

245- عوير (بن طريق)

246- عياف ناصر الضويحي

247- عيال منصور الغانم. ذكرهم (ابن عيسى في المجموع) مبهمين

248- غطيمل (ابو ناصر)......... لم يذكر الاسم الأخير (مهنته جزار)

249- فتى كان يرعى الغنم بالقاع

250- فرج (مولى التاجر محمد العماري وقتل معه)

251- فهد المزيد الغانم الحميد

252- فهد المنصور الغانم

253- فهد بن ضيف‌الله بن رهيط، من عنزة

254- القويفلي، مجهول الاسم الأول

255- مبيريك بن منيع. ذكره (ابن عيسى المجموع)

256- محمد إبراهيم البسام، وقتل معه ابن له مجهول الاسم.

257- محمد البراهيم البطحي

258- محمد الجابر وقتل معه أخوه علي

259- محمد الحسين الراشد

260- محمد الحمد الحركان

261- محمد الحمد الشبيلي، وهو جد السفير محمد الحمد الشبيلي

262- محمد الزعاقي

263- محمد السليمان المعتاز، قتل معه أخوه

264- محمد الصالح الحميدي

265- محمد الصريخ

266- محمد العبد الرحمن الزامل

267- محمد العبدالله المطوع، عم الشيخ محمد العبد العزيز المطوع قاضي عنيزة

268- محمد العقيل

269- محمد العمري، أخ الشيخ سليمان العمري أحد قضاة المدينة المنورة والإحساء

270- محمد الماضي

271- محمد المزيد الغانم الحميد

272- محمد المنصور الغانم، وهم من آل حميد من آل أبو غنام من ذرية زهري بن جراح السبيعي.

273- محمد الهزاع

274- محمد بن الدجني، من العبيات من مطير[1].

275- محمد بن جردان

276- محمد بن جعيلان

277- محمد بن حمد الخريجي

278- محمد بن دخيل، والد تاجري الإبل سليمان وعبدالله .

279- محمد بن عبد المحسن الطريف

280- محمد بن عبدالله بن دريجان

281- محمد بن عثمان الحميد

282- محمد بن عثمان اللجة

283- محمد بن عقل

(1) هو الذي أخذ امتياز مهنة سوق القاع مكافأة له لهربه بعبدالله آل يحي من معركة بقعاء بعد هزيمة أهل القصيم التي قتل فيها والده يحي السليم عام 1257هـ، وقد أخذ هذه المهنة بعد أن قتل محمد هذا في المليدا ابنه عبيلان.

284- محمد بن ناصر بن ناصر بن راشد العماري ذكره (ابن عيسى في المجموع)

285- محمد بن نويصر

286- محمد رجس بن جعيلان

287- محمد عبدالله الزامل، يلقب والده عبدالله الروق، وقد ذكره (ابن عيسى في المجموع) باسم محمد بن روق

288- معيوف آل معيوف، من العفالق من قحطان[1].

289- منصور الصطفاء

290- منصور المحمد السعدي

291- مهنا آل تركي، من بني خالد

292- ناصر العماري.... والد التاجر المشهور في جدة محمد العماري

293- ناصر المصيريعي

294- ناصر بن جارالله الرشيد، وهو من آل رشيد أمراء عنيزة سابقًا

295- ناصر بن حمود العوهلي ذكره (ابن عيسى في المجموع)

296- ناصر بن عضيب العضيبي

297- ناصر بن ناصر بن عضيب بن ناصر بن الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيب، وقتل معه أخويه عثمان وصالح.

298- ناصرآل ضويحي، وقتل معه ابنه عياف

299- نسيب بن قنيبط

300- نهار بن ضيف‌الله بن رهيط، وقتل معه أخوه، ورثته زوجته الشاعرة نورة الهطلاني.

301- يحي محمد الصائغ

302- يوسف العبدان، قتل معه أخوه إبراهيم

303- يوسف المحمد الدبيان

(1) وهذا القتيل هو الذي رأى قبيل المعركة أن الدبا (أولاد الجراد) غشي أجسام أهل عنيزة.

304- يوسف المحمد المانع، أخ قاضي عنيزة الشيخ عبدالله المانع، وعم مدير المعارف الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع.

305- يوسف....(مجهول الاسم الأخير)، معروف براعي الزبير.

ثالثا: أسماء القتلى من بقية بلدان القصيم:

أ) قتلى الرس[1]:

1- عبدالعزيز بن خالد بن عبدالعزيز الرشيد (شعيل)[2]

2- محمد بن عبدالعزيز بن محمد الرشيد (رفّاع)

3- علي بن عبدالله الصويان آل زهير

4- محمد بن سليمان الدغيم

5- صالح المرطعاني

6- أخو هرسة من بادية الرس

ب) قتلى المذنب:

1- صالح بن محمد الخريدلي (أمير المذنب)

2- منصور آل غبوش

3- وقتل من أهل المذنب 35 رجلا[3]

ج) قتلى الخبراء[4]:

---

(1) وممن شاركوا في القتال (الأمير صالح بن عبدالعزيز بن رشيد الرشيد و الفارس المشهور ناصر بن خالد بن عبدالعزيز الرشيد، وعبدالله الحميدان المسعود التميمي، وعبدالعزيز الخليفة (الحسحوس)، وأبو حامد الفريدي) المصدر: إفادة خطية من الأستاذ سليمان بن عبدالله الرشيد والدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الرشيد. وقصاصة بخط اليد من المؤرخ عبدالله العقيل.

(2) وهو الذي قتل الفريخ حامل بيرق ابن رشيد في معركة القرعاء، وهرب بعد المعركة إلى البكيرية وهو جريح فقبضت عليه سرية لابن رشيد، وسلمه ابن رشيد لعبدالله الفريخ فقتله بوالده.

(3) نقله محمد السلامة، مصدر سابق، هامش، ص 203، عن الحسياني في كتابه صفحات مطوية من **تاريخ المذنب**، ص 63.

(4) (المصدر أحمد بن عبدالله النفيسة **كتاب الخبراء ورياض الخبراء**). وبعض المشاركين في القتال: صالح النقا ومحمد بن يوسف النفيسة وصالح بن علي النفيسة وعبدالله بن إبراهيم السويح (هلا)

1- عبدالله بن علي العويد (عجروش) أمير الخبراء

2- سليمان الجربوع (نقا)

3- محمد بن ثويني الثنيان (الحميدي)

4- ابن جمعة.

5- عدد من أفراد أسرة الخميس.

د) قتلى الأسياح[1]:

1- عبدالله الرعوجي

2- رعوجي بن زيد بن محمد الفهيد

3- راشد المطلق

هـ) قتلى التنومة:

سلطان بن منديل العطا الله.... قتل في طريق الهرب

و) قتلى عيون الجواء:

محمد بن إبراهيم بن محمد بن عجلان

ز) قتلى البكيرية:

1- عبدالله بن عبدالعزيز السديس (ابن عيسى المجموع)

2- ابن تركي، من أهل البكيرية، ولكنه مقيم بعنيزة (ذكره الشيخ عبدالله البسام من ضمن قتلى عنيزة)

ح) قتلى الهلالية:

عبدالله الدريبي (ابن عيسى المجموع)

---

(1) ومن الذين شاركوا في المعركة من أهل الاسياح (منديل بن علي بن محمد الفهيد (الأمير)، ومشاري بن منديل بن علي الفهيد، محمد بن عبدالعزيز الفهيد، ونايف بن فهد بن زيد الفهيد، صالح بن مرزوق العريض، وعنبر المرجان). المصدر: علي بن محمد الفهيد من كتابه **عين بن فهيد**، ص 202.

رابعًا: بعض أسماء القتلى من جيش حائل[1]:

1- مبارك حمد فهد الفريخ.... حامل بيرق ابن رشيد قتل في المواجهة الأولى في معركة القرعاء.

2- عقاب بن غازي.... وقيل كان رديفا لمبارك الفريخ على جمله.

3- علي بن إبراهيم بن موسى المجراد.

4- حمد الزهيري... وهو الذي قتل الأمير زامل أول المعركة ثم قتل هو بعد ذلك.

(1) لم أعثر إلا على أربعة أسماء فقط من قتلى جيش حائل، وذلك رغم كل ما بذلته من التقصي لجمع عدد أكبر من الأسماء، متحريًا ذلك بسؤال ملح ومكرر للأخوة الباحثين والمؤرخين من أهل حائل ولكن من دون جدوى، وذلك لأن عدد قتلى ذلك الجيش كانوا بالمئات، فهو عدد ضخم، فمن المستغرب على الأقل عدم حفظ أسماء القتلى من المشاهير مثلا.

الملحق (2)

نص تقرير (باللهجة العامية) كتبه الشيخ عبدالرحمن النقادان المري بخصوص الأحوال المضطربة في نجد. ومرفوع للسلطات العثمانية وقد كتب التقرير بتاريخ 8 رمضان 1308هـ، أي بعد كون المليدا بمدة تقارب الثلاثة أشهر.

(....وإذا ذاك كان عبدالله الفيصل مستقيم في الرياض وابن رشيد يده على القصيم لأن أهل القصيم ملتجين به وسكنت الأمور ثم بعد ذلك كانوا أولاد الشقي سعود ومن تبعهم من عشائر العجمان يتحركون حتى تجاسروا على عمهم عبدالله بالمكر حتى حبسوه حيث أنه صادق ومحسوب إلى الدولة ولم يساعد البوادي في الحركات مع أن الولاية بعد وفاة فيصل تحت يده حتى خرجوا عليه هؤلاء الأشقياء فحينئذ ضبطوه لئلا يخابر مرجعه الجناب العالي ظل الله في أرضه فأخفى بعض المخابرة القريبة (مع) ابن رشيد، ثم توجه ابن رشيد إلى الرياض لاستنقاذه من أيديهم فانهزم الأشقياء الذين هم أولاد سعود ومن تبعهم إلى الخرج ومن بعد استظهار عبدالله من أيديهم طلب من قريبه يغير هوى إلى الجبل[1]. وأمرا ابن رشيد أن يبقى في الرياض طارفة من الرشيد فأبقى ابن سبهان فلما أن أرادوا الذين هم أولاد سعود أعمال الحركات كرة أخرى أوقعهم في أعمالهم[2]، وبعد ذلك توجه عبدالله آل فيصل من الجبل إلى مسكنه الرياض فأراد الله قرب أجله وبعد ذلك عبدالرحمن أخي عبدالله صاحب الأعمال السابقة سوى حركة مع جملة أشقياء في نفس الرياض بحيث مسك ابن سبهان وقتل بعض أوادمه وأخذ أموالهم ودوابهم فحينئذ توجه ابن رشيد إلى الرياض واستخرج أوادمه فوقعوا[3] عليه فخلى سبيلهم وأمنحهم الاستنفاع بالرياض فقط ورجع مكانه فمازالوا يحركون بالفساد حتى حركوا أهل القصيم زامل راعي عنيزة وولد مهنا راعي بريدة فدافعهم ابن رشيد حرصا على السكون وحقن الدماء فأبوا

(1) يقصد هنا، أن ابن رشيد اقترح على صهره الإمام عبدالله الفيصل أن يذهب معه إلى حائل لكي (يغير هوا) أي يستجم.

(2) يشير إلى مقتلهم على يد سالم ابن سبهان في الخرج.

(3) يقصد أهل الرياض.

ذلك واستنصروا بالعجمان العائدين إلى اللواء، واتفق عبدالرحمن مع العجمان ومن تبعهم من البوادي وتوجهوا لمحاربة ابن رشيد فحين بلغ ابن رشيد الخبر باتفاقهم توجه إلى القصيم قبل وصول عبدالرحمن ومن معه من البوادي فخرجوا عليه أهل القصيم فواقعوه وقعتين ونصره الله وتولى بلادهم وأما عبدالرحمن ومن معه جاهم خبر الوقعة قبل وصولهم ففروا على أعقابهم من نجد وتوصلوا مع عبدالرحمن إلى قرب اللواء وقد سعى عبدالرحمن في الصلح بين عشائر العجمان وآل مرة ومن تبعهم لأنهم يسعون بالفساد على ممالك المحروسة من هذا اللواء، وأما ابن رشيد فهو منتسب إلى محسوبية الدولة وساعي في تأمين الطرق وقمع البوادي وفي هذه الأثناء مشى قائم مقام قطر ومعه غزية ناحر إلى جهة عبدالرحمن آل فيصل ومن معه من البوادي لتفريق شاشتهم وإبعادهم لأن تماديهم في أطراف اللواء بواسطة جمعيتهم يخشى من إحداثات الفساد وعند ورود قائم مقام المذكور إلى ناصية الرقيقة من بعدما هج عبدالرحمن ومن معه من البوادي فيما يظهر لمواجهة وكيل المتصرف فحين وصل الثقبة أهل النفاق شكوا عند الوكيل بأن بعض قوم قاسم ينهبون الرقيقة والحال أن أهل الرقيقة هم الذين تلقوا قاسم برمونه فحينئذ ظهرت العساكر وانكف قاسم في قول أهل البلد قاسم يريد الإفساد وفي قول قاسم كما أدرج في الأول هذا أصل مجيئه فإذا كان البعض من أهل المجالس لهم مداخلة مع عبدالرحمن فيحبون الحركات وقاسم معلوم أنه وحشي هذا حسب ما يظهر من الطرفين، أما الوكيل مجتهد في إصلاح العامة ونصح الملة' هذه أفكاره ومساعيه. هذه اخباريات طرفنا.

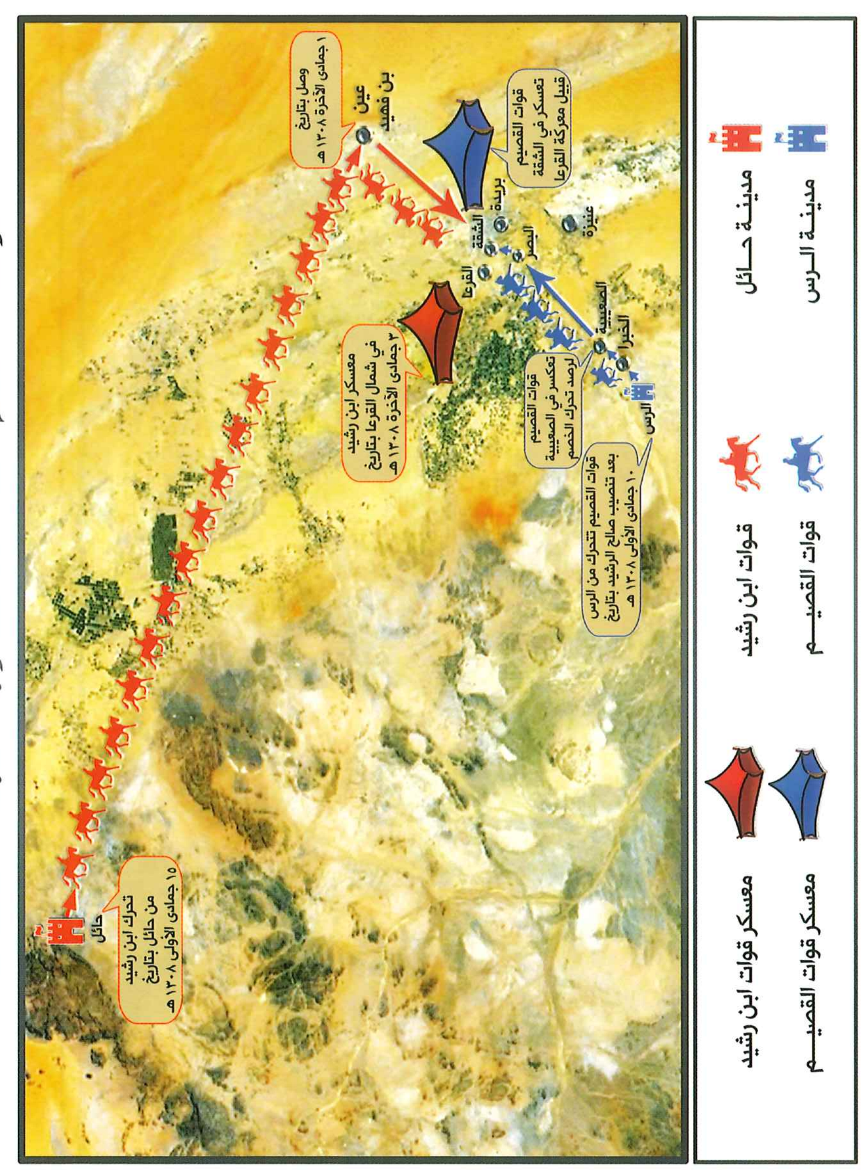
لأهل خلوص العبودية حررنا ذلك[1].

(1) تجد صورة لهذا التقرير عند الباحث حمد العنقري، مصدر سابق، ص229.

ملحق الخرائط



حركة القوات المتحاربة قبل القتال



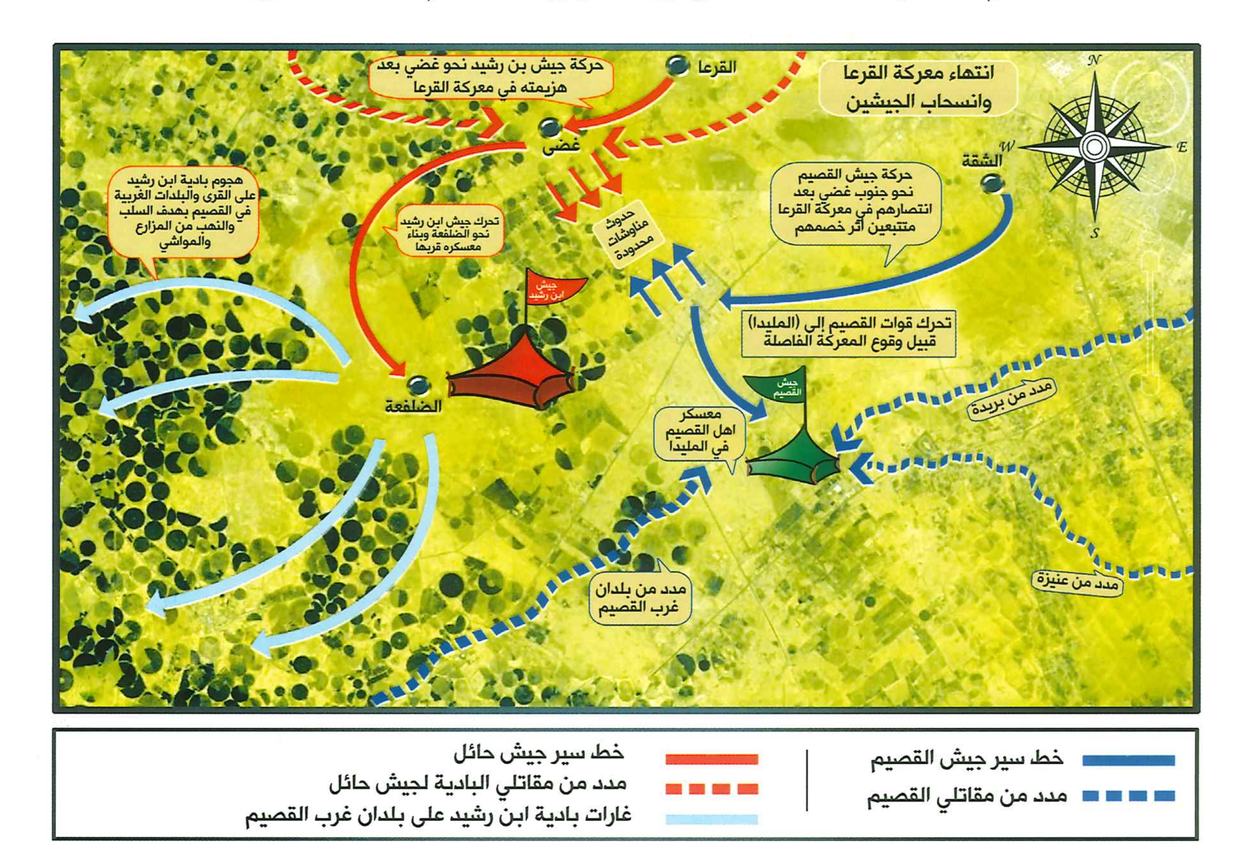
معركة القرعا

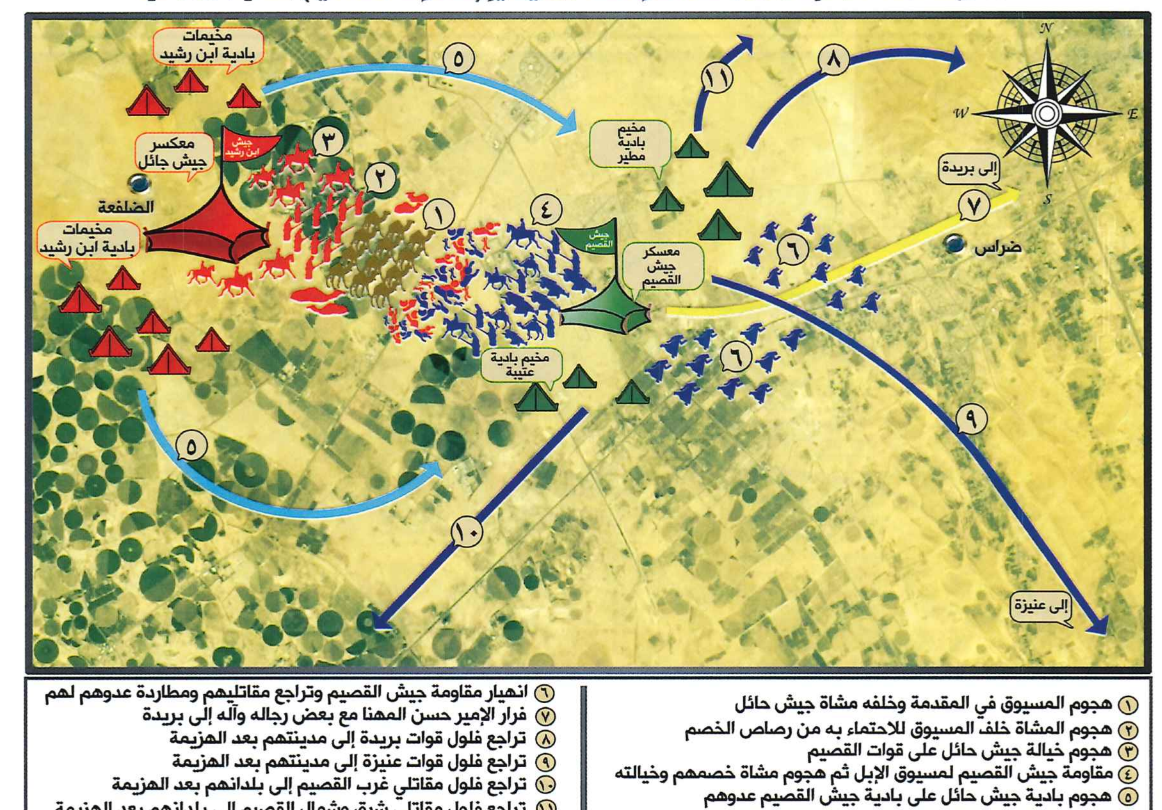
الاربعاء 3 جمادى الآخرة 1308هـ

عدد قتلى جيش القصيم 15 ٪ قتيل

عدد قتلى جيش ابن رشيد 85 ٪ قتيل

الوضع العسكري قبيل كون المليدا




كون المليدا
13/جمادى الآخرة 1308 هـ الموافق 21/يناير(كانون الثاني) عام 1891 م.
مخيمات بادية ابن رشيد
معكسر جيش حائل
جيش ابن رشيد
الضلفعة
مخيمات بادية ابن رشيد
مخيم بادية مطير
جيش القصيم
معسكر جيش القصيم
مخيم بادية عتيبة
إلى بريدة
ضراس
إلى عنيزة
N
W
E
S
١ هجوم المسيوق في المقدمة وخلفه مشاة جيش حائل
٢ هجوم المشاة خلف المسيوق للاحتماء به من رصاص الخصم
٣ هجوم خيالة جيش حائل على قوات القصيم
٤ مقاومة جيش القصيم لمسيوق الإبل ثم هجوم مشاة خصمهم وخيالته
٥ هجوم بادية جيش حائل على بادية جيش القصيم عدوهم
٦ انهيار مقاومة جيش القصيم وتراجع مقاتليهم ومطاردة عدوهم لهم
٧ فرار الإمير حسن المهنا مع بعض رجاله وآله إلى بريدة
٨ تراجع فلول قوات بريدة إلى مدينتهم بعد الهزيمة
٩ تراجع فلول قوات عنيزة إلى مدينتهم بعد الهزيمة
١٠ تراجع فلول مقاتلي غرب القصيم إلى بلدانهم بعد الهزيمة
١١ تراجع فلول مقاتلي شرق وشمال القصيم إلى بلدانهم بعد الهزيمة

ملحق الوثائق

وثائق أهلية حررت في نفس العام الذي وقع فيه كون المليدا

■ مكاتبة دين للشيخ محمد بن سليمان العمري الذي لم يدرك أجل دينه الذي يحل في رجب عام ١٣٠٨هـ ، حيث قتل في المليدا قبل أيام من استحقاق دينه .

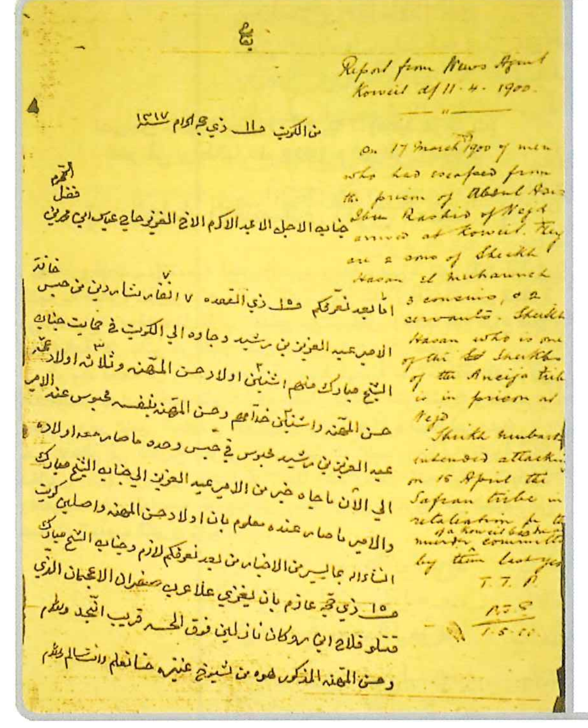
المصدر: الشيخ محمد العبودي
كتاب معجم أسر بريدة (١١٩/٢٢)

المصدر: الشيخ محمد العبودي
كتاب معجم أسر بريدة(٦٣/٢٢)

■ سند قبض استلام زوجة (من أهل بريدة) لنصيبها من تركة زوجها الذي ربما أنه كان من قتلى كون المليدا، نظرا إلى أن تاريخ الوثيقة (١٢ شوال ١٣٠٨هـ) قد يساعد على هذا الإحتمال، حيث يأتي بعد أربعة أشهر من وقوع المعركة .

■ وثيقة مداينة بمقدار ٣٠٠ صاع . وكتبت في بريدة بتاريخ : (٥ جماد أول ١٣٠٨هـ) قبيل كون المليدا ويحل الدين بعدها في شهر رمضان من نفس العام .

المصدر: الشيخ محمد العبودي ،
كتاب معجم أسر بريدة (٢٣ / ١٣٠)



Report from News Agent
Koweit d/ 11-4-1900.

On 17 March 1900 7 men who had escaped from the prison of Abdul Aziz Ibn Rashid of Nejd arrived at Koweit. They are 2 sons of Shaikh Hasan el Muhanna, 3 cousins, & 2 servants. Shaikh Hasan who is one of the [illegible] Shaikhs of the Aneiza tribe is in prison at Nejd.

Shaikh Mubarak intended attacking on 15 April the Safran tribe in retaliation for the murder of a Koweit bedouin committed by them last year.

T. T. R.

R. S.
1-5-00.

بعج

من الكويت ١١ ذي حج الحرام ١٣١٧

جنابه الاجل الامجد الاكرم الاخ الافخم حاج عباس ابن محمد

اما بعد نعرفكم في ٧ ذي القعده ٧ انفار شاردين من حبس الامير عبد العزيز بن رشيد وجاوه الى الكويت في حمايت جناب الشيخ مبارك منهم اثنين اولاد حسن المهنه وثلاثه اولاد عمه حسن المهنه واثنين خدامهم وحسن المهنه بنفسه محبوس عند الامير عبد العزيز بن رشيد محبوس في حبس وحده ما صار معه اولاده الى الان ما جاه خبر من الامير عبد العزيز الى جنابه الشيخ مبارك والامير ما صار عنده معلوم بان اولاد حسن المهنه واصلين كويت ان شاء الله [illegible] من الاخبار من بعد نعرفكم لازم وجنابه الشيخ مبارك في ١٥ ذي حجة عازم بان يغزي على عرب صفران العجمان الذي قتلو فلاح [illegible] كان نازلين فوق الحسه قريب النجد وسلم وحسن المهنه المذكور هو من شيوخ عنيزه ما نعلم وانت سالم والسلام

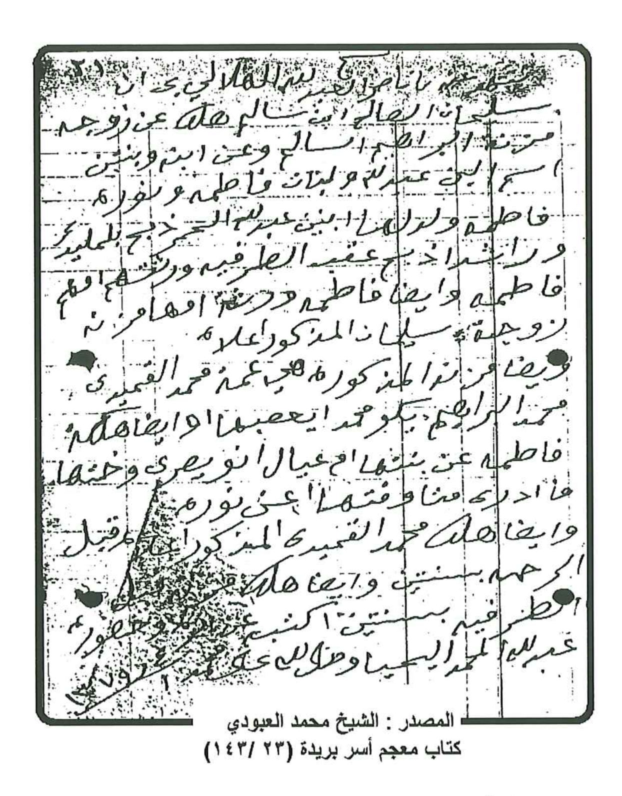
إحدى رسائل علي بن غلوم رضا الوكيل الإخباري لبريطانيا بالكويت .

بتاريخ :
١١ ذي الحجة ١٣١٧هـ .
يتحدث فيها عن هروب آل مهنا المحبوسين في حائل، ووصولهم إلى الكويت، ويشير إلى أن الأمير حسن المهنا لم يكن معهم بسبب أنه في حبس انفرادي.

المصدر: أخبار الكويت رسائل علي بن غلوم رضا الوكيل الإخباري لبريطانيا بالكويت / تحرير عبدالله الغنيم ص ١٥٠

المصدر: الشيخ محمد العبودي من كتابه معجم أسر بريدة (٢١ / ٤١٩)

■ رسالة من الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود أمير الرياض إلى الأمير محمد بن رشيد بتاريخ ١٣٠٥هـ ، وفي آخرها يطلب منه أن يبلغ سلامه (للإمام) أي أخوه عبدالله الفيصل، الذي نقله ابن رشيد معه لحائل وفي هذا دليل على أن الإمام عبدالرحمن لم يذهب مع أخيه الإمام عبدالله لحائل أول الأمر بل لحق به فيما بعد .


[illegible] عبدالله الهلالي [illegible]
سليمان الصالح ابن سالم هلك عن زوجه
مزنة ابراهيم السالم وعن ابنه وبنتين
اسم ابنه عبدالله والبنات فاطمه ونوره
فاطمه ولدها ابن عبدالله الحمر ذبح بلمليد
وراشد اخيه عقيب الطرفيه [illegible]
فاطمه وايضا فاطمه [illegible] امها مزنه
زوجة سليمان المذكور اعلاه
وايضا مزنه المذكوره [illegible] محمد القميري
محمد [illegible] يكو محمد ايعصبها وايضا هلكت
فاطمه عن بنتها ام عيال [illegible] وخيتها
[illegible] عن نوره
وايضا هلك محمد القميري المذكور [illegible] قبل
[illegible] بسنتين وايضا هلك [illegible]
الطرفيه بسنتين [illegible]
عبدالله [illegible] وصلى الله على محمد [illegible]

المصدر : الشيخ محمد العبودي
كتاب معجم أسر بريدة (٢٣ /١٤٣)

■ وثيقة توزيع ميراث كتبت بتاريخ عام ١٣٧٩هـ ،

والشاهد منها أنه ذكر فيها أحد المورثين ونصت الوثيقة أنه مقتول في كون المليدا ، حيث جاء فى السطر الرابع من الوثيقة (عبدالله الحمر ذبح بلمليدى) .

بسم الله الرحمن الرحيم بعد حمد الله والثناء على رسوله
صلى الله عليه وسلم يقول الفقير إلى الله الشيخ محمد الأنصاري
يعلم من يراه بأن الشيخ صالح بن عثمان القاضي نزيل عنيزة
من بلدان الشرق قرأ علي في مكة المشرفة سنة ألف
وثلاثمائة وثمان وستين هجرة سيد المرسلين أمهات الحديث
الست صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي
وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجه
من أوله إلى آخره قراءة رواية ودراية
باجتهاد من القارئ مع المقرئ وبحث فيما يهم لتثبت

■ إجازة علمية حصل عليها الشيخ صالح بن عثمان القاضي أثناء طلبه العلم في مكة المكرمة . وكان قد قدم إليها من مصر حيث كان يطلب العلم في الأزهر بعد سماع أنباء عن مقتل أخويه في كون المليدا فلما وصل الحجاز علم بسلامة أخويه ، فمكث بمكة شرفها الله يطلب العلم ، حتى نال هذه الإجازة في الحديث .

■ وثيقتان تخصان الأمير حسن المهنا وأسرته
كتبتا عام ١٣٠٧هـ أي قبل سنة من كون المليدا :
(أعلاه) وصية الأمير حسن المهنا .
(يسار) تقسيم ميراث الأمير مهنا الصالح بين ابنه حسن وأخوته.

المصدر: الشيخ محمد العبودي من كتابه معجم أسر بريدة (٢١ /٣٨١ و ٤٢٨)

جزء من تقرير مرسل من الشيخ مقبل بن عبدالرحمن الذكير إلى المعتمد البريطاني في الخليج بتاريخ ٥ ربيع أول ١٣٠٦هـ .

واما اهل القصيم هو اقوى منهم مال واهل القصيم اقوى منه رجال واحتمل اذا اتفقوا الشيخين راعي بريده الذي هو
حسن المهنا وراعي عنيزه الذي هو زامل بن عبدالله وجميع اهل القصيم تحت طوعهم بغير شي ومن مدة ثلاث سنين
توحدوا راعي بريده وراعي عنيزه المذكورين وتصافت خواطرهم وصار حالهم واحد فاذا كانوا متفقين فهم اقوى من محمد بن رشيد
المذكور نجد الحاضر ومن بريده الى عنيزه مسافة خمس ساعات

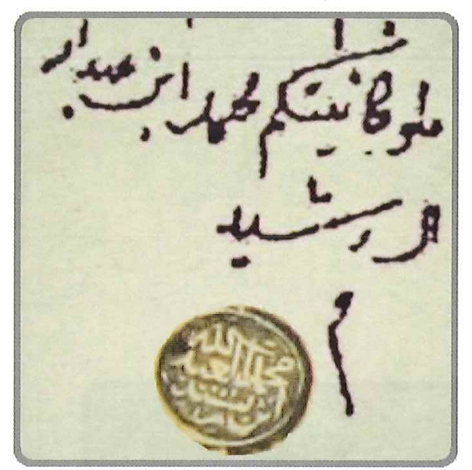
(... وأما أهل القصيم هو أقوى منهم مال وهم أقوى منه رجال واحتمل إذا اتفقوا الشيخين راعي بريدة الذي هو حسن المهنا وراعي عنيزة الذي هو زامل بن عبدالله وجميع أهل القصيم تحت طوعهم بغير شيء ومن مدة ثلاث سنين توحدوا راعي بريدة وراعي عنيزة المذكورين وتصافت خواطرهم وصار حالهم واحد فإذا كانوا متفقين فهم أقوى من محمد بن رشيد المذكور (أمير) نجد الحاضر. ومن بريدة إلى عنيزة مسافة خمس ساعات)



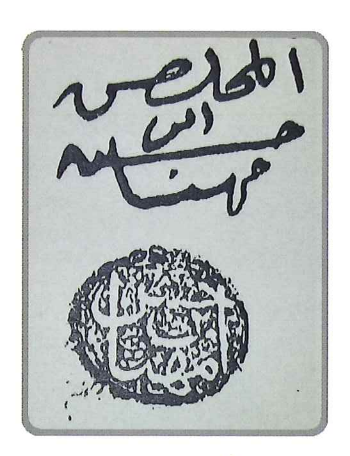
دائرۀ امور داخلیه

وثيقة عثمانية تتحدث عن مقتل ابراهيم بن مهنا
وأعمال ابن رشيد في الرياض بعد معركة حريملاء

نماذج
لأختام وتوقيعات
زعماء كون المليدا



ختم الأمير محمد بن رشيد
أمير حائل ونجد



ختم الأمير حسن المهنا
أمير بريدة



ختم الأمير زامل السليم أمير عنيزة

■ نص المؤرخ إبراهيم بن عيسى في تاريخه المخطوط المسمى (المجموع) عن كون المليدا وأسماء بعض القتلى من أهل القصيم . وفي هذا النص يقدم ابن عيسى إحصائية لطيفة لعدد من قتل من الأخوة في المعركة، وقد ذكر أنهم بلغوا أربعين، ثم أخذ في تفصيل بلدانهم .



كتابات وزخرفة نباتية في مجلس القهوة في منزل (حمود السيف) في مدينة حائل، وكاتبه هو (عمر عبدالعزيز) في عام ١٣٠٨هـ الذي وقع فيه كون المليدا .

النص العلوي :

[لا إله إلا الله محمد رسول الله نقشة سنة ١٣٠٨]

النص السفلي :

الآيتان الكريمتان 5 و 6 من سورة يس.

خبر صحفي أجنبي عن كون المليدا

نيويورك تايمز

بتاريخ 3 أكتوبر عام 1909م

■ قبل ١٨ عشر عاما، عرب شمر بقيادة الأمير محمد ابن رشيد دخلوا معركة ضد قبائل عنيزة وبريدة والرياض. تقريبا أكثر من 60 ألف مقاتل حيث اشتبكوا معهم، بضعف العدد الذي دخلت فيه أمريكا في حربها ضد المكسيك، وحتى الآن العالم كله لم يكد يسمع بهذا النزاع .

The New York Times

3 October 1909

Only eighteen years ago the Shammar Arabs, under the leadership of Emir Mohammed Ibn Raschid, fought a battle with the tribes of Aneiza, Bereida and Riad, in which more than 60,000 warriors were engaged—twice as many as the whole American army in the war with Mexico—and yet the world at large scarcely heard of the conflict.

هذا الخبر نشر في صحيفة (نيويورك تايمز) بعد 18 سنة من وقوع كون المليدا ، وغرد به حساب (معلومات حائل) بالتويتر .

ولكن الخبر بالغ في العدد الإجمالي للقوات المتحاربة حيث ذكر أن عددها بلغ 60000 وقد بينا في ثنايا البحث العدد التقريبي للجيوش المتحاربة في الجانبين، ويبدو أن هذا العدد الذي ذكرته الصحيفة مستوحى من مدونات الرحالة الروسي البارون نولدة ، أو من غيره من المؤلفين الغربيين.



الأمير محمد بن عبدالله آل رشيد أمير حائل

رسمة للأمير محمد بن رشيد (مطورة بالفوتوشوب من أصلها بالاسكتش) التي رسمها الرحالة الألماني أوتينج أثناء زيارته لحائل عام 1301 هـ الموافق 1883 م .


الأمير محمد العبدالله الرشيد في إسطبل خيله برفقة الرحالة البريطانية الليدي آن بلنت
١- الأمير محمد العبدالله الرشيد
٢- البريطانية الليدي آن بلنت
٣- الأمير حمود العبيد الرشيد
٤- الأمير عبدالعزيز المتعب الرشيد
٥- مسئول الإسطبل
٦- مملوك مرافق
1
2
3
4
5
6
خاصة بكتاب كون المليدا



شاهد قبر الأمير محمد بن عبدالله الرشيد (رحمه الله تعالى)
الذي توفي في رجب عام ١٣١٥هـ .

المصدر / المغرد أحمد العريفي



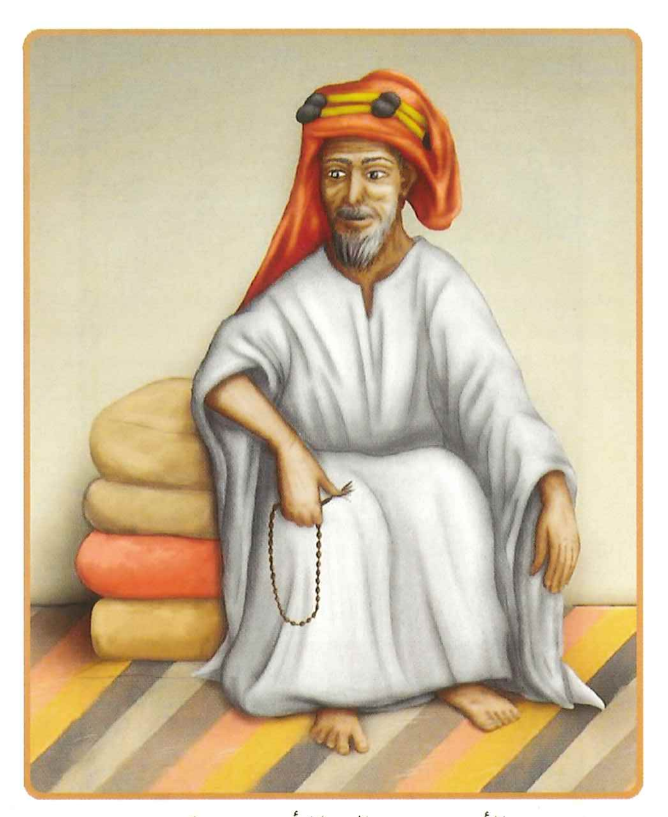
■ بندقية الأمير محمد بن رشيد ربما يكون استخدمها في كون المليدا .



الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود
رسمة ملونة مستوحاة من صورته الشمسية الوحيدة
الملتقطة له في الكويت عام١٣٢٠/ ١٩٠٢

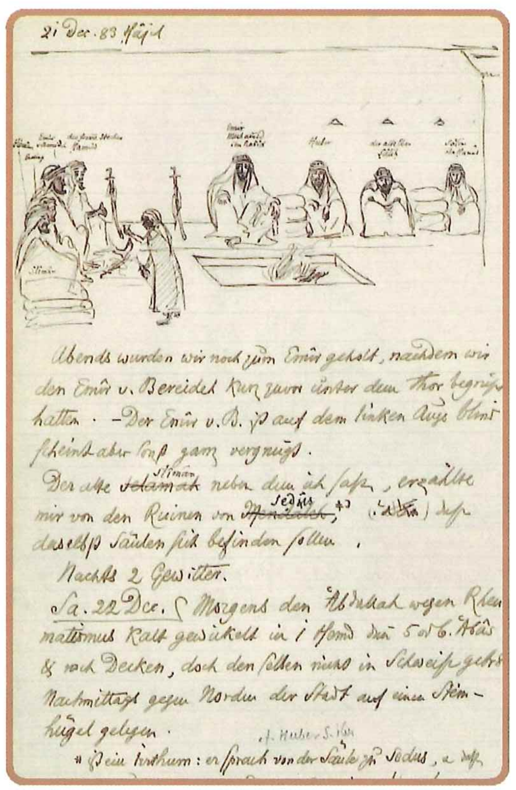


■ (مسجد ابن خاطر) في جزيرة المحرق في البحرين .
وإلى جواره بيت الشيخ (محمد بن حسن آل خاطر) الذي صلى في الإمام عبدالرحمن وابنه (الملك)عبدالعزيز صلاة الفجر أول قدومهما للبحرين بعد كون المليدا مباشرة .



الأمير حسن المهنا أمير بريدة

رسمة معالجة بالفوتوشوب من أصلها لدى الرحالة اوتينج الذي رسم حسن المهنا أثناء اجتماعهما بحائل في ضيافة ابن رشيد عام 1301 هـ الموافق 1883 م .



21 Dec. 83 Hâjil

Abends wurden wir noch zum Emîr geholt, nachdem wir den Emîr v. Bereideh kurz zuvor unter dem Thor begrüßt hatten. – Der Emîr v. B. ist auf dem linken Auge blind scheint aber sonst ganz vergnügt.

Der alte Slîmân neben dem ich saß, erzählte mir von den Ruinen von Sedûs,* (...) daß daselbst Säulen sich befinden sollen.

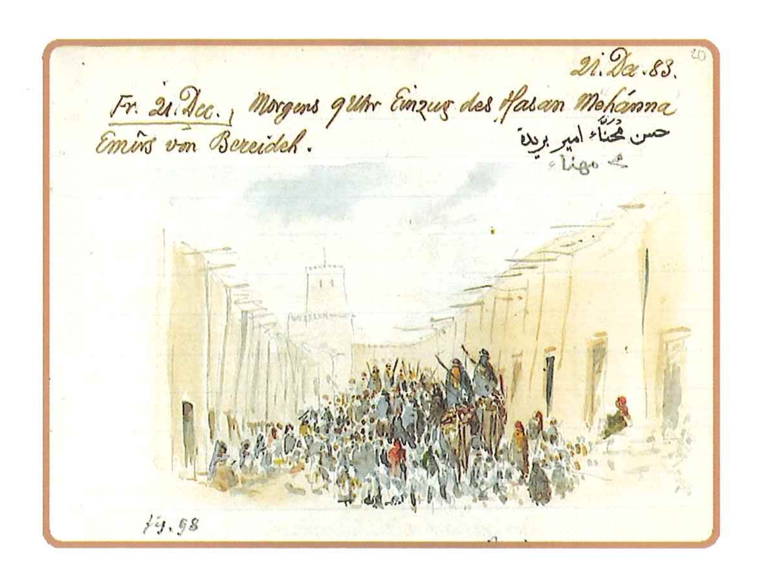
Nachts 2 Gewitter.

Sa. 22 Dec. Morgens den Abdullah wegen Rheumatismus kalt gewickelt in 1 Hemd, den 5 od 6. Abâs & noch Decken, doch denselben nicht in Schweiß gebr. Nachmittags gegen Norden der Stadt auf einen Steinhügel gelegen.

cf. Huber S. 422

* Kein Irrthum: er sprach von der Säule zu Sedus, u. daß

■ إحدى يوميات الرحالة الألماني (يوليوس أوتنيج) بخط يده الذي زار حائل في عام ١٨٨٣ م الموافق ١٣٠١هـ . وتبدو أعلاه رسمة اسكتش من وضع أوتينج لمجلس ابن رشيد في الشتاء وقد حف به كبار رجال دولته بحضور حليفه الأمير حسن المهنا في عز حلفه معه .



■ رسمة بالألوان المائية تسجل لحظة دخول الأمير حسن المهنا وحاشيته لمدينة حائل متجها لقصر برزان وافدا على حليفه ابن رشيد، ضمن رسومات الرحالة الألماني (يوليوس أوتنيج) الذي زار حائل في عام ١٨٨٣ م الموافق ١٣٠١هـ .



الأمير زامل بن عبدالله السليم أمير عنيزة

رسمة تقريبية تم تجميع ملامحها باقتباس أوصاف الأمير زامل وفق وصف الرحالة الأجانب الذين التقوا به .



■ رسمة بالألوان المائية للشاعر حمود العبيد الرشيد ابن عم الأمير محمد العبدالله الرشيد .
ضمن رسومات الرحالة الألماني (يوليوس أوتنيج)
الذي زار حائل في عام ١٨٨٣ م الموافق ١٣٠١هـ.



التقطت الصورة في المدينة النبوية عام ١٣٢٥هـ حيث كان آل سبهان لاجئين سياسياً فيها بسبب نزاع سياسي في حائل مع خصومهم

التقط الصورة مصورة الحملة المصرية واسمه (محمد علي سعودي)

المصدر كتاب مرآة الحرمين....لابراهيم رفعت

The Wichita Daily Eagle.

WICHITA KANSAS, SATURDAY MORNING, JULY 25, 1891.

ABDUL HAMID II.

The revolted districts of Arabia include the Sinaitic peninsula, the Hedjaz, or land

■ صورة السلطان العثماني (عبدالحميد الثاني) كما نشرت في صحيفة النسر الأمريكية الصادرة بتاريخ ٢٥ يوليو ١٨٩١م الموافق ١٣٠٨هـ .



■ أطلال بلدة الضلفعة في القصيم التي عسكر بالقرب منها ابن رشيد بقواته قبيل كون المليدا .

قائمة بالمصادر والمراجع

أ) المخطوطات:

- إبراهيم بن صالح ابن عيسى، **عقد الدرر.**
- إبراهيم بن محمد القاضي، **تاريخ نجد.**
- الداود، مجموعة الداود النبطية.
- عبدالرحمن بن ناصر الشبانة، **عنوان السعد والمجد في ما استظرف من أخبار الحجاز ونجد.**
- عبدالله بن محمد البسام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق.**
- محمد بن علي العبيّد، **النجم اللامع للنوادر جامع.**
- محمد بن عبدالرحمن بن يحي، **لباب الأفكار في غرائب الأشعار.**
- مقبل بن عبدالعزيز الذكير، **تاريخ الذكير** (مختلف في عنوانه).
- عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن زامل السليم، **نبذة تاريخية مخطوطة.**

ب) الوثائق العربية والعثمانية

- برقية عثمانية مشفرة واردة من ولاية سوريا بتاريخ 12 جمادى الأولى 1308هـ.
- برقية عثمانية من ولاية الحجاز إلى الصدر الأعظم بتاريخ 7 ربيع الآخر 1309هـ.
- برقية عثمانية من ولاية الحجاز، حررها القائد الأمني، بتاريخ 15 رمضان عام 1310هـ.
- تقرير باللغة العربية من مقبل بن عبدالرحمن الذكير، كتبه في 5 ربيع أول 1306هـ. رفعه إلى المعتمد البريطاني في الخليج.
- تقرير عثماني من دائرة الأمن بالمدينة المنورة ومرفوع إلى ولاية الحجاز بتاريخ 27 جمادى الآخرة 1308هـ.

- تقرير عثماني مرفوع من إسماعيل باشا والي الحجاز إلى الصدر الأعظم بتاريخ 3 رمضان 1308
- تقرير عثماني مرفوع من إسماعيل باشا والي الحجاز إلى المابين العثماني بتاريخ 16رجب 1308هـ
- تقرير عثماني مفصل أعدته لجنة خاصة عن علاقة ابن رشيد بالأجانب وحروبه مع خصومه النجديين، الأرشيف العثماني يلدز متنوع 82 48 بتاريخ21 فبراير1891م الموافق 12 رجب 1308هـ.
- تقرير عثماني من عبدالله باشا الثنيان، بتاريخ 19 رمضان 1308هـ. وهو مرفوع للسلطان العثماني عن أحداث القتال بين ابن رشيد وأهل القصيم.
- تقرير عثماني من لجنة خاصة بتاريخ 15 شعبان 1308هـ.
- تقرير عثماني من محمد أمين رفعه للسلطات العثمانية في العراق بعد 20 شعبان 1308هـ. عن القتال في المليدا، وقد استقى معلوماته من بدوي شمري حضر القتال. ومن محمد بن موينع السبيعي.
- تقرير عثماني ولاية البصرة تم رفعه في عام 1308هـ بدون بيان اليوم والشهر.
- رسالة باللغة العربية (العامية) بعثها حسن المهنا إلى رئيس بلدية بغداد الثالثة، مرسلة من بريدة إلى بغداد بتاريخ 17 ربيع الآخر 1308هـ.
- رسالة (باللهجة العامية) من عبدالرحمن النقادان المري بخصوص الأحوال في نجد مرفوعة للسلطات العثمانية بتاريخ 8 رمضان 1308هـ.
- رسالة عثمانية سرية مشفرة مرفوعة من والي البصرة إلى والي بغداد في أول عام 1308 هـ بخصوص الأحوال في نجد.
- رسالة عثمانية لا تحمل تاريخًا ولكن فحواها يدل على أنها كتبت أواخر عام 1308هـ.
- رسالة عثمانية مرفوعة من رؤوف باشا إلى الصدر الأعظم بتاريخ 20 رجب 1305هـ.

- رسالة عثمانية مرفوعة من والي الحجاز إسماعيل باشا إلى رئاسة ديوان السلطان عبدالحميد بإستانبول بتاريخ 16 رجب 1308هـ.
- رسالة عثمانية من ابن رشيد إلى والي مكة العثماني، غير مؤرخة ولكن سياقها يوحي بأنه أرسلت في أواخر عام 1308.
- محضر عثماني، مجلس ولاية الحجاز، بتاريخ 3 رمضان 1308هـ.
- محضر عثماني، مجلس ولاية المدينة، ومرفوع إلى السلطان عبدالحميد الثاني في إستانبول بتاريخ 1 شعبان 1308هـ
- وثيقة عثمانية بتاريخ 19 رمضان 1308هـ.
- وثيقة عثمانية بتاريخ 25 رجب 1308هـ.
- وثيقة عثمانية بتاريخ 15رمضان 1310هـ.
- وثيقة عثمانية بتاريخ 23 شوال 1308هـ.
- وثيقة عثمانية بتاريخ 3 رجب 1308هـ
- وثيقة عثمانية بتاريخ 5 رمضان 1302 هـ.
- وثيقة عثمانية بتاريخ 6 شعبان 1308 هـ
- وثيقة عثمانية بتاريخ 7 ربيع الآخر1306هـ.
- وثيقة عثمانية بتاريخ 16 ربيع الثاني 1309هـ. دارة الملك عبدالعزيز (رقم18000).
- وثيقة عثمانية بتاريخ 9 ذي الحجة 1309هـ.
- وثيقة عثمانية صادرة في عام 1308هـ من دون شهر أو يوم.
- وثيقة عثمانية صادرة من مجلس الخصوص العثماني بتاريخ 16 شعبان 1305هـ.
- وثيقة عثمانية صدرت بتاريخ 15شعبان 1308هـ
- وثيقة عثمانية صدرت بتاريخ 8 2 1293هـ
- وثيقة عثمانية عبارة عن تقرير من دائرة الأمن بالمدينة إلى ولاية الحجاز صادر بتاريخ 27 جمادى الآخرة 1308هـ.

- وثيقة عثمانية مؤرخة في 29 رجب 1316هـ
- وثيقة عثمانية مؤرخة في 3 رمضان 1308، أشارت إلى أن مجلس ولاية الحجاز وجه رسائل للخصماء لكف الحرب والقتال.

ج) البحوث غير المنشورة:

- حمد الحماد العنقري، **حكم محمد العبدالله بن رشيد**، رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة الملك سعود، 1425هـ.
- خالد عبدالله الخاطر، **أبا المساجد، الشيخ محمد بن بن خاطر، مقتطفات من سيرته وأسرته**، البحرين، بحث غير منشور.
- سطام غانم الحربي، **الدور السياسي للإمام عبدالرحمن الفيصل 1288 - 1320هـ**، الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة الملك سعود، 1426هـ.
- سعود تركي التركي، **مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود للمؤرخ مقبل الذكير**، جدة، رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة الملك عبدالعزيز، 1415هـ.
- سعيد محمد بن مفرح، **سياسة الدولة العثمانية تجاه الملك عبدالعزيز في ضوء المصادر العثمانية**، الرياض، رسالة دكتوراه غير منشورة من جامعة الملك سعود، 1427هـ.
- محمد عبدالرحمن السلامة، **مواقف أهل القصيم من المواجهة بين آل سعود وآل رشيد(1289 -1340هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، 1431هـ.

د) الكتب المطبوعة:

- إبراهيم صالح بن عيسى، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن 13 وأول القرن 14**، الرياض، المطابع الوطنية الحديثة.
- إبراهيم صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، ط1، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1386هـ.
- إبراهيم صالح بن عيسى، **تاريخ ابن عيسى** (تحقيق أحمد عبدالعزيز البسام)، نسخة مصورة.

- إبراهيم عبيد آل عبد المحسن، **تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، ط1، الرياض، مطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد.
- إبراهيم محمد القاضي، **تاريخه** (ضمن خزانة التواريخ النجدية) **الجزء الرابع**، ط1.
- إبراهيم محمد بن ضويان، **تاريخ ابن ضويان**، ط1، الرياض، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع 1416هـ.
- محمد عمر أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، **مسائل في تاريخ الجزيرة العربية**، ط1، الرياض، مؤسسة دار الأصالة، 1413هـ 1993م.
- أحمد عبدالعزيز البسام، **قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للمؤرخ والنسابة إبراهيم بن عيسى**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1427هـ.
- أحمد عبدالله النفيسة، **الخبراء ورياض الخبراء**، 1427هـ.
- أحمد فهد العريفي، **مقامات حائلية**، الرياض، 1428هـ.
- أدوارد نولده، **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر**، ط1، المعهد العربي للدراسات الدولية، 1997م.
- أمين الريحاني، **ملوك العرب**، ط8، بيروت، دار الجيل، 1987م.
- أمين الريحاني، **تاريخ نجد وملحقاته**، ط3، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر 1964م.
- بولس سلامة، **ملحمة عيد الرياض**، ط3، بيروت، مطابع بيبلوس الحديثة.
- تركي إبراهيم القهيدان، **القصيم آثار وحضارة**، ط1، بريدة، مكتبة الرشد، 1423هـ.
- تشارلز داوتي، **ترحال في صحراء الجزيرة العربية**، ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 2005م.
- ج.ج. لوريمر، **دليل الخليج**، ط1، الدوحة، الديوان الأميري بقطر.
- جبار يحيى عبيد، **التاريخ السياسي لإمارة آل رشيد**، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1424هـ.
- جبران شامية، **آل سعود ماضيهم ومستقبلهم**،ط2، لندن، 1989م.

- حسان إبراهيم الرديعان، **منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثارمن عاش من أهل العلم في حائل**، ط1، مكتبة فهد العريفي بحائل، 1430هـ 2009م.
- حسين حسني، **مذكرات ضابط عثماني في نجد** (الأوضاع العامة في نجد)، ط1، بيروت، دار كتب، 2003م.
- خالد سليمان علي الخويطر، **كون الصريف**، ط1، بيروت، دار جداول، 2011م.
- خليف صغير الشمري، **المستودع والمستحضرفي أسباب النزاع بين مبارك الصباح ويوسف الإبراهيم**، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 1427هـ 2008م.
- خير الدين الزركلي، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1985م.
- دارة الملك عبد العزيز، **موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبد العزيز.
- داكوبرت فون ميكوش، **(الملك) عبدالعزيز**، ترجمة أمين رويحة.
- دلال مخلد الحربي، **نساء شهيرات من نجد**، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ.
- زكريا قورشون، ا**لعثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (1745-1915م)**، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2005م 1425هـ.
- زكريا قورشون، **سواحل نجد (الإحساء) في الأرشيف العثماني**، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1426هـ 2005م.
- سعد عبد الله الجنيدل، **معجم التراث - السلاح**، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1417هـ.
- سعود بن هذلول، **تاريخ ملوك آل سعود**، 1379هـ.
- سليمان حمد الهطلاني، **شعراء عنيزة الشعبيون (الجزء الثالث)**، ط1، عنيزة، 1415هـ.
- سليمان صالح الدخيل، **القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد**، الرياض، دار اليمامة، 1386هـ .

- سليمان صالح الدخيل، **البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم**، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1424هـ.
- سهيل صابان، **الأوسمة العثمانية والحاصلون عليها من الجزيرة العربية**، ط1، الرياض، مركز حمد الجاسر الثقافي، 1328هـ 2007م.
- سهيل صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1425هـ.
- سهيل صابان، **من تاريخ الجزيرة العربية الحديث بحوث ودراسات من الأرشيف العثماني**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1429هـ 2008م.
- شارل هوبير، **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878 - 1828م**، ط1، بيروت، كتب، 2003م.
- صالح سليمان العمري، **علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم**، ط3، 1431هـ.
- صالح سليمان الوشمي، **الجواء**، ط1، الرياض، إصدار الرعاية الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1404هـ.
- ضاري فهيد الرشيد، **نبذة تاريخية عن نجد**، الرياض، دار اليمامة للنشر والبحث والترجمة.
- طلال خالد الطريفي، **العلاقات السعودية البحرينية في عهد الملك عبدالعزيز (1319-1373)**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1430هـ.
- عبد الرزاق المسعود، **هذه بلادنا الزلفي**، ط2، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1408هـ.
- عبد العزيز الرشيد، **تاريخ الكويت**، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- عبد العزيز عبد الله الخويطر، **وسم على أديم الزمن**، ط1، الرياض، مطبعة سفير، 1426هـ.
- عبد العزيز محمد القاضي، **قصيدة العنيزية**، بغداد، مطبعة الصباح، 1367هـ 1947م.
- عبد العزيز محمد المنصور، **التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين 1868 - 1916م**، ط2، الكويت، ذات السلاسل، 1400هـ.

- عبد الله المبرز - حمد الوهيبي، **تاريخ البلدان النجدية في المصادر التاريخية**، ط1، بيروت، دار الفيصل الثقافية، 1429هـ.
- عبد الله عبدالرحمن البسام، **تاريخه ضمن خزانة التواريخ النجدية الجزء الخامس**، ط1، 1419هـ.
- عبد الله محمد البسام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، ط1، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1434هـ.
- عبدالرحمن زيد السويداء، **منطقة حائل عبر التاريخ**، ط1، الرياض، دار السويداء للنشر التوزيع، 1430هـ.
- عبدالرحمن سليمان الرويشد، **تاريخ الراية** ، ط1، الرياض، دار الشبل للنشر والطباعة والتوزيع، 1428هـ 2007م.
- عبدالرحمن صالح البسام، تاريخه ضمن خزانة التواريخ النجدية الجزء الخامس، ط1، 1419هـ.
- عبدالعزيز سعود الفرهود (محقق)، **أوراق من تاريخ نجد**، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرين، 1429هـ.
- عبدالفتاح أبوعلية، **دراسة حول المخطوط التركي (حجاز سياحتنامه سى)**، الرياض، دار المريخ، 1403هـ.
- عبدالله العقيل، **الرس عبر التاريخ**، ط1، 1425هـ.
- عبدالله جون فيلبي، **الذكرى العربية الذهبية**، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1953م.
- عبدالله جون فيلبي، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية**، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1418هـ 1997م.
- عبدالله جون فيلبي، **العربية السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء**، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1422هـ.
- عبدالله خالد الحاتم (جمع وترتيب)، **ديوان الشاعر محمد العوني**، ط1، 1404م.

- عبدالله عبدالرحمن البسام، **علماء نجد في ثمانية قرون**، الرياض، دار العاصمة، 1319هـ.
- عدنان سالم الرومي، **تاريخ مساجد الكويت القديمة**، ط 2، الكويت، 1423هـ.
- علي محمد الفهيد، **عين ابن فهيد قاعدة الأسياح**، ط1، الرياض، وكالة وزارة الثقافة والإعلام، 1430هـ.
- اطمة محمد بن سليمان الفريحي، **تجارة السلاح في الخليج العربي**، ط1، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1425هـ 2004م.
- فهد المارك، **من شيم العرب**، ط3، المؤسسة العربية للتجليد، 1400هـ 1980م.
- فهد المارك، **من شيم الملك عبد العزيز**، ط1، 1398هـ 1978م.
- فهد المارك، **محمد العوني تاريخ جيل وحياة رجل**، ط1، الرياض، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، 1433هـ 1012م.
- فؤاد حمزة، **البلاد العربية السعودية**، ط2، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، 1388هـ 1968م.
- قبلان صالح القبلان، **تاريخ أسرة العماري**، ط1، 1435.
- كارلو كلاوديو جورماني، **نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم**، ط1، أبوظبي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، 1430هـ 2009م.
- لويس موسيل، **عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية**، لندن، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007م.
- لويس موسيل، **آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية**، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1424هـ 2003م.
- الليدي آن بلنت، **رحلة على بلاد نجد**، ط1، الرياض، دار اليمامة للبحث والنشر، 1386هـ 1967م.
- مجموعة مؤلفين، **الطريق إلى الرياض**، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ 1999م.

- محمد إبراهيم أبا الخيل، **في تاريخ أبا الخيل**، 1425هـ.
- محمد الزعارير، **إمارة آل رشيد في حائل**، ط1، عمان، بيان للنشر والتوزيع، 1997م.
- محمد أحمد السديري، **الحداوي**، ط1، الرياض، 1430.
- محمد المانع، **توحيد المملكة العربية السعودية**، ط1، 1402هـ.
- محمد سعيد كمال (جمع وترتيب)، **ديوان محمد العوني ضمن سلسلة الأزهار النادية**، ط2، الطائف، مكتبة المعارف، 1426هـ.
- محمد صالح الربدي، **بريدة دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية**، ط2، 1413هـ.
- محمد عبدالله السلمان، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**

(1238- 1309هـ)، ط1، عنيزة، المطابع الوطنية، 1407هـ.

- محمد عثمان القاضي، **روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد**، ط2، مصر، مطبعة الحلبي، 1403هـ.
- محمد علي الشلاش، **روائع الإحداثيات**، ط3، 1427هـ.
- محمد ناصر العبودي، **المعجم الجغرافي لبلاد القصيم**، الرياض، دار اليمامة للنشر والترجمة.
- محمد ناصر العبودي، **معجم أسر بريدة**، ط1، الرياض، دار الثلوثية، 1431هـ.
- مضاوي الرشيد، **تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث**، ط2، بيروت، دار الساقي، 2005م.
- مضاوي الرشيد، **السياسة في واحة عربية إمارة آل رشيد**، ط1، بيروت، دار الساقي، 1998م.
- مقبل عبدالعزيز الذكير، **مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود (ضمن خزانة التواريخ النجدية) الجزء السابع**، ط1، 1319هـ.

- منصور عساف العساف، **الرس مدينة وأمير**، ط1، 1429هـ.
- منصور عبدالله الشعيبي، **الخبوب تعليم وأمجاد**، ط1، 1434هـ.
- موسى النقيدان، **مسافات في ذاكرة رجل من بريدة**، ط3، دبي، دار مدارك للنشر، 2012م.
- ناصر سليمان العمري، **ملامح عربية**، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009م.
- نجدة فتحي صفوة، **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية**، ط1، بيروت، دار الساقي، 1996م.
- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت، دار بيروت، 1400هـ.
- اليكسي فاسيلييف، **تاريخ العربية السعودية**، ط1، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1995م.
- يوسف حمد البسام، **الزبير قبل خمسين عامًا مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت**، ط1، 1391هـ.
- يوليس أوتينج، **رحلة داخل الجزيرة العربية**، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ.

هـ) المجلات والدوريات:

- أحمد عبدالعزيز البسام، **ورقات غير منشورة من تاريخ إبراهيم بن عيسى، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود**، عدد36، شوال 1422هـ.
- محمد عبدالله السيف، **أمراء الزلفي من آل بداح، جريدة الجزيرة** عدد 10664 بتاريخ 24 رمضان 1422هـ.
- سهيل صابان، **من حواضر الجزيرة العربية في وثائق الأرشيف العثماني**، الخميسية كتاب دوري نصف سنوي يصدر عن مركز حمد الجاسر الثقافي، **الرياض**، العدد الثالث، ربيع 1431هـ.

- علي الصالح، **تاريخ حائل**، مجلة العرب ملحق الجزء السادس السنة 3 ذي الحجة 1388هـ.
- لويس موسيل، **الدولة السعودية**، مجلة العرب، السنة 11، رمضان / شوال 1396هـ.
- عبدالله خالد آل خليفة، **الصلات التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية**، المنشور في **مجلة الوثيقة البحرينية**، عدد 36، ربيع أول 1420هـ.
- عبدالعزيز الشبل، **المليدا أكثر من مجرد معركة حربية**، بحث منشور في منتدى مجلس عنيزة على شبكة النت.

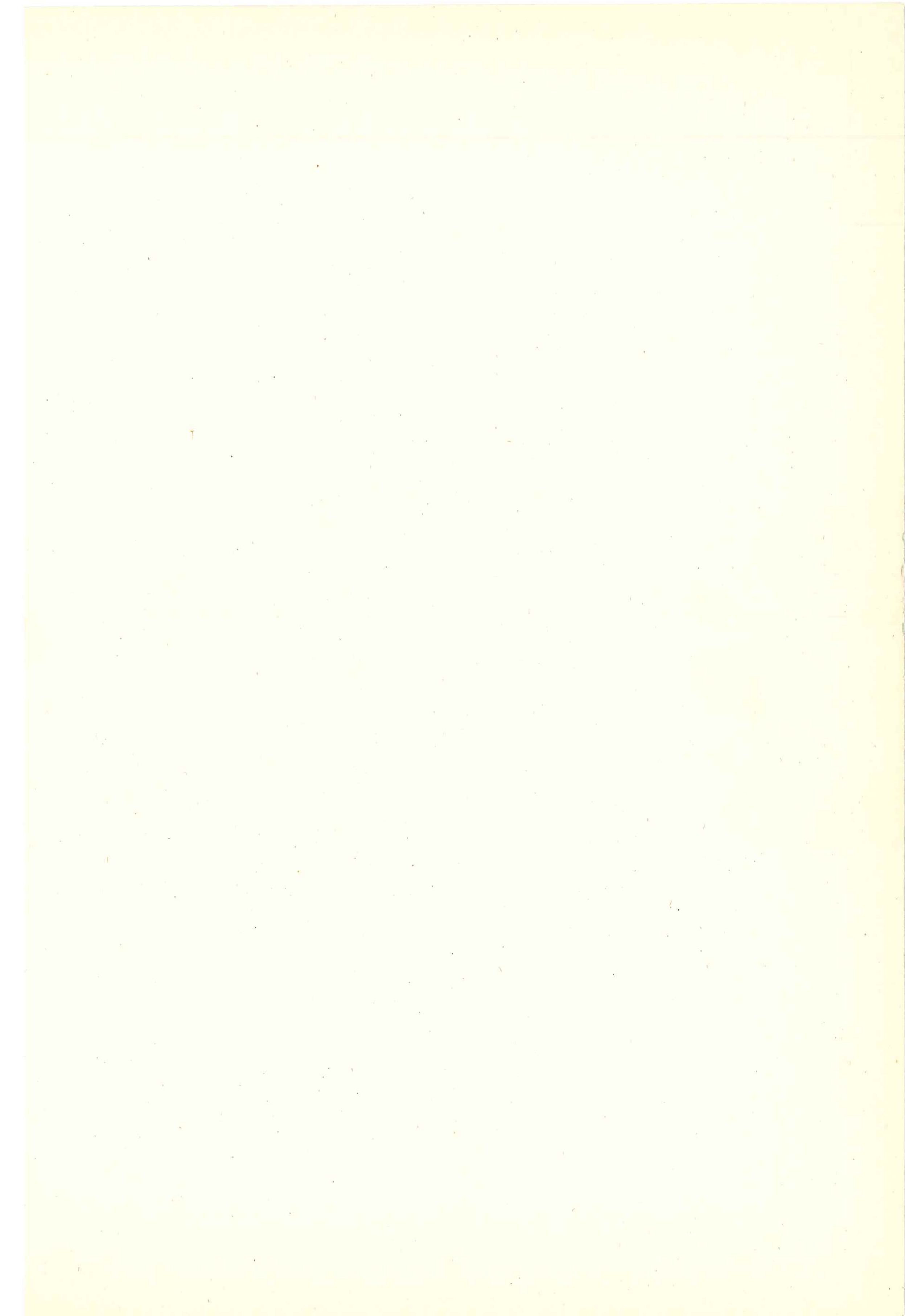
و) الإفادات الشفهية:

تلقيت عدة إفادات شفهية مشكورة من أخوة كرام أسهموا بلا ريب في إثراء البحث، في جوانبه المتعددة التاريخية والجغرافية والاجتماعية، وأسماء هؤلاء الفضلاء مرتبة أبجديًا:

- إبراهيم الخليف
- تركي بن إبراهيم القهيدان
- خالد بن عبدالله الخاطر
- سبهان بن عبدالعزيز السبهان
- العم/ صالح بن محمد الربدي
- عبدالله بن عبدالرحمن النغيمشي
- عبدالوهاب بن عبدالله التويجري
- فهد بن محمد الخضيري
- د/ محمد بن إبراهيم أبا الخيل
- محمد بن سليمان القبيل

- د/ محمد بن صالح أبا الخيل
- د/ محمد بن صالح الربدي
- محمد بن صالح العبيكي
- نايف مطلق الشمري
- يونس بن صالح الطويان





الكتاب

هذه الدراسة هي أول دراسة تاريخية مفصّلة ومستقلة لهذه المعركة الفاصلة في التاريخ السعودي، برغم وجود دراسات جادة ساهمت في توثيق دوافع المعركة وأحداثها ونتائجها، ولكنها دراسات جاءت في سياق تاريخي عام، حيث كانت جزء من كل، وليست دراسة مستقلة.

اتكأ الباحث على مصادر أولية في هذه الدراسة لـ«كون المليدا»، بالرجوع لمدونات التاريخ النجدي المخطوط منه والمطبوع، كما أن الباحث لم يغفل اقتناص الوثائق المحلية النجدية التي قدَّمت عن المعركة إشارات قريبة، مباشرة أو ضمنية بعيدة. كما اعتمد على قصائد الشعر النبطي، التي قيلت في المعركة، واكتسبت أهميتها، كونها قصائد معاصرة للحدث، فكانت مصدرًا مهمًا لتفاصيل كون المليدا، والوضع العام لأحداث ذلك الكون.

أيضًا، تم الرجوع إلى عدد وافر من الوثائق العثمانية، التي تناولت المعركة بشكل تقارير عن مجريات أحداث ما قبلها وما بعدها، والتي تداولها رجال الدولة العثمانية من موظفين مدنيين وعسكريين وولاة مناطق.

لم يغفل الباحث تتبع المصادر الأوروبية، خاصة البريطانية، ورصد اتجاهاتها السياسية نحو هذا الحدث المحلي المهم، من خلال التقارير أو الكتب أو الصحف الأجنبية.





